

جونج ميونج لي

صيف ملاعون

부서잔 여름

رواية

ترجمة: آلاء فتحي



مكتبة ياسمين

لغة للنشر والتوزيع

مكتبة ياسمين

صيف ملعون

رواية

جونج-ميونج لي

ترجمة: آلاء فتحي

تحرير: إيزيس عاشور

تصميم الغلاف: أحمد فرج

إخراج فني: ضياء فريد

الطبعة الأولى يناير 2024

لُغَة

للناشر

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

القاهرة - مصر

Broken Summer

Copyright © 2021 by J. M. Lee

All rights reserved.

Originally published in Korea by EunHaeng NaMu
Publishing Co., Ltd.

"This book is published with the
support of the Literature Translation Institute of Korea
(LTI Korea)."

رقم الإيداع: 2023/29420

ISBN: 9789778674248

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الأول

كان الناس في هذه المدينة يعرفونه جيدًا. كبار السن إذا ما لاقوه في ممشى التنزه، حيوه بأعينهم بخفة. في حين كان الأهل الذين يتنزهون مع أطفالهم يقولون لهم إنه يجدر بهم أن يصبحوا أشخاصًا عظماء مثل هذا العم. وإذا ما رد الأطفال سائلين من هو، أجاب الأهل بأنه رسام لوحات مسمارية مشهور يدعى لي هان-جو. وأضافوا بفخر أن له ثلاث لوحات معلقة في بهو مجلس المدينة.

لم يكن هذا الحديث خطأ أو مبالغًا فيه. فلي هان-جو مصدر فخر مدينة إيسان التي لا يتخطى سكانها الثلاثمائة ألف. ولكن ذلك الأخير تجاهل الهمسات التي تصل إلى أذنيه من خلف ظهره والأنظار الصبية المليئة بالعاطفة والمصوبة نحوه. كان يرتضي فقط أنه يعيش في هذه المدينة. والكل سيان في محبته واحترامه والغيرة منه في الوقت نفسه، سواء من اعتبره ساذجًا أو من اعتبره فظًا لا يهتم بالغير.

كانت حياة هان-جو بسيطة. يرسم في مرسمه كل يوم من الثامنة صباحًا وحتى الثالثة عصرًا وفي بعض الأحيان يجلس على الكرسي بالحديقة محددًا في الطريق المنبسط أسفل التل. وبعدها يعود مرة أخرى إلى المرسم، ومع اقتراب غروب الشمس، كان يتنزه عند ضفة النهر.

اضطربت عادات يومه المنضبطة كعقارب الساعة في عيد ميلاده الأربعين. لم يكن هناك تغيير في

استيقاظه المتأخر وتناوله الشطيرة التي أعدتها له زوجته. ذهب إلى المرسم وقضى الصباح في تأمل الضوء المتسرب إلى الداخل من النافذة.

وفي الثانية بعد الظهر، توجه مع زوجته إلى قسم الأطعمة بالمركز التجاري بالمدينة. ملا سلة المشتريات بالأطعمة المختلفة. كان في مخططهما عمل حفلة بسيطة بالحديقة تقتصر عليهما احتفالاً بعيد ميلاده في المساء. ولا بأس من أن يحتفلا في الوقت نفسه أيضاً بتسجيل قطعه الفنية لأعلى سعر في مزاد بهونغ كونغ الأسبوع الماضي.

اعتلا وجهيهما التعب في أثناء صعودهما للطريق الجبلي في اتجاه المنزل. ظهر المنزل المسمى «منزل هاورد» الذي يقطنانه أعلى التل الممتد كحزام أبيض. كان منزلاً يجمع بين الطابع الكوري والغربي، جدرانه من الطوب الأحمر غريبة الطراز يعلوها سقف من القرميد كوري الطراز، تحقق فيه التناغم بين الضخامة وبساطة جمال التصميم. ومن خلف السقف الجمelon المثلثي للمنزل المكون من قبو وطابقين، كانت هناك ثلاث أشجار سرو تحيطه بدفء مضية عليه جواً ريفياً مريحاً.

تساقطت أشعة الشمس في هدوء على حديقة المنزل المشذبة بعناية فور فتحهما للباب الحديدي المصقول. تعرشت الورود شديدة الحمرة على أعمدة الرواق، فيما غشي السلالم الحجرية المشتعلة من الحرارة ضباب خفي. وفي أن واحد، هب باتجاههما صوت رشاش الماء المتدفق ورائحة

العشب المقصوص. احتوتهما صلابة المنزل
وسكينته وثرء الحديقة.

راقب هان ميل الضوء وزاوية الظل المتغيرين
بخفة طوال فترة ما بعد الظهر بالحديقة. تدفقت
إليه رائحة الطعام من باب الشرفة الزجاجي
المفتوح. وعندما خفت حدة الشمس، وضعت
زوجته مفرشاً أبيض على الطاولة أسفل شجرة
الماجوليا المورقة ثم وضعت فوقه طبق الدجاج
المشوي في الفرن. كانت ترتدي ثوباً أبيض بلا
أكمام، وبسبب ذراعيها ورجليها الرفعية الطويلة،
كانت تشبه مانىكان بنافذة عرض للأزياء الفاخرة
خزف عن عمد من أجل إبراز جمال الملابس.

تلاقت كؤوس شرابهما وتناولوا الطعام. هدأ سطوع
الشمس في حين لامس صوت احتكاك أجنحة
الحشرات أطراف أذانيهما. حلقت أمامهما حشرة
مجنحة وفراشة لا يعرف اسمها. أخذ يفكر في كل
الأشياء التي نالها وسط أشعة الشمس الآخذة في
الفتور؛ المكانة التي وصل إليها، الإنجازات التي
حققها، والتأثير الذي حاز عليه. سألته زوجته:

- فيم تفكر؟

- في أن الآن وهنا هما الزمان والمكان المثاليين.
هذه اللحظة تنتمي إلينا ونحن ننتمي إلى هذا
المكان. إنه يوم مثالي.

أدرك الخطأ الخفي بحديثه قبل أن ينهيه؛ لا يمكن
أبداً إدراك اللحظة المثالية، فلحظة إدراكها تختفي.
وعلى الرغم من هذا، فإن السعادة التي أمام عينيه

الآن تخصه وحده ولا يمكن لأحد أن يسرقها منه.
ملا كأسه مرة أخرى تأكيداً على هذه الحقيقة
الجلية.

علا صوت الكاميرا. التفتت زوجته في كرسيها
والتقطت صورة ذاتية في خلفيتها الطاولة وزوجها.
- الصورة جيدة. السماء جميلة.

مدت زوجته أمامه شاشة الأيفون وعليها الصورة
التي التقطتها. كان يبتسم في الصورة وهو يجلس
إلى الطاولة المليئة بالفوضى ويحمل بيده الكأس
الممتلئة لنصفها. بدت زوجته بريئة عن العادة ربما
بسبب تأثير الكحول. اكتست السماء خلفهما بزرقة
حريرية داكنة تتخللها حمرة نارية. حينما يحل
الشتاء الغائم، لا بد وأن يسترجع ذكرى هذا المساء
الأسر وهو ينظر إلى حبات الثلج المتطايرة خارج
النافذة.

- بالنسبة إلي أنت أجمل.

لم يكن هذا كلاماً فارغاً. فلولا زوجته ما وصل
إلى ما هو فيه الآن. كانت زوجته بالنسبة إليه أمّاً
وحنينية ومدير أعمال ومعلقاً ومراقباً. لم يكن بها
نقص ولا شيء زائد عن الحد، ولم يتغير بها شيء
أو يختفي. كانت هادئة وثابتة لا تتغير، كسلحفاة
تحمل على ظهرها بحاراً هائلاً لتوصله إلى البر.

أنار المصباح خارج الباب. هدأت حرارة الجو
بسرعة منذرة بقدوم الليل. ضمت زوجته ذراعيها
البارزتين من الفستان الخالي من الأكمام. وابتلع هو
المتبقي من النبيذ ونهض. قامت زوجته بشد طرف

مفرش الطاولة لتغطي به الصحون الفارغة وبقايا الطعام المبعثرة، بقايا تارت البيض التي اشتريتها من المركز التجاري، لطخات كأس النبيذ على مفرش الطاولة، نظراتهما المتلاقية، الصدى العالق لصوتيهما الخافت...

كان المرسم بالجزء المنفصل عن المنزل دافئًا معبًا برائحة الطلاء والصنوبر بزيت التربنتين. جلست زوجته على الأريكة بعينين ناعستين بعض الشيء. ولج إلى خلف خزانة أدوات الرسم وأخرج زجاجة ويسكي ملاً منها كوبًا. هزت رأسها وقد اعتلتها ملامح عدم الرضا ولكنها لم تمنعه. فالיום هو عيد ميلاده وهو يستحق هذا.

ما إن ابتلع الشراب البارد حتى شعر بحرارة في حلقه وكأنه يشتعل. أمعنت زوجته النظر به وكأنها تطالع لوحة استغرقت وقتًا طويلًا في رسمها. صارت شفثاه مضمومتين شيئًا فشيئًا، وأخذ يتلعثم في الحديث، وانتشرت حمرة السكر حول عينيه الناعستين.

ترك هو أيضًا كأسه. كان الحديث عن الفترة التي تواعدا فيها مثل عين ماء لا تنضب مهما أخذ منها. تعجب من الذكريات التي كلما استرجعها تغيرت بعض الشيء. فعلى سبيل المثال، لم يستطيعا الوصول إلى إجابة قاطعة فيما إذا كان أول لقاء لهما في السابع أم الثالث عشر من شهر أغسطس. حتى بعدما انتهى من النقاش الحاد واتفقا على أن ذاكرة زوجته هي الصحيحة، لم يستطع التخلص من شكه

في الأمر.

- لا بد وأنني شربت كثيرًا. طالني الإجهاد فجأة.

كان يحب أن يغفو قبل زوجته. كان يستشعر نظراتها المتفحصة له حتى في غفوته. تخيل شكله وزوجته تتأمله. رجل في الأربعين من عمره، رجل خاض المآسي ووصل إلى قاع الحياة ليعود وينطلق إلى الأعلى بسرعة الضوء. يلوح حول طرف فمه الذي طالته بعض التجاعيد سمات الفخر بالنفس، ذكاء وفخر فنان يحب الحياة.

غطته زوجته بعد أن مد أرجله على الأريكة واستلقى عليها. شعر بالدفء والراحة. أراحت زوجته يديها على جبهته. بدت له وكأنها قطعة ثلج أو ربما شعلة من اللهب. أغلق عينيه بعد أن غرق في شعور مبهج بالأمان.

والآن ستقوم زوجته بقراءة تعابير وجهه النائم كقراءتها للكتب، مشاعره وموهبته، ذكاؤه ووقاره، فطنته وجموحه، وكذلك قلقه ومخاوفه، وتدرجيًا ستغفو إلى جانبه. ستكون الأريكة الصغيرة التي يحلمان بها دافئة وآمنة، وسيكونان حارسي أحلام بعضهما.

وفي لحظة ما، تغضت أصوات أنفاسه كالفاكهة العفنة بعد نضوجها.

صباح يوم بلوغه الأربعين عامًا، تساقطت أشعة الشمس على جفني هان-جو في سكون. رفع هان-جو جسده الثقيل والمتيبس. كان الغطاء الذي أسدلته عليه زوجته ليلة أمس متكومًا على الأرض،

والكرسي الدائري الذي تحب زوجته الجلوس عليه شاغراً. لا بد وأنها ذهبت إلى غرفة النوم لتستلقي هناك بعد أن أخذته للنوم البارحة وقد طاله السكر.

قطع الحديقة بخطى متثاقلة، في حين أطلقت الشمس أشعتها على ظهره كالسهم. ولج من البوابة الرئيسية إلى المنزل، كان يعمه هدوء زائد عن الحد. فعلى عكس المعتاد، لم يسمع صوت ضوضاء التليفزيون أو الموسيقى ولا حتى دبيب أقدام زوجته المتحركة بالمطبخ أو صوت تخبط الكؤوس. لم يرق سوى بالمرور عبر الحديقة فقط ولكن انتابه شعور غريب بأنه انتقل إلى عالم مواز. هل ما زالت زوجته مستغرقة في النوم؟ أم أنها ذهبت لشراء البيض أو الحليب على عجل؟

- يا عزيزتي! أين أنت؟ يا عزيزتي؟

كان المنزل من الداخل مرتباً وتعمه النظافة في كل مكان كغرف الفنادق. لم يزل أيًا من أزواج جواربه التي يخلعها في أي مكان ولا سترته التي يرميها بلا اكتراث. لم تكن هناك ولا بقعة واحدة على مرآة الحمام والمناشف ذات اللون الأزرق السماوي مطوية بعناية ومرصوة على رف الخزانة. حوض المطبخ نظيف وجاف من دون نقطة ماء واحدة. كما كانت الصحون وصينية الفرن التي استخدمتها بالأمس معلقة على الرف تلمع. بدا المنزل وكأن صاحبه رتبته بعناية فائقة ليتركه فارغاً لمدة طويلة.

فتح باب المنزل وخرج إلى الحديقة. بلل ماء ري الحديقة كاحله رغم ارتدائه لنعليه. الطاولة بالخارج

أيضًا نظيفة ومرتبّة. ولم يكن هناك أثر لبقايا الطعام أو زجاجة النبيذ الفارغة أو مفرش الطعام الملطخ.
- يا عزيزتي! إلى أين ذهبت بحق السماء؟ اللعنة...

كان كليهما الأليف روسكو من نوع لا برادور ريتريفر ذي الثلاثة أعوام يقف على مصطبة الدرج متفحصًا صاحبه. تخطت الساعة العاشرة والثلاث. لقد مر وقت تقديم طعام الإفطار له منذ فترة طويلة. أسرع وأحضر الطعام الذي التهمه روسكو في نهم على الفور.

- روسكو! أين ذهبت أمك؟ ها؟ أجبني أين ذهبت أمك؟

اكتفى روسكو الذي أفرغ إناء طعامه بالكامل بتحريك لسانه بعينين ناعستين. فقام هان-جو بتفقد غرفة الجلوس وغرفة المعيشة بالطابق الأول، وغرفة الضيوف وغرفة النوم والحمام بالطابق الثاني الواحدة تلو الأخرى. طرق باب غرفة عمل زوجته قبل أن يفتح الباب في هدوء وينظر إلى الداخل في حذر ولكن من دون فائدة. لم يكن هناك أثر لزوجته في غرفة التدفئة بالطابق الأول، ولا بغرفة حفظ الطعام المواجهة للمطبخ، ولا بمخزن حفظ معدات وأدوات الحديقة. ذهب إلى جراج المنزل ليجد أن سيارة زوجته الصغيرة ليست هناك. ولكن لم يكن هناك أثر حتى لإطارات السيارة.

تملكته مشاعر الرهبة. أصبح متيقنًا من أمر ما، أو ربما هو تخمين نابع من طابعه الحساس، غير أن هذا التيقن أو التخمين علق برأسه ورفض أن يغادره.

لقد اختفت زوجته. الأمر ليس أنها تركت المنزل لوهلة أو أنها ستعود وحسب. لم يعرف إذا ما كانت تركته، أم هجرته، أم أنها لاذت بالفرار. هل يجدر به الإبلاغ عن الأمر؟ أم أن يذهب إلى الأماكن التي تتردد عليها باستمرار؟ ولكن ما تلك الأماكن التي تتردد عليها؟

بشكل تلقائي، أمسك بسماعة الهاتف بغرفة الجلوس ولكنه لم يتذكر رقم هاتف زوجته. كانت زوجته دائما إلى جانبه عندما يحتاجها ووقتما يريدتها. أدرك بعد أن اختفت أنه لا يعرف عنها أي شيء بشكل دقيق مما أصابه بياس عميق.

تذكر بعد فترة وبصعوبة الرقم المختصر لهاتف زوجته. بدا له صوت رنة الهاتف بعيدا وكأنه قادم من داخل المياه. وبعد وهلة، وصل إليه صوت الرد الآلي الحاد. «لا يمكن للرقم المطلوب الرد الآن».

قذف سماعة الهاتف بعنف إلى الأرض المغطاة بالسجاد. انتابته في اللحظة نفسها مشاعر الخوف بأن يكون أمر ما قد حدث لزوجته وكذلك مشاعر العنف تلقاء هجرها له.

فكر فيما قد تفعله زوجته لو كانت في هذا الوضع. لا بد وأنها كانت ستهدئه بلطافة وستتعامل مع الموقف وكان شيئا لم يكن. ستفقد المنزل أولاً ومن ثم ستتصل بالأشخاص المقربين. ولكنه لم يكن يعرف أحدا من المقربين من زوجته ليتصل به فضلا عن أن يعرف أرقام هواتفهم. لم يكن أيضا يعرف مكانا يبحث عنها به ولا طاقة لديه لفعل هذا.

كان رأسه يؤلمه بشدة من آثار الثمالة وشعر بجفاف في حلقه. أربكنه حقيقة أن زوجته ليست إلى جانبه كالم شبحي. لم يتمكن من معرفة لماذا اختفت، وإلى أين، ولماذا كان هذا في يوم عيد ميلاده واليوم الذي سجلت فيه أعماله أعلى سعر لها، ومن يكون الشخص الذي قد يعرف مكانها، وهل ستعود، وإذا عادت متى سيكون ذلك، وهل يجدر به أن يكون شاكرًا حينئذ أم يغضب؟

ربط روسكو في عارضة الدراجة وانطلق مسرعًا على ممشى التنزه الذي اعتاد التردد عليه مع زوجته. خطر له أنه بهذه الطريقة ربما يقوم بعمل شيء ما حيال غيابها. وفي طريق العودة، مر على المتاجر المألوفة لزوجته؛ مكتبة بيع الأدوات المكتبية والسي دي، المخبز، متجر بيع الأطباق الجانبية، متجر بيع الحدايد والبويات حيث يشترون معدات الرسم والطلاء...

سأله أصحاب المتاجر جميعهم: «لماذا أتيت وحدك اليوم؟». أدرك لحظتها أن وجوده بمفرده سيبدو أمرًا غير طبيعي لهؤلاء.

- لسنا بأشخاص سيئين، أليس كذلك يا روسكو؟ لذلك لن يصيبنا أمر سيئ أبدًا.

تابع خطاه وهو يهمهم محدثًا نفسه. اعتقد أن زوجته ستستقبله ما إن يصل إلى المنزل كأن شيئًا لم يحدث. تبعه روسكو وقد لدل لسانه ربما من أثر التعب. وعلى عكس ما توقعه، لم يستقبله بالمنزل سوى الوحشة والظلمة. التصق قميصه المبلل

بالعرق بظهره وقد أضناه تعب شديد.

ذهب إلى المرسم وجهاز طعام روسكو واهتم بإطعامه. لم يتناول طعامًا طوال اليوم وعلى الرغم من ذلك لم يكن يشعر بالجوع. غير أنه انتابته نوبة عطش شديد لم يكن له طاقة عليها. لمح فور فتحه لدرج حامل اللوحات زجاجة ويسكي تبقى بها الثلث تقريبًا. ملاً كأسه وما إن ارتشف منها حتى شعر بحرقة شديدة في حلقه وحرارة ملتهبة تختلج جسده. وقتها راودته خاطرة ما ربما من تأثير الخمر. كان لزوجته هاتقان. واحد يخصها والآخر له. كانت تتعامل مع الاتصالات التي تأتيه في مختلف الأوقات بدلًا عنه في أثناء انشغاله بالعمل. مكالمات من مصممي المحتوى والنقاد والصحفيين ومعدّي البرامج، ومن زوار المعارض الذين يبدون إعجابهم بأعماله، وغيرهم من المعارضين المتسائلين أين نوع من الرسومات تلك، ومكالمات دليل القروض، وموظفي المبيعات بالمكاتب العقارية مروجين بأن هناك أرضًا جيدة معروضة للبيع، وكذلك مكالمات موظفي شركات التأمين، ومكالمات النصب...

كانت تقوم بالأعمال اليومية كافة والمهام المختلفة في الوقت الذي انكب فيه على العمل في مرسمه. تقوم بكل شيء بدءًا من الأعمال المنزلية من دفع فواتير الكهرباء وتسليك مواسير الصرف والاهتمام بتنشذيب الحشائش والأشجار بالحديقة ونقل الأثاث وغيرها من الاتفاق على مواعيد المعارض وديباجة العقود، والتواصل مع صالات

العرض وتنسيق مواعيد الاجتماعات، والتعامل مع اللقاءات الصحفية، وكشوف البيع وحساب الأرباح، وكذلك حجز تذاكر الطيران اللازمة عند السفر لحضور فاعلية ما بالخارج والحجز بالمطاعم الشهيرة وغيرها.

تلك الأعمال التي لو وكلت إليه لما استطاع القيام بها. فليس هناك أحد في أي مكان في العالم يمكنه أن يكون بستانياً وعامل نظافة وسباكاً ونجاراً وسكرتيراً ومحاسباً ومتحدثاً رسمياً ويحل العضلات في الوقت نفسه. تعجب فجأة من التفكير في كل تلك الأعمال التي كانت تقوم بها زوجته لأجله. هل اختفت زوجته تمامًا بعد أن سارت محملة بأعباء حياته بدلاً منه كالبغل الهزيل؟

عبثت أصابعه بحزام عنق روسكو في أثناء سماعه لصوت رنين الهاتف. عندما علا صوت الرنة الثانية، رفع روسكو رأسه وانتصبت أذناه. وثبت نظرات عينيه السوداوين إلى نقطة ما أعلى السلم. وصل إلى مسامعه صوت نغمة آلية خافتة. «Let It Be». كان صوت رنة هاتفه الأغنية التي قامت زوجته بتحميلها.

بدا أن روسكو أدرك شيئاً ما فحرك مؤخرته وسبق صاحبه. صعد الدرج خلف روسكو من دون تفكير. انعطف روسكو عند مصطبة السلم وأسرع نحو الباب بالجهة اليمنى للممر ووقف هناك وقد علا صوت أنفاسه المتسارعة. كان ذلك باب غرفة عمل زوجته خلال الستة أشهر الماضية، صوت بول

مكارتني قادم من داخل تلك الغرفة.

أمسك مقبض الباب ووقف مترددًا للحظات ومن ثم ولج إلى الداخل. لم يكن هناك شيء على غير العادة بها. الكتب مصفوفة بانتظام على أرفف المكتبة وهناك أربع لوحات رسمها معلقة على الحائط. كان الهاتف موضوعًا أعلى ظرف أوراق ممتلئ عند حافة الطاولة الخشبية الضخمة. توقف صوت الموسيقى ما إن أمسك الهاتف بيده. لم يصدر أي صوت من السماعاة الخاصة به.

بعد أن أثار المصباح الأرضي، انعكس الضوء على هيئة دائرة فأثار ظرف الورق. كان الظرف مغلقًا ولم يكن هناك أي شيء مكتوب عليه من الخارج. أوشك على فتح الظرف ولكنه تراجع. اعتقد أن زوجته ستدخل الغرفة وتسأله لماذا هو هنا، وما الذي جاء به إلى هذه الغرفة.

قرأ ما بدا أنه عنوان للصفحات السميكة مقاس A4 مكتوب باللون الأزرق: «أكاديبك عني». كان الخط مألوفًا له. تذكر قول زوجته بأنه يومًا ما ستكتب عنه. وقتها اعتقد أن ذلك أمر لا شك فيه. إذا كان هناك من سيكتب عنه كتابًا فلا بد وأن يكون ذلك الشخص زوجته. فليس هناك شخص يعرفه كزوجته.

ساوره الشك لحظتها بأن الوضع يسير وفقًا لخطة زوجته المتقنة. فبعد أن نظفت زوجته المنزل جيدًا قبل رحيلها، ألم تخطط لأن يقوده صوت رنة الهاتف إلى الغرفة التي وضعت بها هذه المخطوطة؟ فكان

رحيلها بعد أن تركت الهاتف الذي يخصه وراءها إشارة لعزيمتها برفض حياتها الخاضعة له، أو أنها تصر على استعادة حياتها الخاصة. قم بدءًا من الآن.. قم بتصريف أمورك بنفسك!

بالتأكيد من المطمئن أن زوجته لم تتعرض لأمر مرعب، أنها لم تتعرض للاختطاف مثلًا. وعلى الرغم من ذلك، أرهقه العجز عن تخمين غاية زوجته من هذا. ما الذي تخطط له؟ لماذا تركت المنزل دون كلمة واحدة؟ هل كان هناك شيء يزعجها؟ إذا كان هناك ما يزعجها لماذا لم تقل له مسبقًا؟

انبعث أريج طفيف لعطر زوجته من مجموعة الورق المكس. مزيج من رائحة العشب الجاف المرة ورائحة الزهور الحلوة. لا بد وأنها رشته عن عمد. ربما تركت زوجته المنزل لمنحه الوقت لقراءة المخطوطة. إذا كان الأمر كذلك، فهل هذا يعني أن هذه المخطوطة هدية من زوجته؟

بدا أن الأربعين ورقة مقاس A4 جزءًا من قصة ما. تدور أحداثها حول علاقة خاصة بين طالبة في التاسعة عشرة من عمرها ورسام مشهور على مشارف الأربعين، وجاءت القصة على لسان الزوجة لتحكي عن حب الصبية البريئة وخيانة الرسام الأناني.

كان تفكير وتصرفات الرسام الموصوفة داخل القصة مقنعة إلى حد كبير. وعلى الرغم من أن سلوك الرسام غير مقبول بالمرّة، كان قالب الخيالي للقصة يسمح بقبول الفكرة دون نفور. وقد أضفت

على شخصيته سمات إنسانية ساحرة بدلاً من وصفه بأنه شهواني ومنحل بشكل فاضح، فجزء من ذلك الوصف جاء ليحفز الرغبة في فهمه.

ولكن مهما جاء الوصف على أنه فنان بريء فإن ذلك لا يغير من حقيقة أن رجلاً أربعينياً يستغل فتاة صغيرة. فأصبح حسه الفني وعاطفته المرهفة لا يتعديان في النهاية كونهما تصرفات أنانية تحطم حياة النساء اللواتي يحببهن. إذن فهو ليس سوى شخص أحادي التفكير لا يشغله أمر سوى رسوماته، وغداً يستغل النساء فقط من أجل الحصول على الإلهام. تشتعل الزوجة غضباً لخيانة زوجها ولكنها في الوقت نفسه تشعر بالتعاطف الشديد مع الصبية التي هجرها لتتشارك معها مشاعر العداة تجاه الزوج.

دُخُن ثلاث سجانر وتوقف عن التنفس ست مرات وتنهذ لما يقارب العشرين مرة وهو يقرأ المخطوطة القصيرة. فعلى صفحات تلك القصة، تكرر ظهور عدة حوارات ومواقف مر بها مع زوجته في الحقيقة. فيمكن لأي شخص أن يرى أن العادات الحياتية البسيطة وطريقة حديث بطل القصة صورة عنه. ولكن كلما استمر في القراءة وجد أن الصورة الإنسانية وصفات الفنان بالشخصية تعمل على زيادة إبراز ازدواجية البطل شيئاً فشيئاً وترسخ صورة الصبية كضحية.

بالتأكيد لم يكن هناك شبه بينه وبين بطل القصة. ألم يعيش حياته كلها دون أن يعرف معنى لها

منعكفاً على رسوماته إلى حد الغباء؟ قد يتهمه البعض بأن هذا كان مدفوعاً برغبته الدنيوية سعياً للشهرة الفنية وهو الأمر الذي لا يمكن أن ينكره حتى النهاية ولكنه على الأقل ليس بالوغد الذي قد يجذب طالبة صغيرة إلى سريريه كما يفعل بطل القصة.

إنها تحريف شائن وكذب بين، بدءاً من فكرة أن هذه المخطوطة تأخذ شكل القصة من وحي الخيال وليس محتوى واقعياً. فاستخدامها لقلب القصة بدلاً من المقال يقر بأن ما أتى بها لا يتشابه مع الحقيقة وهذا ليس سوى وسيلة لتتفادى مخاطر قضايا الإضرار بالسمعة.

ربما يبالغ في ردة فعله. فزوجته ليست سوى كاتبة مغمورة لم يسبق أن صدر أي كتاب باسمها. وكم من قارئ قد تراوده فكرة أن الشخصية المذكورة في قصة لكاتبة جديدة هي للرسام المشهور لي هان-جو؟ ولكن إذا ما عُرف أن الكاتبة هي زوجته بالتأكيد سيختلف الوضع. لن يفوت العاملين بالدوائر الفنية والقراء اللماحين إدراك العلاقة المتبادلة بين الخيال والواقع. وستحفز بعض الحقائق المتوافقة مع الواقع الخيالات الحماسية وستزيد من شهرة الموضوع حتى لو ادعى أنها قصة من وحي الخيال.

مهما أطلال التفكير، وجد أنه أمر غير عادل. فما إن يصدر الكتاب، لن يتمكن من تفادي انهيار حياته التي وصل إليها بشق الأنفس. سينمو فضول

المحيطين به كالفطر السام. وبالتأكيد سيسأله الصحفيون إذا ما كان الكتاب مبنياً على قصة حقيقية. سينفي ذلك مدعيًا سخفه ولكن ذلك لن يوقف من الشائعات والشكوك والتخمينات. سينتشر اسمه على الإنترنت على أنه ذلك الوغد المذكور بالقصة وربما يظهر بعض المحتالين الذين يدعون بأنهم الضحية. سيتحدث الناس عنه من خلف ظهره وسيوصم بعار الفجر والمجون بغض النظر عن الحقيقة. لن تكون أسعار لوحاته كالسابق وسيختفي الراغبون في شرائها.

كان يعلم أكثر من أي شخص آخر العلاقة الوثيقة بين سمعة الرسام وقيمة أعماله. بالفعل لقد أبرزت شهوة بيكاسو الفياضة وحب موديليانى الشاجن أسطورتهما في عالم الفن ولكنه ليس ببيكاسو ولا بموديليانى. فضلًا عن كوننا في القرن الحادي والعشرين. فكر قليلًا فيما قد سيؤلمه أكثر؛ فقدانه لشهرته أم انهياره ماديًا أم فشل زواجه. في النهاية سيفقد كل شيء.

ربما كان بإمكانه أن يفهم هذا الموقف بسهولة أكثر لو أن خطبًا ما قد طرأ على زواجهما. فلم يحدث لأي أحد منهما بأن علا صوته على الآخر فضلًا عن أن يتشاجرا بحدة. أينما كانا معا كانت الثقة تفيض بينهما. حتى إذا حدث سوء فهم، لم يستدع الأمر أبدًا أن تصف زوجها كوغد شرير لهذه الدرجة.

ولكن لماذا كتبت زوجته شيئًا سخيًا كهذا؟ هل تعتزم بالفعل القيام بنشره؟ ألا تعرف حقًا ما قد

يحدث بعد ذلك؟ أم أنها تعرف بالفعل وما زلت تقدم عليه؟

بدأت زوجته في اللوحة المعلقة على الحائط كقطعة من الضوء والبهجة. نظر يامعان إلى عيني زوجته بداخل اللوحة التي رسمها لها منذ زمن وسألها: «ما السبب وراء قيامك بكل هذا؟».

لم تجب زوجته. فأعاد عليها السؤال.

«بحق السماء ماذا تريدني مني أن أفعل؟».

لم تجبه هذه المرة أيضًا. اكتسحه الفزع. ليس لأجل الخزي والدمار الذي سيلحقان به. فلقد عرفت زوجته كل ما كافح من أجل إخفائه عن الآخرين طيلة هذا الوقت. ليس فقط حاضره ولكن ماضيه المستور كذلك، ليس فقط لحظات مجده بل أيضًا أدنى صورته، وليس مظهره الخارجي الهادئ بل ما بداخله المثير للغثيان.

تذكر ذلك الصيف حينما كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا وكان قد نسيه منذ زمن. ذلك الصيف حينما رأى جثة على ضفة النهر الذي يمر بمنتصف المدينة. قطرات الماء المتساقطة من أطراف الملابس المبللة. صوت الحصى في قاع النهر وسط تيارات الماء الضحل في موسم الجفاف. الحشائش الملتصقة بالصدغين وقطرات الماء المتناثرة على الجبين... كان أمرًا مختلفًا عن كل ما حدث له سابقًا وكان مختلفًا عن كل الأمور الغريبة مع بعضها كذلك.

إنه يعرف جيدًا الآن. كان يفتقد الشجاعة لمواجهة ماضيه المخزي والبذيء. أمر استمر في تأجيله

ولكنه لن يستطيع تأجيله بعد الان.

جي سو

فيما بعد الظهر، صعدت سيارة بيضاء التل متمائلة كالخنفساء. وفوق المنطقة المغطاة بالعشب الناعم في التل والمملوكة لأحد المبشرين، وقفت ثلاثة مباني منفصلة كل منها مختلف في الشكل والحجم. احتل الجزء العلوي منزل هاورد بحجمه الضخم وإلى جانبه مبنى منفصل من طابق واحد وإلى الأسفل قليلاً كان هناك منزل يدعى «منزل مالكوم» بحجمه الصغير. وفي أدنى التل، هناك مبنى مدرسة هيمل الإعدادية والثانوية يقفان جنباً إلى جنب. كانت المباني المتراسة على حدة على جانب التل تشبه شريطة بيضاء تصل لأعلى التل فتختفي من الجهة الأخرى.

وقفت السيارة أعلى التل أمام منزل هاورد. نزل من جهة مقعد السائق رجل في حلة بيضاء ويضع فوق رأسه بشكل مائل قبعة ذات أطراف بيضاء. ومن ثم اتجه ناحية الباب المقابل للسيارة وفتحه. نزل من الجهة المقابلة لمقعد السائق سيدة تبدو في منتصف العمر ترتدي سترة بيضاء وبنطالاً بأرجل واسعة ومن بعدها فتح الباب الخلفي للسيارة ونزلت منه فتاة ترتدي زياً مدرسياً وطفلة تبدو في السابعة أو الثامنة من العمر. كانت الطفلة ترتدي فستاناً أبيض مزين بالدانتيل. بدون وكأنهن سرب من الطيور كان يحلق في السماء وهبط لتوه إلى الأرض، ربما كان ذلك بسبب ملابسهن البيضاء المتناثرة في اللون بحدة مع لون العشب.

تطلعوا إلى المنزل الضخم بأعين مبهورة كالبحارة الأوائل الذين وصلوا إلى أرض العالم الجديد. كان هذا المعلم التاريخي الذي مر عليه قرابة القرن من الزمن منزلاً شيده المبشر والطبيب ستون هاورد بعد أن أتى إلى كوريا ضمن إرسالية تابعة للمشيخة الأمريكية الشمالية في بدايات القرن العشرين. قطن هاورد المنزل مع زوجته وأولاده؛ أربعة أبناء وابنتين، وكرس نفسه للعمل في الخدمة الطبية والتبشير، وبعد انتهاء الحرب الكورية، استمر في تفانيه لتعليم أطفال الحرب اليتامى والفقراء وتقديم العلاج لهم بلا مقابل.

لمعت الزخارف المصنوعة من الآجرة لواجهة المنزل الأمامية أسفل شمس ما بعد الظهر. امتدت حديقة بارحة أمام النوافذ الخشبية العتيقة ورواق المنزل الواسع. وأسفل السور الحجري الذي يصل طوله إلى الركبة والممتد مع نهاية طرف الحديقة، يمكن رؤية القرميد الأحمر للمبنى المنفصل المتهالك والمكون من طابق واحد. كان هذا المبنى عيادة أسسها المبشر هاورد في بدايات فترة استقراره بالبلاد. وبعد تأسيس مستشفى هيميل أسفل التل قبل عشرين عامًا تقريبًا، تم استخدامه كمنزل لإقامة الضيوف ومن ثم تحول ليصبح مخزنًا للخردوات المختلفة.

ويقع أسفل منزل هاورد بحوالي ثلاثين مترًا تقريبًا المنزل الخاص بالمبشر مالكوم الذي جاء في إرسالية بعد المبشر هاورد بنحو اثني عشر عامًا. بعد وصوله إلى كوريا في عمر التاسعة والعشرين، كرس

المبشر مالكوم نفسه لأعمال التبشير وقطن المنزل البسيط والذي يبلغ حجمه ثلث حجم منزل هاورد تقريبًا. وبعد عودته إلى الولايات المتحدة، أصبح المنزل يستخدم كمحل إقامة لمدرسي وحراس مدرسة هيميل الإعدادية والثانوية المغتربين.

خلف المبشر هاورد بعد وفاته عام 1968 ابنه الثاني الدكتور جورج هاورد. كان شغوفًا جدًا بهان-جو ابن الحارس الذي حضر ولادته وكأنه حفيده. وكان هو أيضًا أول من أدرك موهبة هان-جو في الرسم ويتغافل عن الشخبطة التي كان الطفل ذو الثمانية أعوام يرسمها على أرضية شرفة منزل هاورد.

عاد الدكتور الذي قضى حياته كلها يعمل في مستشفى هيميل إلى الولايات المتحدة وهو في عمر الثانية والثمانين. فلقد ساءت صحته بسبب التقدم في السن فضلًا عن اشتداد حدة مرض الربو الذي كان يعانيه. أهدى الدكتور هان-جو قبل أن يغادر منزل هاورد مجموعة من أوراق الرسم وأدواته وسمح له باستخدام غرفة القبو الفارغة بالمبنى المنفصل كمرسم. رسم هان-جو منزل هاورد بالألوان الشمع والأقلام الرصاص من فئة 4B، وكذلك بالألوان المائية منتظرًا عودة الدكتور هاورد.

لم يتمكن الدكتور هاورد من استعادة صحته في النهاية وتوفي في أتلانتا جراء الالتهاب الرئوي ليظل من بعده منزل هاورد من دون سكان لمدة أربعة أعوام. وخلال الفترة التي ظل فيها

المنزل شاغراً، اكتسح العفن حوائطه وغطى الوبر السجاجيد. وفسد خشب الأرضية التي اعتادت إصدار أصوات مريحة للنفس ليصدر عنها صرير ذميم. في حين علا الصداً مقابض المنزل التي علاها سابقاً آثار الأيدي وفي الأيام الممطرة كان يصدر صوت شديد الصخب عن مصارف الأمطار المتهالكة.

بدأت الإصلاحات المكثفة قبل شهر تقريباً. وشملت كل من تنظيف الحوائط الخارجية بالماء وإصلاح السقف وتغيير الأرضية وإطارات النوافذ المهترئة، وكذلك ترميم الحمامات. في حين لم يكن المبنى المنفصل بحاجة إلى أي إصلاح. كان البناء قوياً وبحالة جيدة. ولكن المكان الذي اعتاد أن يكون مرتع لعب هان-جو وغرفة دراسته لم يعد يمكن استخدامه بعد الآن كمرسم له. كان لا بد من إزالة حامل اللوحات واللوحات القماشية «الكانفس» وغيرهم من معدات الرسم والخردوات الأخرى خاصته ليعيد المبنى لأصحابه الجدد. وعند رؤيته للعربتين المحملتين بعزال السكان الجدد، اختلطت لديه المشاعر بين الحزن لفقدان مرسمه الذي انتزع منه وحماسه للقاء جيرانهم الجدد.

وبعد فترة وجيزة، فتحت نافذة الطابق الثاني وبرزت منها فتاة. كانت الفتاة تنظر إلى أسفل التل وما إن تلاقت عيناها مع عيني هان-جو حتى أطلقت ابتسامة براقعة كالسيف. أسرع وابتعد عن النافذة وأخفى جسده في ركن مظلم. سمع صوت والده يناديه من الطابق السفلي.

- يا أولاد! لقد وصلت عائلة منزل هاورد. هلا
ذهبتם لإلقاء التحية وتفقد إذا ما كانوا بحاجة إلى
المساعدة؟

تبع هان-جو أخاه الأكبر سو-إين الذي سبقه
بصعود التل بنحو أربعة إلى خمسة أمتار. كانت
هناك سيارة بيضاء تقف تحت ظل شجرة السرو
أمام حديقة منزل هاورد. أخذ ظل شجرة السرو
يترنح أعلى غطاء محرك السيارة الذي لم يفقد
حرارته بعد. تسلت من نافذة السيارة المفتوحة
للنصف تقريبًا رائحة معطر حلوة. إنها رائحة الثراء،
والرقي.

فتح الباب الزجاجي المفضي إلى الشرفة رجل
يرتدي سترة رمادية اللون واقترب منهما. ابتسم
لهما الرجل ببراءة كصبي صغير. كان شعره مدهونًا
بالزيت ومصفًا إلى الخلف بعناية. وترك جسده
الممتلئ ككيس من الخيش المعبأ لآخره بالحبوب
انطباعًا قويًا لديهما.

قدم نفسه على أنه جانغ هي-جيه، القاطن الجديد
لمنزل هاورد. وفقًا لما سمعه من والده، فإنه رجل
أعمال في مجال تأجير السيارات ويمتلك أكثر من
فرع في المدن الكبرى بجميع أنحاء البلاد بالإضافة
إلى الفرع الرئيسي بمدينة إيسان كما أنه يمتلك
مركز صيانة ضخما في المنطقة الصناعية الغربية.

- مرحبًا. لقد جننا من منزل مالكوم. ربما قد تكونوا
بحاجة إلى مساعدة.

مد الرجل يديه إلى الأمام بجرأة. كانت قبضته

المحكمة اللا إرادية تفيض بقوة توحى بالثقة، تصاعدت رائحة عطر يطيب لها المزاج من أطراف قميصه. في حين نبضت عضلاته الدقيقة والمتفرعة على ساعديه المطوي عنهما الأكمام وقد لمعتا بسمرة جميلة من الشمس.

وفي تلك اللحظة، خرجت إلى الشرفة سيدة قادمة من غرفة الجلوس المظلمة في خفة. إنها كيم سون أو ربة بيت هاورد الجديدة وزوجة جانغ هي جيه. كانت طويلة ونحيلة ولكن لم يكن يبدو عليها الوهن. وظهر وجهها الصغير بشكل أوضح بفضل شعرها المموج الكثيف. لمعت أسنانها المستوية من أسفل ضحكتها الواسعة الهادئة. كانت ضحكة توحى بالتسامح والحزم، والترقب والرهبة في آن واحد. ولم يكن بإمكان سو-إين معرفة كيف يمكن للمرء أن يطلق ضحكة مليئة بالدفاء والعطف هكذا دون أن يصدر عنه أدنى صوت.

لم يكن بمقدرة والدته الضحك هكذا. لم يكن من عاداتها الضحك، وإذا ما حدث هذا، جاءت ضحكتها كسعال جاف. فلم تكن ضحكة نابعة من بهجة وإنما ضحكة متعبة وحزينة.

- أنتما ابنا الحارس لي. لا بد أنك سو-إين الأول على المدرسة دائما وأنت أخو سو-إين الأصغر؟

أشارت سون أو إلى هان-جو الأخ الأصغر عندما ذكرت اسم سو-إين وأدارت بصرها تجاه الأخ الأكبر حينما قالت: «أخو سو-إين الأصغر». كان الأخوان بالطول نفسه تقريبا ولكن من يراها لأول مرة

يعتقد أن هان-جو هو الأخ الأكبر بفضل أطرافه الطويلة وصدرة الضخم وكتفيه العريضتين مقارنة بأخيه سو-إين النحيف.

- لا، أنا الأصغر. وهذا هو أخي الأكبر سو-إين. اسمي هان-جو.

كان سو-إين هو المركز الذي تدور حوله عائلته. فبدلاً من اسميهما، اعتاد الناس على منادة والده بـ«أبا سو-إين» ودعوة والدته بـ«أم سو-إين». وكان هان-جو مشهوراً بكونه «أخا سو-إين» منذ أن دخل المدرسة الابتدائية. فالأمر أشبه بأنه لا وجود لتلك العائلة بغياب سو-إين.

- حسناً. سو-إين، وهان-جو. سنصبح جيراناً جيدين.

مشطت شعرها المتطاير عند جبهتها بفعل الرياح الخفيفة بأصابعها الطويلة. وظهر لدى باب الشرفة المفتوح الفتاة التي غيرت زيتها المدرسي إلى فستان أزرق منقوش بالورود. كانت ذات جبين مستدير وعينين رقيقتين والتقوس المنسال من عنقها إلى كتفيها بارزاً وكأنه رسم بالضوء. ابتسمت ابتسامة خفيفة وكانت تحمل في يديها كتاباً غلافه أزرق ولكن لم يكن عنوانه مرئياً.

- ألقيا التحية. هذه ابنتي الكبرى جي سو. إنها في الصف الأول الثانوي، لذا فهي من عمر هان-جو نفسه.

أحنت جي-سو رأسها بعدما قدمتها هي جيه لهما. في تلك اللحظة تصاعد صوت حركة سريعة على

الأرضية الخشبية للمنزل. اندفعت طفلة صغيرة في السابعة أو الثامنة من عمرها إلى الحديقة وكأنها كرة متدحرجة. كان خدها أحمر اللون كالخوخ ولمع وجهها الذي انعكس عليه ضوء الشمس بلون ذهبي مبهج. كانت ترتدي سروالاً يتخطى ركبتيهما وتيشيرت مرسوماً عليه بطوط ملطخاً ببقعة كاتشب وطعام آخر غير معروف. بعث مرح الطفلة روح الحياة من جديد لذلك المنزل العتيق. كان من الواضح أنها محبوبة من كل أفراد عائلتها.

اختل توازن الطفلة الصغيرة بعد أن تعثرت وهي تحاول النزول إلى الحديقة من على السور. ألقّت جي-سو بكتابها على الأرض بشكل تلقائي وأسرعت تجاه أختها الصغيرة. كانت خطواتها سريعة وثابتة وكأنها تتوقع مسبقاً حدوث خطب ما.

امتلات عينا الطفلة بالدموع فور وقوعها على العشب وما إن رأت أختها الكبرى تسرع نحوها حتى انفجرت في البكاء. أضفى ضوء الشمس مزيداً من الحمرة على فم الطفلة. انقسمت الأوردة البارزة أعلى الترقوة وحتى منتصف الرقبة إلى فرعين. وكلما اشتد بكاء الطفلة، تضخمت أوردتها أكثر وبدأت أكثر وضوحاً. رفعت جي-سو الطفلة عن الأرض في هدوء ومهارة معتادة وهدأت من روعها، وسرعان ما علا الضحك وجهها الذي لم تجف الدموع عليه بعد.

بعدها بقليل، أمسكتا بأيدي بعضهما وأخذتا تدوران في حلقات مفا. علا طرف فستان جي-سو الأزرق

والمنقوش بالورود. وعبقت الحديقة برائحة العشب الذي تخطيان عليه بأقدامهما العارية. في حين اشتدت زرقة كعوب أقدامهما. كانتا بلا شك كمنظر الفتاة والطفلة بلوحة للرسام الفرنسي بونرد.

وفي لحظات قليلة، أصبح منزل هاورد غريبًا عن هان-جو وامتد أمامه زمان ومكان مختلفان عنه، كمرأة مكسورة. كما لو أن لدى جي-سو القدرة على التلاعب بالزمان والمكان كما يحلو لها، كنظرية أينشتاين حيث ينكسر الضوء خلال مروره من الثقوب السوداء ويحدث تحريف بالزمان.

تمكنت قدما جي-سو من تفادي الأطراف المدببة للحصى بصعوبة. وشعر هان-جو بالقلق الشديد خوفًا من أن تتمزق قدمها العاريتان من الأحجار المتناثرة. وفجأة شعر برغبة شديدة في رؤية الدماء الحمراء تسيل عن خنصر قدمها المتمزقة.

بفضل وظيفة والده كحارس لمدرسة هيميل الثانوية والإعدادية، كانت عائلة هان-جو تقطن منزل مالكوم المملوك للمؤسسة المسؤولة عن إدارة المدرسة. كان المنزل المكون من طابقين ذي حوائط من الأجرة وسقف من القرميد الكوري يحتوي على ثلاث غرف بالإضافة إلى غرفة المعيشة وملحق به رواق وشرفة.

كان المسمى الوظيفي مسؤول صيانة يوحي للوهلة الأولى بوظيفة مدرس عادي ولكنه تسمية تطلق على الحارس المسؤول عن الحفاظ على المباني والمرافق كافة، وأعمال الصيانة المختلفة

من قبيل العادة. كانت مهامه تشمل كذلك تنظيف مصارف المياه بمنزل هاورد والاعتناء بالأرضية والدرج وإصلاح السقف وطلاء الأعمدة الصدئة والاهتمام بالحديقة. كانت والدة هان-جو تعمل كذلك خادمة بمنزل هاورد في أثناء إقامة الدكتور به وعادت لعملها هذا بعد انتقال عائلة هي جيه للمنزل.

كان لي جين-مان والد هان-جو نجازًا ماهزًا. حزامه الجلدي المعلق به مختلف أنواع المطارق والكماشات والقطاعات بالإضافة إلى منشار صغير يشبه حافظه مسدس «الكابوي». ما إن تلمس يده الأشياء المتهدمة حتى تستقيم مجددًا والأشياء المتكسرة تعود جديدة ويمتلئ كل ما كان فارغًا. فيختفي صرير الباب ويعود العمود الذي اكتسحه النمل الأبيض والسور المنهار والمصارف المسدودة إلى الحياة مجددًا.

قام الولدان بمساعدة والدهما بشكل طبيعي منذ أن أصبحا طالبين في المدرسة الإعدادية. وقد أعجبت أصالة المنزل هان-جو وهو يفتح النوافذ للتهوية ويتفقد إذا ما لانت مفصلات النوافذ ويكنس الساحة ويتأكد ما إذا كانت القطط الضالة وطأت الحديقة. كان مندهشًا لشكل المبنى المعماري الرائع الذي يضاها المنظر الطبيعي للتل من حوله، كما شعر بسعادة خفية في أثناء استكشافه للآثار التي الزمن على هيكل المنزل القوي الذي رسخ جذوره في الأرض.

وفي كل مرة كان الأب وأبناؤه يقومون بكنس ومسح الأرضية المتسخة أو استبدال الأجزاء المهترئة وطلاء الأماكن الباهتة، زاد شعورهم بالواجب لحماية كيان ما على وشك الاختفاء. ففي تلك اللحظات التي كانوا يعتنون فيها بالمنزل الذي يحتاج إلى عناية، كانوا مثل أعضاء جماعة دينية بسيطة تؤمن بالذاكرة التي لا تنسى والتاريخ الذي لا يختفي.

كان سكان منزل هاورد المبهرج وسكان منزل مالكوم المتواضع الصورة المثالية للجيران المسالمين ولكن يوجد خط خفي يفرق بين العائلتين. إذا ما أزلنا الساتر الرفيع في العلاقة بين الجارين سنجد التكوين القاسي المستتر لعلاقة صاحب العمل والموظف. البعث القاسي للنظام الطبقي في صورة الغني والفقير، ميسور الحال والمعوز، صاحب الفرصة والمهمش، والخادم والمخدوم. مهما انسجموا مع بعضهم يومياً كالعائلة الواحدة، فإنهم ليسوا بعائلة. فكان سكان منزل هاورد حلقاً لا يمكن تحقيقه بالنسبة إلى عائلة مالكوم، منطقة يمكنهم النظر إليها ولكنهم لا يستطيعون الوصول إليها.

كان التكوين الخفي أشد قسوة وحزم من النظام الطبقي. لطالما أوصى لي جين-مان أبناءه ألا ينسوا أنهم أولاد الحارس وألا يعتبروا إحسان سكان منزل هاورد عليهم أمراً مسلماً به، مهما كانت معاملتهم حسنة ولطيفة معهم. حافظت العائلتان على علاقة الإيثار المبنية على التقدير والإحسان وهم على

وعى بالحدود بينهما. كما لو أنه لا يوجد ما قد يجعل علاقتهما غير مريحة ما داما يسعيان لتقبل الآخر.

كانت سماحة سكان منزل هاورد وتصرفاتهم المحسوبة تثير في النفس المهابة والروع. كانوا كقبيلة مختلفة عنهم احتفظوا لأجيال عدة بطباعهم الراقية وفضائلهم النقية. يمشون على رسلهم كطائر ذي أرجل طويلة ولم يعل صوتهم أبداً. ولكن عائلة هان-جو لم تكن كذلك. كانوا ينادون بعضهم بصوت عالٍ من أماكن بعيدة، فيصرخون منبهين بأن أحدهم نسي صندوق العدة أو أمرين بحفر الأرض أكثر عمقاً.

كانت سون أو تعز هان-جو وسو-اين ولكنها عاملتهما بحزم واضح. في يوم من الأيام، وفي أثناء صعوده للتل، لوحث بيديها الطويلتين لهان-جو. لا بد وأن هناك عطلاً ما أو خطباً ما طراً على المنزل. أسرع على عجل وصعد التل، ولكن كلامها فاجأ هان-جو.

- لقد سمعت أنك جيد في الرسم. لن يضر بأن تستمر في استخدام قبو المبنى المنفصل كمرسم. في وقت ما سأتمكن إذاً من رؤية لوحاتك؟

لم يستطع هان-جو أن يحدد ما إذا كان يجدر به أن يكون شاكرًا لإحسانها أم يشعر بالمرارة لتعاطفها ولكنه شعر بالاطمئنان لعدم فقدانه المرسم. غير أن سو-اين منذ وقت ما بدأ في تجاهل عائلة منزل هاورد متعللاً بحجج مختلفة. وبشكل طبيعي، الت

أعمال منزل هاورد كافة إلى هان-جو.

وفي مساء أحد أيام السبت، تذمر هان-جو من قضائه فترة الظهيرة بأكملها في تشذيب العشب حتى تصببت منه أكوام من العرق. اكتفى والده بمضغ الطعام دون أن ينبس بكلمة. بدا أنه يرى أن سو-إين يرغب في التركيز على دراسته. ترك هان-جو الملعقة واتجه إلى الرواق. وفي وسط الظلام، تصاعدت الرائحة المرة للعشب المقصوص.

- أنا أسف لتركك تعمل بمفردك... علي أن أنتهي من بعض المواد الدراسية خلال عطلة هذا الأسبوع. لم يتبق الكثير من الوقت على الامتحانات.

كان هذا ما قاله له سو-إين بعد أن تبعه للخارج. أوشك هان-جو على أن يرد عليه ولكنه تراجع عن ذلك. فقد كان سو-إين السفير المفوض للعائلة بالنسبة إلى الدراسة. منذ أن كان طالبًا في المدرسة الابتدائية، لم تفته جائزة الطالب الفخرية مرة واحدة، كما حصد كل الجوائز والأوسمة حينما كان يمثل المدرسة في مختلف المسابقات. وكانت المبالغ التي يحصل عليها كجوائز تغطي مصاريف الدراسة لهما والمصاريف الحياتية الأساسية للعائلة. اشتعل غضب هان-جو لإدراكه لحقيقة أن سو-إين يستغل هذا الأمر بذكاء.

- اقتراب موعد الامتحانات يسري علي أنا أيضًا. ولكنني قمت بقص العشب وحدي طيلة فترة ما بعد الظهيرة وقمت بتنظيف أنابيب الصرف كذلك.

تردد هان-جو قليلاً ومن ثم تابع حديثه:

- أنت تتحجج بالدراسة ولكن سبب عدم ذهابك هو أنك تنقصك الشجاعة. كل ما في الأمر... أنك تخجل من كونك ابن الحارس.

لم ينكر سو-إين ذلك. فلم تكن هناك لحظات يدرك فيها منزلته الحقيقية بشكل واضح أكثر من تلك التي يتعامل فيها مع سكان منزل هاورد. أما في الفصل الدراسي، كان هو المسيطر بلا منازع. تقبل الجميع موهبته دون نقاش وكان صمته يبرز هيئته أكثر. فحتى عند حل مسائل الرياضيات، كان المدرس يتفقد تعابير وجهه بعينين متوترتين.

ولكن الوضع يختلف ما إن يتخطى باب المدرسة. ففي منزل هاورد، لم يكن سوى ابن الحارس. كانت منزلته تنقسم بشكل واضح إلى قبل وبعد الذهاب إلى المدرسة. مثل سندريلا التي تعين عليها أن تعود لشكلها المزري بعد انتهاء الحفلة. مهما حاول أن يقنع نفسه بأن والده مسؤول صيانة وأنه ليس بالضرورة أن يكون ابنه كذلك، كانت منزلته مثل اسمه، واضحة وضوحاً تاماً، وهي ما تفرض عليه كيانه النهائي.

وفي عطلة الأسبوع التالية، ذهب الأخوان إلى منزل هاورد. وقاما بتشذيب اللبلاب المتعروش في حوائط المنزل حتى السقف ومن ثم انتزعا أوراق الشجر الملتصقة بالمواسير. وبعد ذلك، صعدا إلى السقف دون سلم متسلقين أعمدة الرواق. تمكنا من أن ينهيا عملهما قبل غروب الشمس بفضل التركيز دون كلام. خلعا قميصيهما وتمددا على السقف

أسفل أشعة شمس الغروب.

كان شكل منزل مالكوم من الأعلى أكثر دناءة
وصغراً عما اعتقدا. زاد شعور سو-إين بالنقص، كان
يفهم جيداً خطورة مثل هذه المشاعر. في حين لم
يهتم هان-جو لمزاج أخيه وأخذ يتحدث عن سكان
منزل هاورد.

- أتمنى لو كانت لديّ أخت صغيرة لطيفة مثل هيه
ري.

كانت تعابير وجه سو-إين غير مبالية. لم يكن
هناك ما يضحكه، وحتى وإن حدث وابتسم، تظل
تعابير وجهه توحى بالسخرية. لم يكن يعبأ بمدى
تقبل الآخرين لتعابير وجهه، كما لو أنه تعهد على
نفسه بأن يكون وقحاً وفضلاً أمام الجميع. لم يهتم
أبداً باتحاد الطلبة أو النشاطات الطلابية مهما
غرض عليه، ولم يتول مسؤولية أمانة الفصل ولو
مرة واحدة. كما تعمد تجاهل زملائه الذين يمررون
المجلات الإباحية بينهم وهم يضحكون. مر بالفعل
وقت طويل لم يعد يتمكن فيه من فهم طريقة
تفكير أخيه وتصرفاته، ولكن هان-جو على أي حال
تجاهله واستمر في حديثه كما أراد.

- جي سو... ما رأيك بها؟ ألا تعتقد أنها جميلة؟

- لتجرب حظك إذا.

استند سو-إين إلى سور المدخنة وابتسم
ابتسامة واسعة وسط الشمس الغاربة. أساءت هذه
الابتسامة لكرامته مع أنها بدت كفلس على سبيل
الصدقة، ولكنه كان شاكرًا لها في الوقت نفسه.

انبسطت منطقة وسط المدينة القديمة أسفل الجانب الجنوبي من التل الذي تمركز عليه المجمع التبشيري. فبدأ من الكنيسة والمستشفى، امتد الشارع الرئيسي حيث جاءت على جانبيه المناطق السكنية والصناعية. وعلى مسافة كيلومتر تقريباً من جهة الشرق، كان يسري مجرى بوريم المائي ليقطع المدينة إلى نصفين. كان مجرى مائياً حجمه صغير على أن يكون نهذاً، بيد أن الناس لم يترددوا في وصفه بطريق ضفة النهر أو شاطئ النهر أو جانب النهر. وهناك ناحية منبع مجرى بوريم، يوجد سد بوريم وفي منطقة المصب حيث يتسع النهر، تقع الأراضي الزراعية حيث تتكاثف الصوب الزراعية في كل مكان. وكان الطريق الممتد من الجهة الشرقية المقابلة للمجمع التبشيري يتصل بطريق ضفة النهر عند نهاية مجرى بوريم المائي.

كان الشكل الخارجي الفاتن لمنزل هاورد الذي يتواءم مع حافة التل المنبسطة والحديقة المشذبة بعناية يغري المصورين والرسامين الهواة. فلا تنقطع أصوات أزرار الكاميرا في صباح أيام هبوط الثلوج، وفي موسم الربيع حينما تفتتح أزهار الكرز، كان أعضاء نوادي محبي الرسم يفتشون التل من كل الجوانب.

وفي الأيام المشمسة، كان هان-جو يثبت حامل اللوحات ويقضي اليوم في مراقبة نقاط الظل والنور، والخطوط الناعمة والحادة لمنزل هاورد والمتغيرة تبعا لتغير حركة الضوء من لحظة لأخرى.

فكان الجزء السفلي من باب المنزل والرواق، ونوافذ الطابقين الأول والثاني ونقوش الأجرة يستأثرون بحيوية ساطعة ما إن يحل وقت الظهيرة. أما مع اقتراب المساء حينما تميل الشمس تجاه الغرب، كانت تنثر جسيمات ذهبية على المكان ووقتها يبرز الجانب الأمامي للمنزل فيحدث التنافر الواضح بين أشعة الشمس الحادة والظل في وضعية رصينة تشبه المحاربين القدامى.

كانت مهارة هان-جو في مراقبة المناظر والتعبير عن المشاعر التي تتخلل تعابير وجوه الأشخاص فائقة. فمذ الرابعة من عمره كان يرسم الحمام والقطط المستلقية أعلى السور، وكذلك كان يرسم والده وهو يصلح السور. بيد أن والده جين مان كان يراقب بقلق ابنه الذي ما ترك مكانًا فارغًا إلا وملاه بالشخبطة سواء كان ذلك على حائط أو أرضية. كان يعرف جيدًا أن مهارة اليد التافهة لا تفيد في الحياة بل قد تكون عبءًا عليها ولكنه لم تكن لديه القدرة ليأمره أو يوجهه بأن يغير ما يرغب في أن يصبح عليه في المستقبل. وشعر أن موهبة ابنه الذي يشبهه لعنة وليست فخرًا.

جلست جي-سو في فترة ما بعد الظهيرة إلى جانب النافذة الزرقاء بغرفتها وانعكفت على القراءة. بدت كما لو أنها تتجاهل هان-جو الذي بسط معدات الرسم وأنه لا يهتمها على الإطلاق. غير أن نظرات هان-جو المثبتة لم تعرف طريقًا آخر بعيدًا عن تعابير تلك الفتاة التي تتغير كل لحظة وكأنها عارضة تقف أمام الكاميرا. لم يتمكن من التخلص

من السعادة الخفية التي تتملكه في أثناء مراقبته لحركات جسدها مهما حاول التركيز على رسوماته.

وما إن حل شهر سبتمبر حتى قصر وقت النهار بسرعة فأصبح كالقطط الضالة التي تسرق الخبز في خفة. أسرع هان-جو في الرسم لينهي عمله قبل غروب الشمس. وفجأة تسلت إليه رائحة ربما أريج ورد أو عطر.

- خيبت ظني. كنت أعتقد أنك ترسمني ولكنه رسم لمنزل هاورد. لم أكن أعرف هذا لذا لم أبرح النافذة...

لم يتمكن من تحديد ما تعنيه تعابير وجه جي-سو المتفحصة للوحة، ما إذا كانت مندهشة أم ساخرة. أشار هان-جو بطرف الفرشاة إلى نافذة الطابق الثاني التي رسمها بشكل أكبر من حجمها وقال وهو يتهته بعض الشيء.

- هذا... هذا فقط الأساس. سأقوم مبدئيًا برسم المنزل ومن ثم سأرسم شخصية في الطابق الثاني.
- شخصية... من؟

سألته جي-سو وعيناها تملؤها الفضول. تهته هان-جو في رده أمام شعور الترقب الذي تملك جي-سو والذي بدا أنها قد تنفجر إذا ما سمعت اسم شخص آخر غيرها.

- أنت... سأرسمك أنت. إذا... إذا سمحت بذلك.

نظرت جي-سو لفترة طويلة لعيني هان-جو وكأنها تقراها لتعرف ما إذا كانت إجابة هان-جو صادقة

أم لا. ولكن إجابته كانت محددة منذ البداية وعرفت جي-سو تلك الحقيقة. رغب هان-جو في تغيير الموضوع.

- عندما أرسم، أجد أن ملامح المنزل تتغير من لحظة لأخرى وفي بعض الأحيان يصدر عن السقف صوت صفير. في تلك اللحظة، أفكر في أن هذا المنزل حي. كلامي ليس خطأ بالمرّة. فهذا المنزل حافظ على مكانه في هذه البقعة من قبل حتى أن نولد نحن بزمن طويل.

أكمل هان-جو الخطوط الرفيعة لطرف الماسورة بقلم رصاص جديد ذي طرف مدبب. أجابته جي-سو وعيناها مثبتتان على نافذة الطابق الثاني المربعة حيث ستكون رسمتها.

- هل يحب أخوك أيضًا منزل هاورد مثلك؟

ضاقت عينا هان-جو؛ لقد كانت تعامله بالطريقة نفسها التي يراه بها الآخرون. كان الناس غالبًا ما يعتقدون أنه بمثابة أخيه الأكبر، أو أنه رسوله. فما إن يقابلوه حتى يسألوه عن أحوال أخيه ويستنبطون آراءه ويلمحون بما يرغبون في سؤال أخيه عنه.

- أسأليه بنفسك.

وفي اليوم التالي واليوم الذي تلاه، بسط هان-جو «الكانفس» على التل. كان جوهر منزل هاورد يدخل إلى قلب هان-جو في اللحظة التي يتفحصه فيها بنظرة الفنان وليس بنظرة ابن الخادم وعامل الإصلاحات. رسم هان-جو اللبلاب الذي يتعرش

السور المدبب وحوائط الأجرة، والقرميد الأزرق الذي يتغير لونه في خفاء مع اختلاف الوقت.

أحيانًا ما تتردد عليه جي-سو وأحيانًا أخرى تأتي هيه ري. وفي أيام أخرى كانتا تأتيان معًا لمشاهدة لوحته. ينتابه شعور حينها بأنه أصبح ملكًا في تلك اللحظات التي يسترق فيها النظر إلى لمعان أعينهما المليئة بالفضول.

مع بداية الخريف، تغير ميل أشعة الشمس وهدأت حرارة الرياح لتصبح أكثر برودة. في صباح يوم أحد، قام هان-جو بدهن جنزير الدراجات الثلاث المتوقفة أمام منزل هاورد. كان الأهل بكلا المنزلين قد وافقوا على زهاب الأولاد في رحلة للتنزه الجبلي بالدراجات، وكان مقصدهم منزل العطلات الخاص بعائلة جي-سو والذي لا يبعد كثيرًا عن السد.

انطلق هان-جو أولاً بعد أن اجلس هيه ري في المقعد الخلفي للدراجة. لحقت به جي-سو مباشرة ومن بعدهما سو-إين. بدوا وهم يركبون الدراجات خلف بعضهم في صف واحد كأخوة وأخوات لعائلة واحدة. تجاوزهم وثنًا نوفمبر، الكلب الأليف من النوع المختلط وقد ملاه الحماس، وعندما تأخر عنه الأولاد، توقف بمفرده ونظر خلفه. تبعهم نوفمبر بعدئذ إلى ما بعد التل ولكنه عاد إلى المنزل مجددًا وقد بدا أنه فقد حماسه للرحلة.

تناثرت شذرات من الضوء هنا وهناك وانكسر على العجلات الست الفضية لدراجاتهم وهي تقطع

الطريق لتمر من أمام محطة كهرباء فرعية ومخزن قديم. ولجوا إلى طريق ضفة النهر ومن ثم اتجهوا ناحية المنبع وكانهم أسماك سلمون تندفع عكس تيار الماء. وبعدها عبروا طريق السد، ظهر أمامهم طريق ضيق بالكاد يكفي لمرور سيارتين معًا. أفضى بهم بعد ذلك إلى طريق بداخل غابة بها مجموعة من أشجار الصنوبر والبلوط.

استمروا في طريقهم لخمس دقائق، ومن بين أشجار الغابة المختلفة، ظهر السقف الأحمر والجدران البيضاء لمنزل العطلة الخاص بعائلة جي سو. كان سكان منزل هاورد يتجمعون من فترة لأخرى بمنزل العطلة الراقى هذا والمشيد على طراز منازل البحر الأبيض المتوسط. ففي عطلة الصيف، كان بمثابة غرفة الدراسة لجي-سو وكانت هيه ري تحب اللعب في عليية المنزل.

طرح الأولاد دراجاتهم على أرضية ساحة المنزل المغطاة بالحصى لدى وصولهم. توجهت هيه ري مباشرة إلى الأرجوحة المعلقة على شجرة الزلكوفا وبعد أن هزت كرسي الأرجوحة عدة مرات، أخذت تقفز عنها مسابرة لسرعتها. بدا أنها تختبر قانون القصور الذاتي بكامل جسدها. التقط هان-جو صورة لهيه ري وهي تفتخر بالحشرة التي أمسكتها بيديها. كانت الكاميرا الفضية من نوع لايكا والتي تركها له الدكتور هاورد قبل رحيله، هي الشيء الوحيد الفاخر من ممتلكات والده.

افترشوا أرض الحديقة وأخذوا يتناولون الشطائر

التي أحضروها معهم. ومن ثم انتقلوا إلى شاطئ
البركة وأخذوا يجمعون الحصى اللامع ويجعلونه
يتقاذف في الماء. كانت تنفجر ضحكاتهم في كل مرة
تختفي فيها الدوامات من على سطح الماء وكأن
أحدًا ما يدغدغهم.

ألحت هيه ري على هان-جو بأن يلعب معها
وأخذته إلى داخل المنزل. كانت هناك غرفة معيشة
وغرفتان أخريان بالطابق الأول، وفي الطابق الثاني
كان هناك العلية وصالة تفضي إلى شرفة خارجية.
صعدت هيه ري الدرج وثبتا. كان سقف العلية
المنخفض والشبيه بمقصورة السفن مائلًا إلى جهة
واحدة. سطع الضوء المتسلل من نافذة السقف
الجميلون المستديرة بالغرفة وبرز من بعيد سطح
الماء اللامع.

أحنى هان-جو ظهره خوفًا من أن يرتطم رأسه
بالسقف وتبع هيه ري التي أخذت تقفز في نشاط
هنا وهناك إلى داخل الغرفة. كان لدى هيه ري طاقة
لا نهائية مقارنة بجي-سو التي كانت هادئة كالجماد.
لم تتوقف عن تحريك عينيها أو رأسها أو يديها
وقدميها وكانت نظراتها المليئة بالفضول تنتقل من
هنا لهنالك كطائر صغير. كانت مفعمة بالنشاط لدرجة
جعلته يعتقد أنها مخلوق أنها مخلوق لا يستطيع
التوقف عن الحركة وليست من جلد وعضلات تتعب
فتفتتر. سألته هيه ري فجأة:

- هان-جو. هل تحب أختي؟

كان سؤال غير متوقع من طفلة في السابعة أو

الثامنة من عمرها. أوشك هان-جو أن يرد عليها قائلاً: «كيف عرفت ذلك؟» ولكنه تمكن من التراجع في اللحظة المناسبة.

- هيه ري. أنا أحب أختك وأحبك أنتِ أيضًا.

قرص هان-جو خدي هيه ري برفق. في حين أخرجت هيه ري لسانها له وهي تلمس طرف شفرتها بإصبعيها السبابة ممازحة إياه. كانت حركة بسيطة ممتزجة بالمزاح ولكن استشف من خلالها النرجسية التي تتخبط بداخل الطفلة نفسها.

- هل سترسم وجهي مثلما رسمت أختي؟

- بالتأكيد... عندما تكبرين سأرسمك بشكل جميل.

عندما خرج هان-جو وهو يحمل هيه ري فوق كتفيه، كانت جي-سو وسو-إين يجلسان جنبًا إلى جنب وقد أسندا ظهريهما إلى الحائط. تشتت الضوء المنعكس عن الدراجات الملقاة على أرضية الساحة في كل اتجاه. كانت عينا جي-سو نصف مفتوحتين وهي تراقب الطيور المحلقة وسط أغصان الشجر. كان كلاهما صامتا. تهيأ له أنهما ربما انتهيا للتو من حديث طويل وأنهما يحظيان بفترة قصيرة من الصمت أو ربما كانا على هذا الحال طوال الوقت. فهذا الصمت لم يكن صمتًا فارغًا بل كان صمتًا مليئًا بالتوتر.

كان طريق العودة مفروشًا بأشعة شمس الغروب. حرك هان-جو دواسات الدراجة بانتظام كما يحرك البحار مجدافيه. ومضت الذكريات والمناظر التي رآها اليوم أمام عينيه. فكر في أن جسده عبارة

عن طبق يُعبأ به المناظر والذكريات. مهما كانت
الذكريات سعيدة، فإنها تختفي مع الزمن، ولكن إذا
ما حاول أن يخزنها في ذاكرته فستبقى هناك. أخذ
عهدًا على نفسه بأن يسترجع هذه اللحظة عندما
يواجه أوقاتًا صعبة فتضيق به الحياة إلى حد لا
يمكنه تحمله.

تصاعدت رائحة الطعام من باب المنزل المفتوح
على مصراعيه فور وصولهم إلى منزل هاورد.
أسرعت هيه ري إلى والدتها فور توقف الدراجة.
في حين علا وجه سون أو ابتسامة كأنها مرسومة
بالفرشاة وهي تتفقد أوجه الأولاد.

كان العشاء جاهزًا وموضوعًا على الطاولة
بالشرفة. حثت سون أو الأولاد على تناول المزيد من
الطعام طوال فترة العشاء، كما قدمت لهم العصائر.
كانت عيناها مليئتين بالصبر والدفء وهي تشاهد
الأولاد وهم يأكلون وتنصت إلى أحاديثهم. غرق
سو-إين في الوهم حيث تهيأ له بأنها تنظر إليه فقط.
لم يسبق لوالدته أن قامت بشيء كهذا. لطالما كانت
والدتها متعبة أو ثملة في أكثر الأوقات عندما كانا
بحاجة إليها، وكان الأخوان الصغيران يأكلان الطعام
في صمت ما إن يوضع على الطاولة.

حل الظلام وازدادت برودة الجو. وعلا صوت
صرصور الليل وطين حشرات العشب. انقضى ليل
شهر أكتوبر وهم يضحكون ويتسامرون ويعبسون
ويمزحون مع بعضهم، كما لو كانوا أخوة وأخوات
عادوا إلى المنزل بعد غيبة طويلة في يوم عيد

قبل جين مان بسرور عرض هيه جيه بأن يسمح لسو-إين وهان-جو بأن يستخدموا غرفة الجلوس بالطابق الأول لمنزل هاورد كغرفة للدراسة. فلقد كان جين مان متأزماً طوال الوقت من قضاء أبنائه للوقت بالغرفة الضيقة بالطابق الثاني والمفصولة بلوح خشبي إلى غرفتين. مع اقتراب موعد امتحان القبول في الجامعة، كان سو-إين يواصل الدراسة في الفصل بعد انتهاء الدوام المدرسي لعدم وجود غرفة دراسة لائقة بالمنزل، أما هان-جو فقد تخلى عن فكرة الدراسة من الأساس. وفي مساء ذلك اليوم، طرح جين مان على أبنائه بحذر اقتراح هيه جيه في أثناء تناولهم العشاء.

- لست في حاجة إلى غرفة دراسة كذلك.

رفض سو-إين الأمر ببرودة وترك ملعقته ومن ثم عاد إلى غرفته. حدق جين مان إلى كرسي سو-إين الفارغ ومن ثم نهض وترك المكان خلفه. كان أزيز الكرسي وهو يجره على الأرضية الخشبية أشبه بالأنين. خرج إلى الشرفة بخطوات بطيئة وكأنه نبات يلقي بجذوره بالأرض. وما كان من مي ران الخادمة سوى أن أصدرت ضجيجاً مفتعلاً وهي تغسل الصحون وتخبطها ببعضها. بدا أن هذه هي طريققتها في إبداء انزعاجها من زوجها في صمت ولكنها في الحقيقة كانت تعبر عن غضبها من نفسها لعدم قدرتها على توفير غرفة دراسة لائقة لأبنائها. تسحب هان-جو في هدوء وتوجه إلى غرفة أخيه.

- اعتقد أن غرفة جلوس منزل هاورد مناسبة...
فهي واسعة وهادئة، أليست جيدة للدراسة؟
أجاب سو-إين على سؤال هان-جو بنبرة مستنكرة:
- ما يفكر فيه والد جي-سو هو أن أساعد ابنته في
الدراسة. ألا تفهم ذلك؟

- وما المشكلة في أن تساعدنا قليلاً؟
- أنت لا تعرف أي نوع من البشر هو والد جي سو.
برأيك ما السبب الذي قد يجعله يجر عائلته وينتقل
إلى منزل هاورد؟

أجاب هان-جو على سؤال سو-إين:
- لا أعلم. أتعرف أنت؟

- مهما استمر في التفاخر بأنه شخص عظيم فهو
ليس سوى محدث نعمة. وشراؤه لمنزل هاورد ما
هو إلا لرغبته للشعور بالفوقية لامتلاكه منزل مهيب
لأحد النبلاء الإنجليز.

- السيد هيه جيه ليس رجلاً غنياً يملك الكثير من
المال فقط، إنه مثقف ويعرف الكثير أيضاً. ألم تر
الكتب الكثيرة بمكتبة منزل هاورد؟

بالطبع. كيف له أن ينسى هدوء وراحة ذلك المكان
الواضحين وإن بدا أنهم يحاولون إخفاءهما؟ لقد زار
مكتبة منزل هاورد للمرة الأولى في إحدى العطلات
الأسبوعية وهو يحمل في يده صندوق الأدوات،
أو بالأحرى مكتبة المدير جانغ، تلك الغرفة المظلمة
والمعتمة والتي لا يدخلها ضوء الشمس في النهار،
والكتب الموضوعة على أرفف الكتب المطوقة

للجهات الأربعة، وشذا الأوراق القديمة والغبار...

غرق في الوهم في تلك اللحظة وكأنه أصبح شخصاً آخر. ففي ذلك المكان، ضفت كتب كان يرغب في قراءتها ولم تكن موجودة بالطبع في مكتبة المدرسة. أخذ يقلب في صفحات الأعداد لمجلات مر عليها عدة سنوات مثل «ديسكوفري» و«ساينس جورنال»، وانغمس في قراءة مقالات ممتعة مثل «وظائف وتطبيقات الآلات والأدوات» و«تأثير المحرك البخاري على تطور الذكاء البشري بدلاً من أوجه الحياة» و«جدل بين أينشتاين ونيلز بور».

انتابه يقين قوي بأن هذا هو المكان الذي يجدر أن يكون به. وضع صندوق الأدوات على الأرض وتحسس بيديه الكتب على الأرفف. نسي تمامًا قول والدته بأن درج طاولة المكتبة قد انعطف وأنه يصدر صريرًا وبحاجة لإصلاح، وسحب كتابًا من على الرف في هدوء، «الصخب والعنف». سمع صوتًا من خلف ظهره.

«أعتقد أن شتاينبك سيناسبك أكثر من فوكنر... إذا أردت يمكنك استعارة الكتابين».

قطعت سون أو الضوء الخافت للغرفة واقتربت منه وسحبت كتابًا من على الرف وتأملت غلافه ومن ثم أعطته لسو-إين. «شرق عدن». وما إن تحولت نظراتها إلى كتفيه حتى شعر سو-إين بأنه الابن الوحيد الذي فقدته هذه السيدة منذ زمن.

«هل يمكنني ذلك بالفعل؟».

«بالطبع. الكتب يجدر أن يقرأها من بحاجة إليها،
ليس كذلك؟ إذا كان هناك كتاب ترغب في قراءته،
يمكنك أن تأخذه وتعيده إلى مكانه بعد أن تفرغ من
قراءته. في الحقيقة والد جي-سو ليس لديه الوقت
الكافي للقراءة».

على الرغم من شعوره العميق بالرضا لحد الانفجار،
لم يتمكن من التخلص من الشعور بالتنافر بأن
هذا المكان ليس له، والشعور بالفقدان كونه ليس
صاحب هذا المكان. وفي لحظة، تملك جسده
شعور بالعداء الشديد للمدير جانغ، جانغ هيه جيه
الذي فقد أحقية أن يكون صاحب هذه الغرفة. قال
لهان-جو:

- في اعتقادك كم كتاب من آلاف الكتب المصفوفة
بالمكتبة قرأه ذلك الرجل؟ الكتب الموجودة بتلك
الغرفة ما هي سوى زينة ليتباهى بها أمام الآخرين.
كان سو-إين دائمًا ما يهاجم ببرود أي كلام يقوله
هان-جو يبدي فيه تقديرًا تجاه المدير جانغ. وفي
كل مرة كان هان-جو يهز رأسه ويدافع عنه.

- أعتقد أنك تفكر بشكل سيئ فقط في والد جي
سو. فهو يتبرع بالكثير لمساعدة المحتاجين ويقوم
بالكثير من الأعمال الجيدة. يقال أيضًا إنه سيتقدم
لانتخابات محافظ المدينة المقبلة...

كان سو-إين يغار بشدة من شخصية أخيه الأصغر
المتفائلة والتي يتقبل فيها العالم بوجهه الحسن؛
فهو لم يتمكن من هذا. كان إحسان وتعاطف هيه
جيه الواضح يسبب له الضيق وبدا له شعور المحبة

تجاه سكان منزل هاورد بمثابة إنكار لذاته. ولكنه لم يتمكن من رفض رغبة هيه جيه. فمن الأسبوع الذي تلاه، تجمع الأولاد حول الطاولة التي تكفي ثمانية أشخاص في غرفة الجلوس ليذاكروا معًا.

في العام التالي، انتهى هان-جو من رسم أربع لوحات ملونة لمنزل هاورد خلال الفصول الأربعة وتقدم بها للمسابقة الفنية بالمدرسة. بدأ منزل هاورد في اللوحات وكأنه يحاول بشدة ألا ينهار وسط الرياح العاصفة وكان هناك عند نافذة الطابق الثاني فتاة ترتدي فستانًا أبيض.

كانت الفتاة في لوحة «الربيع» تنظر إلى الأسفل بلا مبالاة، أما في لوحة «الصيف» فتقف في مواجهة الرياح أمام النافذة المفتوحة وسط ليل عاصف وممطر. وفي لوحة «الخريف»، كانت مغطاة بظل شجرة الزلكوفا وبالكد ترى، وفي لوحة «الشتاء»، كانت مرسومة على هيئة «سلويت» في الخلفية الصفراء لنافذة الطابق الثاني المضيئة وسط ليل مكسي بالثلوج.

كانت الفتاة في كل اللوحات تثير في الخيال صورة المجند الذي يراقب المستقبل من أعلى برج المراقبة دون الخضوع للوقت والمصير. تلقت لوحة «الصيف» التي نال عنها الجائزة الكبرى بالمسابقة الكثير من المديح لتركيبها وألوانها وتفصيلها الدقيقة وقد أظهرت شكلًا جديدًا غير الذي اعتاده الناس عن منزل هاورد.

في حين ازدادت ثروة الطلاب الصبيان حول

هوية المنزل والفتاة التي تظهر في اللوحة، لا بد أن الأمر كان فضيحة مثيرة للطلاب في ذلك العمر ولكن تلك الإشاعات ما لبثت وفقدت قوتها أمام قوة اللوحة التي تطفئ على كل من يشاهدها. وعلى النقيض من ذلك، منحت المشاعر والإشاعات المختلفة التي أثارتهما اللوحة هيبة خفية لها-جو. وأيا كان السبب الرئيس في هذا، سواء كان منزل هاورد أو جي-سو أو اللوحة نفسها، كان للوحة قوة وجمال لا يمكن إنكارهما.

بدأت نشرة أخبار المساء ولم تعد جي-سو إلى المنزل بعد. استمر التليفزيون في عرض تحقيقات إخبارية عن أوضاع إعادة الهيكلة بالشركات وحياة العمال الفسرجين بعد قرض الإنقاذ من صندوق النقد الدولي ومن بعدها تقارير تطالب بوضع سياسات لمعالجة مشكلة المشردين بلا مأوى وتبع ذلك نشرة أحوال الطقس التي تنبأت بطقس شديد الحرارة. ألقى هيه جيه نظرة خاطفة على ساعة الحائط ليتحقق من الوقت. لم يكن لدى ابنته سبب قوي يدفعها لافتعال المشكلات كالمراهقين الآخرين، كما لم يسبق لها ذلك.

تضاعف قلقه مع اقتراب الوقت من الساعة العاشرة ليلاً. وثار غضبه على زوجته التي لم تعد إلى المنزل أيضًا أكثر من ابنته. كان دفعه بزوجه للمشاركة النشطة في الأعمال الخيرية ولقاءات المعارف نابغا من العرف السائد في المحيط السياسي بأن «السياسة يقوم بها الرجال والانتخابات تسييرها النساء». وعلى الرغم من ذلك،

بدا له أن إهمال الأم لأعمال المنزل أمر غير مقبول. هل كان مخطئًا في يقينه الأعمى بأنها ستحسن إدارتها للمنزل على أكمل وجه حتى مع نشاطاتها خارجه؟

ثار اضطراب سون أو بعد عودتها إلى المنزل وقد تخطت الساعة العاشرة ولم تتمكن من تغيير ملابسها. أخذت تقرأ قصة لهيه ري التي لم تخلد للنوم بعد وحينما عادت للطابق السفلي، كانت الساعة قد تخطت الحادية عشرة، لم تتمكن من الصبر أكثر واتصلت بمنزل مالكوم. أقبل سكان منزل مالكوم في عجل. وبعدها تبادل الرجال بعض الغمغات سريعًا وقد علت وجوههم تعابير متصلبة، تفرقوا في الظلام كالكلاب التي تبحث عن فرائسها من طيور الدراج. وبعد الثانية صباحًا، عادوا واحد تلو الآخر وقد تهالكت سيقان سراويلهم وتلونت بزرقه داكنة بسبب أوراق العشب. لم يكن هناك أي خبر عن جي-سو حتى ذلك الوقت.

قبضت سون أو بيديها بقوة حتى ابيضت كل أصابعها. لم يكن مجرد شعور بسيط بالعجز لعدم تمكنها من فعل شيء، بل أثقلها شعور قوي باليأس مع ألم شديد وكان أمعاءها تتلوى. على الرغم من أملها في عودة ابنتها سالمة بعد أن تكون قد قضت الليلة بأكملها في منزل صديقتها، كانت مترددة حول ما يجدر بها أن تفعله وقتها، أتعنف ابنتها أم تربت عليها دون أن تنبس بكلمة؟

بعدها انقضى الليل، اتصلت سون أو بكل الأرقام

التي تعرفها. أجابتها المحاضرة التي تلقت المكالمة بالمركز التعليمي الخاص بأن جي-سو لم تأت إلى المركز بالأمس. وقالت الطالبة التي تعزف معها في جوقة الكنيسة بأن آخر مرة قابلت جي-سو كانت في يوم الأحد الماضي خلال التمرين. في حين أجابها المدرس المسؤول عن صف جي-سو والذي كان في المدرسة من أجل التحضير لبدء الدراسة:

- كنت أتساءل أنا أيضًا بعدما لم أتمكن من رؤيتها صباح اليوم. لقد اعتادت القدوم إلى المدرسة منذ الأسبوع الماضي للتحضير لمسابقة النقاش باللغة الإنجليزية. هل... هل هناك خطب ما بالمنزل؟

كانت يد سون أو الممسكة بسماعة الهاتف رطبة من العرق. اشتد الجفاف في شفثيها لدرجة أنها لم تعد قادرة على الكلام.

- أه... حسنًا... ليس بالأمر الجلل.

حدق هيه جيه إلى شفثي زوجته الياستين وغمغم محدثًا لنفسه.

«ليس بالأمر الجلل؟ إذا لم يكن هذا بالأمر الجلل ما هو إذا؟».

لطالما اعتقد أن شخصية جي-سو السلبية خطأ زوجته. لم يكن مهقًا ما إذا كان السبب وراء ذلك وراثيًا أو أنه بسبب التربية غير الصحيحة. فقد كان شكل جي-سو الرقيق المشابه لزوجته يعطي إيحاء بالوهن وحتى شخصية زوجته العقلانية برزت في ابنته في شكل ضعف. داب على معاتبة ابنته بأن تطالب بحقها ولا تفرط فيه من أجل الآخرين، كم

أمرها بأن تقص شعرها الطويل الذي يجعلها تبدو ضعيفة. ولكن جي-سو التي قصت شعرها لم تبدو كجي سو، بدت غريبة كأنها تحاول أن تبدو شخصاً آخر ولم تتمكن من ذلك.

كانت الطفلة هيه ري على النقيض من جي سو. فهي تشبه هيه جيه وإن لم تكن جميلة، كانت لديها ملامح بارزة وشخصية مفعمة بالطاقة تعشق الجدل، فضلاً عن تلك النظرات التي تخترق النفوس لتعرف مكنونها. ما إن تبدأ في الحديث حتى يصاب الكبار بالتعب. فكانت تصب عليهم الأسئلة صبا وإن لم يتمكن أحدهم من الإجابة، ترميه بنظرات كأنه يرثى لحاله. لم تكن مثالا للذكاء البسيط، بل أقرب لطفلة ناضجة جريئة تعرف كيف تستأثر بحب الآخرين لنفسها.

سلطت أشعة الشمس المنعكسة داخل الغرفة من النافذة الواسعة كتلة مربعة من الضوء على الأرضية الخشبية. رفع سماعة الهاتف في صمت. لم يكن ممكناً تأجيل إبلاغ الشرطة أكثر من هذا.

في الساعة الحادية عشرة والنصف ظهراً، سمع صوت تهشم الحصى بالساحة الخارجية لمنزل هاورد. تزلزل شرطيان من سيارة الشرطة. عزف المحقق الذي كان في الأربعينيات من عمره نفسه على أنه الرقيب يون سان من قسم التحقيقات الجنائية بمركز الشرطة. لم يمتلك جسفاً طويلاً لكنه كان رجلاً ذا رقبة سميكة مجمدة يعلوها شعر قصير كشعر الرياضيين.

خلفه كانت تقف شرطية في الزي الرسمي. كانت طويلة وذات تقاسيم صلبة، وعلا وجهها آثار الحبوب. أوحى ملامحها بعزيمة قوية ودؤوبة، وإن كانت تبدو أنها تفتقر للمرونة. عرّفها يون سان على أنها الشرطية نام بو-را والتي تم تعيينها من فترة قريبة في فصل الربيع الماضي.

- بعكس المتوقع، يترك الكثير من الأولاد لأسباب لا نتوقعها المنزل. لا ينطبق هذا على الأولاد المشاكسين بل أيضًا على الملتزمين. أغلبهم يعودون بأنفسهم إلى منازلهم بعد يومين أو ثلاثة، أو أسبوع على الأكثر. لم تمض أربع وعشرون ساعة بعد على اختفائها، لنتظر قليلًا.

قال يون سان هذا وقد كان تصرفه غير مبالٍ مقارنة بالحوادث الجنائية التي تحدث بلا انقطاع. لا بد وأن نيته كانت تهدئة عائلة الضحية، غير أن سون أو شعرت بالإهانة بدلًا من العزاء. هل يعني أن عليهم الانتظار لأنه لم تمر أربع وعشرون ساعة بعد، وأن ابنتها ستعود بعد مرور خمس وعشرين ساعة؟ أم بعد ست وثلاثين ساعة؟ أم بعد ثماني وأربعين ساعة؟

طلب منها يون سان أن تطلعه على ملامح وملابس جي-سو بالتفصيل.

- حسنا... لقد ارتدت الزي المدرسي صباحًا وخرجت. شعرها قصير يصل إلى منتصف الرقبة. وماذا هناك أيضًا؟ اه... كانت ترتدي حذاء رياضيًا أبيض، من ذلك النوع الذي ترتديه الطالبات على

الذي المدرسي.

تخلل وجه يون سان تعبير محبط. زي مدرسي، قصة شعر قصيرة، حذاء رياضي أبيض، هكذا تكون ملامح وملابس الطالبات على حد سواء. كانت نام بو-را تسمع وتسجل إجابات سون أو في مفكرة صغيرة بحجم اليد. سأل يون سان مجددًا:

- هل هذا كل شيء؟ هل لديها مثلًا علامة مميزة في جسمها أو طريقة ملفتة في السير...

حاولت سون أو بكل قوتها أن تسترجع طريقة سير جي سو، وأسلوبها في الكلام، وتعابير وجهها، وطريقة تعاملها مع الآخرين. ولكنها لم تتمكن من التفكير في شيء.

- لا أعرف. كانت الحقيبة التي تحملها على ظهرها ذات لون أزرق داكن. لا، ربما كانت ذات لون عنابي داكن؟

تطلعت سون أو إلى زوجها بوجه على وشك الانفجار في البكاء. عدل هيه جيه على كلامها بأن الحقيبة ذات اللون العنابي كانت حقيبتها السابقة قبل أن تستبدلها بحقيبة زرقاء اللون منذ عام مضى. سجلت نام بو-را كل ما قالاه. ومن ثم استكملت سون أو حديثها.

- تلقيت مكالمة من جي-سو في حوالي الساعة الواحدة والنصف ظهرًا. أبلغتني بأنها ستحضر مع صديقتها من المجموعة نفسها مسابقة النقاش باللغة الإنجليزية والتي ستقام في المدرسة بعد شهر. لم أشغل بالي بالأمر كثيرًا. فكثيرًا ما كانت جي-سو

تتردد على المدرسة خلال العطلة من أجل التحضير لمعرض اللوحات الشعرية أو تدريب الكورال وغيرها من النشاطات المدرسية.

- ما اسم صديقتها تلك؟

عصرت سون أو ذاكرتها. وشعرت لحظتها بأنها غبية لعدم قدرتها على حفظ اسم صديقة ابنتها التي هي من المجموعة نفسها. لسبب ما لم تدركه، تهيأت لها صورة جي-سو وهي راقدة في المهد. عينها السوداء وان الغارقتان في عالمها الخاص، ذراعها ورجلاها التي تتخبط في الفراغ في محاولة الإمساك بشيء ما.

- أخبريني عندما تتذكرين. لدينا طرقنا الخاصة لنعرف من هي... هل يمكنني أن أرى صور جي سو؟ سنحتاجها لطباعة نشرات إعلانية للبحث عنها.

أخرج هيه جيه من درج خزانة العرض ألبوماً لصور العائلة وأعطاه إياه. تفحص يون سان الألبوم سريعاً ومرره لنام بو-را. تفقدت نام بو-را الألبوم بعناية وأخذت قلب في صفحاته. لا بد عند اختيار الصورة التي ستوضع في النشرة المطبوعة أن تكون حديثة. وفي حالة المراهقين الذين يتغير شكل وجوههم ما بين الصباح والمساء، القاعدة تحكم بضرورة البعد قدر المستطاع عن الصور التي تظهر فيها المشاعر على الوجه أو التعابير الضاحكة.

كانت جي-سو في أغلب الصور التي في الألبوم تنظر إلى الأمام. كانت تعابير وجهها مشرقة وهادئة ولكن هناك شيء من الجمود فيها. وجهها يوحي

ببرودة شديدة وأنه يحمل الكثير من الأسرار. يأملون في أن يكون الأمر مجرد هروب من المنزل لأسباب بسيطة وأنها ستعود بعد بضعة أيام. بعد أن تفقدت الألبوم لفترة طويلة، أشارت نام بو-را إلى صورة وقالت.

- ما رأيك في هذه الصورة؟ أعتقد أنها تبرز شخصية الفتاة المفقودة أكثر من الصور الأخرى التي تبدو فيها متصلبة بعض الشيء.

أخفضت جي-سو رأسها في الصورة قليلاً ولكن عينيها كانتا مفتوحتين قليلاً وترفع نظرها، بدا عليها أنها غاضبة، لكن وجهها تخللته ابتسامة خفيفة على طرفي شفثيها. نزع يون سان السلوفان عن الصورة وأخذها وطلب أن يرى غرفة جي سو. أرشده هيه جيه وسون أو إلى الطابق الثاني.

كانت غرفة الفتاة أشبه بالبئر العميقة والمظلمة. لم يكن بها أي من صور المغنيين أو لاعبي البيسبول المعتادة في غرف الفتيات من عمرها. وعلى النقيض من ذلك، غلقت على الحائط شهادات تقدير في مختلف المسابقات من ضمنها أيضاً جائزة الطالبة المثالية، واكتظ الرف بالدروع والأوسمة. على الحائط بالجهة المقابلة، كان هناك ملصق للرسامة جورجيا أوكيف، كما كانت شراشف السرير مرتبة بعناية. أمعنت نام بو-را النظر في الغرفة بعينين نصف مغلقتين، وسجلت أماكن الأشياء والمميز بالغرفة بمفكرتها.

كانت الكتب المدرسية والمراجع مصفوفة على

رفوف خزانة الكتب بترتيب المواد الدراسية وإلى جانبها كتابين: «الجريمة والعقاب» و«قصة الفن»، بالإضافة إلى كتب عن الفن في عصر النهضة والأعداد السابقة من مجلات الطلاب، كلها مرتبة وفقًا لنظام معين. كانت هناك أيضًا نسخة جيب لرواية «هاملت» أعلى الطاولة مقلوبة على ظهرها ومفتوحة، بدا أنها كانت تقرأها. توقفت عند المشهد الذي تخبر فيه جرتروود لايرتيس بموت أوفيليا. قلبت نام بو-را الكتاب على الصفحة المفتوحة كما كان وخرجت من الغرفة.

عندما عادا إلى الطابق السفلي، خرجت سيدة في الأربعينيات من عمرها من المطبخ ترتدي منظرًا أبيض وتحمل صينية عليها البسكويت والقهوة. قال هيه جيه:

- إنها السيدة التي تساعدنا في أعمال المنزل، زوجة لي جين-مان مسؤول الصيانة بمدرسة هيميل الإعدادية والثانوية. وتقطن في منزل مالكوم أسفل التل قليلًا.

مسحت السيدة يديها في المنزر وأحنت ظهرها. ألقى يون سان التحية أولاً ثم سألها عن موعد انتهاء عملها. أجابته مي ران بصوت هادئ:

- في الغالب يكون نحو الثامنة والنصف مساءً بعد الانتهاء من التنظيف بعد وجبة العشاء. أنتهي من عملي مبكرًا عن هذا الوقت إذا ما تأخر المدير في العودة أو إذا كان المدير وزوجته في الخارج معًا.

- وماذا عن عشاء ليلة البارحة؟

- انتظرت للساعة العاشرة تقريبًا لتأخر سيدة المنزل وجي-سو وبعدها عدت إلى المنزل. اتصلت سيدة المنزل بعد الساعة الحادية عشرة بقليل وأخبرتنا بأن جي-سو لم تعد إلى المنزل بعد. عدت إلى منزل هاورد بعدها مباشرة وتفقدت معها غرفة جي-سو والشرفة والقبو والحديقة. في حين قام زوجي والولدان بالبحث عنها مغًا من محطة الحافلة أسفل التل وحتى القمة.

أوما يون سان برأسه ووضع صورة جي-سو بجيبه. أوشك على الخروج ولكن قبلها التقط حفنة من البسكويت ووضعها في جيب سترته.

- أتمنى ألا نحتاج إلى استخدام الصورة. سأردها لكم فور عودة جي سو.

في طريقهما للعودة، سألت نام بو-را يون سان:

- سيدي الرقيب، ما قلته منذ قليل...

- ماذا؟

- هل تظن حقًا أن جي-سو هربت من المنزل؟

- لا أعرف.

- ولكن لماذا تعطي أملاً فارغًا لأهل الفتاة المفقودة؟ لم يكن هناك داعٍ لأن تقول هذا.

بدا صوت نام بو-را محملاً بالعتاب. حك يون سان شعره الأشعث. لا تزال الوافدة الجديدة غير خبيرة بعد ولكنها حذرة. وبدا أن وجهها أيضًا يصبح عنيفًا مع معالجة الأمور بتحايل. فهي لا تعرف عالم الجريمة بعد. ذلك العالم غير المنطقي والمنافي

للعقل والذي تحدث فيه أمور غريبة يصعب تقبلها أكثر من الأمور التي يمكن فهمها بالمنطق والعقل.

- لأنني أتمنى ذلك أيضًا. أعني أنني أتمنى مثل هؤلاء الناس تمامًا أن تعود الفتاة إلى المنزل سالمة كما لو أن شيئًا لم يحدث. فالتفكير في الأمر على أنه حادثة هروب من المنزل أفضل للجميع إلى أن تصلنا مكالمة من مختطف أو يتم اكتشاف جثة لها. على كل حال، التحلي بالأمل أمر جيد.

أخرج يون سان البسكويت من جيبه وأخذ يمضغه محدثًا صوتًا وركز نظره على الأسفلت الساخن أسفل أشعة الشمس اللافتة وزاد الضغط على دواسة الوقود.

تغير مسار الحادثة التي تم تصنيفها على أنها حادثة هروب من المنزل إلى قضية جنائية خلال أربعة أيام. وبشكل مبدئي، تم استبعاد احتمالية الخطف. كان ذلك قرارًا مؤقتًا، فبالنظر إلى النمط المتبع في جرائم الخطف، يكون هناك تواصل بأي طريقة من طرف الخاطف خلال الثمانية وأربعين ساعة الأولى. قامت الشرطة بتصميم نشرة مطبوعة للبحث عن الفتاة المفقودة، على الرغم من أنهم لم يستبعدوا احتمال أنها قتلت.

تحرى فريق التحقيق المنطقة الموصلة ما بين منزل هاورد والمدرسة، ومنطقة السد والخزان، ومنطقة وسط المدينة. بيد أن نتائج التحريات لليومين لم تكن مرضية ولم يكن هناك كذلك مشتببه فيه بعينه. ولم يظهر أي أثر بمحطة القطار أو

الحافلة يدل على أن جي-سو قد تركت المدينة.

قام المحققون كذلك بتحري منزل العطلات الواقع على بعد ثلاثمائة متر تقريبًا من منطقة الخزان. لم يكن هناك شيء مميز بأثاث غرفة المعيشة ولا بأدوات الطبخ. ولم يكن هناك شيء بالثلاجة سوى الطعام الجاهز للتحضير والمعلبات والمشروبات. وقد نما عشب الحديقة الذي لم تتم رعايته لفترة طويلة بشكل مشوه، أما صندوق القمامة فلم يحتو سوى على بقايا الطعام والأغلفة الورقية.

لم يخرجوا من التحريات خالي الوفاض تمامًا. فقد وجدوا بداخل الشجيرات على جانب الطريق الضيق المؤدي إلى منزل العطلات دراجة. وبالبحث عن صاحبها، اكتشفوا أنها تعود إلى جي-سو ولكن لم يتمكنوا من معرفة متى أُلقيت هناك. كان من الطبيعي أن تثار الأسئلة حول سبب وجود الدراجة على جانب الطريق وليس بساحة منزل العطلات، ولكن أولوية التحريات كانت التركيز على معرفة مكان وجود جي سو.

زار يون سان مكتب إدارة السد القريب من منزل العطلات. هناك ست بوابات للسد لحجز الماء في مبنى من الأسمت مقسوم إلى جزأين، وكان الموظفون الدائمون هناك أربعة بما فيهم مدير الخزان. طلب يون سان البيانات الخاصة بكمية هطول الأمطار وحجم المياه بالخزان وأوضاع إدارة بوابات السد. أسرع الموظفون الذين يرتدون سترات الزي الموحد الزرقاء الداكنة وبحثوا

بالخزانات المعدنية في صخب وأخرجوا له بضعة مجلدات. توقف متوسط كمية هطول الأمطار عند سبعين مليمترًا بعد انتهاء موسم الأمطار الموسمية في الأسبوع الثالث من شهر يوليو، وكان حجم المياه بالخزان كذلك الأكثر انخفاضًا وقتها.

- نحن نتبع تعليمات إدارة البوابات. وفي يوم الحادث أيضًا اتبعنا تعليمات موسم الجفاف بإطلاق أقل كمية مسموحة للتدفق ولازمة من إمدادات المياه والحفاظ على تركيز الأكسجين بالمجرى.

علا وجه المدير علامات الارتباك. فإذا حدث أمر مستهجن كموت شخص ما بالخزان أو انجراف الجثة تجاه المصب، فسيجلب له ذلك مشكلات كبرى بسبب التقصير في حظر دخول الغرباء إلى المكان أو إدارة حجم المياه المسموح لها بالتدفق. فعندما يطرأ أمر فادح، يعتمد الناس إلى البحث عن أسبابه بأي طريقة وإذا لم يجدوها، فإنهم يختلقونها ليحاولوا فهم الأمر.

- لم يكن هناك أي اختلاف في سير العمل عن المعتاد. تناولت العشاء في حوالي الساعة والنصف وأنهيت تفقد جميع الأجهزة. وخلدت إلى النوم في غرفة المناوبة بعد الساعة الثانية عشرة بقليل.

أجاب موظف المناوبة الليلية في ذلك اليوم عن الأسئلة بوداعة وهو يمسك بخوذة العمل بيديه. سأله يون سان مجددًا:

- حاول أن تتذكر جيدًا. إذا ما كنت قد رأيت شخصًا يثير الشكوك عند ممشى التنزه أو إذا كنت

قد رأيت فتاة بالقرب من الخزان...

تدخل المدير الذي كان يستمع إليهما في الحوار.

- مهام المناوب الليلي هي مراقبة المرافق والحفاظ على المعدات وإدارة البوابات. ولقد قام بعمله وفقًا للتعليمات وعليه ليس هناك ما يجدر بنا تحمل مسؤوليته. فمراقبة المتنزهين بالقرب من الخزان خارج المهام المنصوص عليها.

طلب يون سان سجل شرائط كاميرات المراقبة. كانت هناك كاميرات على كل جهة من البوابات الست والخزان وعلى بعد خمسين مترًا من ضفتي المصب، بإجمالي اثنتي عشرة كاميرا. غير أن صور كاميرات المراقبة كانت معابة ووظائف التسجيل بها ضعيفة وبدا أنها تستخدم فقط لمراقبة البوابات وحجم التدفق في الوقت الفعلي الحالي. بالإضافة إلى أنه لم تكن هناك أي إضاءة فكانت الكاميرات بالليل كالعين العمياء وكذلك يتم مسح التسجيلات كافة تلقائيًا بعد مرور ثماني وأربعين ساعة.

بعدما عادا خالي الوفاض، قام يون سان ونام بو-را بالتحري في حياة جي-سو وعلاقتها بالمدرسة. واستنتجا في النهاية أن جي-سو بدت فتاة هادئة لا تكثر من الحديث. وقد ذكرت إحدى عضوات جوقة الكنيسة أنها كانت تحرك شفيتها فقط خلال الكورال ولم تكن تغني بصوتها فعليًا إلا في جزء الثلاثية. وقالت المدرسة المسؤولة عن صفها بأنها كانت تقضي الوقت مع زملائها داخل المدرسة في ونام ولكنها لم تكن تقابلهم خارج

المدرسة، وأضافت أن مثل هذه الشخصية المنطوية هي النمط المعتاد لدى الطلاب المثاليين. وبدا من حديثها أنها حذرة من أن تظهر بشخصية مشاغبة.

غير أنه في نظريون سان، بدت جي-سو أنها فقط اختارت العزلة بنفسها عن أن تكون بلا أصدقاء. ربما كانت وحيدة ولم ترغب في أن يكتشف الآخرون وحدتها. وغير ذلك لم يظهر أي دليل يثير الاهتمام على الإطلاق.

بدأ فريق التحقيق تحرياته من أعلى التل وقام بتوسيع نطاق البحث ليشمل الطريق الرئيسي لدى مدرسة هيميل الإعدادية والثانوية وثلاثة مربعات سكنية والجهة الأخرى من التل والجزء الجديد من المدينة فيما بعد ضفة مجرى بوريم. وشمل البحث كذلك الأماكن المكشوفة وكذلك المغلقة مثل الفوارق بين المباني والأقبية، وغابات البوص على ضفة النهر والغابة على الجهة الأخرى من النهر. صاروا يبحثون عن جثة جي-سو وليس جي-سو نفسها.

ظل هاتف منزل هاورد العاجي صامتا كأثر حجري قديم خلال استمرار عملية البحث. كل ما يصلهم من مكالمات بين كل حين وآخر ليس سوى مكالمات للترويج لمبيعات التأمينات واستطلاعات الرأي العام السياسية.

صارت هناك هالات سوداء حول عيني هيه جيه المنطفئتين وصارت الملابس التي تغطي جسم سون أو الهزيل فضفاضة. لم يفتح أي منهما عينيه

حتى مع صوت المنبه الصاخب. فلم يجرؤا على مواجهة العقاب المفروض عليهما بقضاء يوم جديد. وإذا ما فُتحت أعينهما غصبا، اشتدت الفوضى برأسيهما كمن أسكره الخمر لغياب ابنتهما.

واستمر الوقت في نهش حياتهما.

في منتصف نهار اليوم الخامس على اختفاء جي سو، علا صوت الهاتف في منزل هاورد. اكتفى الجميع بالنظر إلى بعضهم بعضاً ولم يملك أحد الجرأة على تلقي المكالمة. وفي النهاية، رفعت سون أو السماعه.

- يجب أن تأتي إلى قسم الشرطة الآن.

كان المتحدث على الهاتف يون سان. لم تسأله سون أو عن السبب، فأخذ منها هيه جيه السماعه.

- سيادة الرقيب! هل وجدتموها؟ هل وجدتم ابنتي جي سو؟

- نعم. لقد وجدناها.

أنزل يون سان السماعه ووقف في جمود ينظر إلى نام بو-را. كان المكان الذي عثروا فيه على جثة جي-سو في منتصف مجرى بوريم على بعد كيلومترين تقريبا عن السد. كان موسم الجفاف، وبعد تقليل حجم الماء المتدفق، انخفض منسوب الماء الذي كان يتخطى المتر ونصف المتر في العادة وظهر جزء من الجثة التي انجرفت من المنبع فوق المياه بعد أن اصطدمت بالحجارة في قاع المجرى. كان الذي أبلغ عن الجثة طالب في المدرسة

الإعدادية في طريقه إلى المدرسة وهو يسير بالدراجة على ممشى التنزه. بدا واضحا لعيني الفتى الذي المدرسي الملطخ بالوحل وقد توغل في النهر، وقد كسا ما بدا له أنه مانيكان بزي التايكوندو ليستخدم كخصم تخيلي.

كان فريق التحقيق الجنائي قد تمركز بمسرح الجريمة بالفعل ووضع المتاريس عندما وصل يون سان إلي هناك. وكان هناك ثلاثة محققين في منتصف النهر وقد شمرّوا سراويلهم إلى الركب وانكبوا وظهورهم محنية ليلتقطوا الصور ويجمعوا الأدلة من النهر.

- أمرني فريق التحقيق الجنائي بالخروج. قالوا إنني قد أترك آثارا في مسرح الجريمة وأفسده...

هكذا قالت له نام بو-را بعد أن خرجت من النهر، كانت قد تحركت فور تلقيها البلاغ. تبللت أطراف سروالها وأحد جوانب قميصها. بدا أنها قد سقطت في المياه في أثناء بحثها بعد أن زلت قدمها من الحصى المنتشر بقاع النهر. فتحت نام بو-را مفكرتها التي تبللت حوافها ونقلت ليون سان ما جمعته.

- لقد وجدت الجثة وهي مقلوبة على ظهرها. بالطبع لا بد أن ننتظر رأي التحقيق الجنائي ولكن لم يكن هناك أي إصابات خارجية واضحة. ليس من المؤكد بعد ما إذا كانت الجثة هنا من البداية أم أنها قتلت في مكان آخر ورميت هنا. ولكن يبدو أنها انجرفت مع المياه من المنبع وعلقت بالحجارة

البارزة هنا. فمنسوب الماء منخفض لأنه موسم الجفاف...

- هل هناك شيء آخر؟

- لم أتمكن من النظر بدقة خوفاً من فريق التحقيق الجنائي، ولكنني متأكدة من أن القتيلة لا ترتدي أي أحذية.

- في كلا القدمين؟

أومات نام بو-را برأسها وسألته:

- هل من الممكن أن يكون انتحاراً؟

نزع يون سان نظاراته الشمسية وحملق باتجاه النهر. كان هناك احتمال ألا يكون الأمر قضية قتل.

- هذا ما يجدر بنا اكتشافه بدءاً من الآن.

كان التحقيق في قضايا القتل بالنسبة إلى يون سان ليس فقط مجرد البحث عن القاتل بل كان عبارة عن عملية استبعاد للشكوك والأمور غير المنطقية الواحد تلو الآخر، وخطوات تُتخذ للتأكد من الاتساق المتبادل بين الحياة والموت من خلال هذه العملية. وحتى إن كانت قضية انتحار فكان لا بد من الكشف بشكل واضح عن الدوافع والعوامل التي أدت إليه.

عادت نام بو-را إلى سيارة الدورية التي ركنتها على ضفة النهر وغيّرت جواربها المبتلة. تزاومت عربات توزيع الجرائد المحلية والمحطات التليفزيونية وأخذ الصحفيون الذي يحملون الكاميرات يتحركون هنا وهناك. كانوا يمسخون

قاع النهر منخفض المياه وقد ارتفع صوت انسياب المياه من حولهم.

ارتبك يون سان ولم يعرف كيف قد يطلع والدا الفتاة على هذا الأمر الشنيع. فلم يكن واثقًا من أنه سيتمكن من إبلاغهما بأن أسوأ ما توقعاه قد أصبح حقيقة، أو أن يطلب منهما أن يحضرا ليتحققا من جثة ابنتهما، أو أن يصدّهما وهما يحاولان الاقتراب من جثتها وهما يصرخان بأصوات مبحوحة، أو أن يسندهما وقد انهارا أمام منظر ابنتهما المروع.

كان جسد جي-سو ممددًا على الطاولة الإستانلس وقد علا وجهها الكثير من الخدوش الكبيرة والصغيرة. شفتاها السفليتان متورمتان ومشقوقتان وهناك آثار خدوش حول صدرها. اختفى لون شعرها المتشابك من بعض أجزائه بسبب أشعة الشمس.

أول ما شعر به هيه جيه عند رؤيته لابنته الممددة هناك وعيناها مغمضتان هو الشعور بالخيانة. «ما كان عليّ أن أثق بك. بدوت كشخص بالغ ولكنك لم تكوني سوى فتاة في الثامنة عشرة، وأنا كالأحمق صدقت هذا».

- هل يمكن أن تتأكد مما إذا كانت ابنتك؟

قالها يون سان على عجل وهو يعبت في أوراق مفكرته. لم يكن هناك ما يبحث عنه أو ما قد يسجله. فقط لم يكن قادرًا على أن يواجه أعينهم الفارقة في العذاب المبرح.

- أسف ولكنها ليست ابنتنا.

أجاب هيه جيه وهو ينظر بعينين خاويتين إلى وجه ابنته المتورم وكأنها شخص لا يعرفه. فكر في أن ما حدث أمر غير عادل. لم يتخيل حتى أبدًا وهو يطلب من رئيس قسم الشرطة أن يزيد من عدد عناصر الشرطة المخصصة للبحث بأنهم سيعثرون عليها وهي جثة. فإذا لم تكن هناك جثة، فابنته إذا لا تزال حية. لا شيء يحدث إلى أن يطراً خطب ما.

لم يعتقد يون سان أن هيه جيه يكذب. اعتقد فقط أنه لم يتمكن من تقبل الواقع. ومن ثم نظر إلى سون أو الواقفة في الجهة المقابلة وسأل مجددًا:

- هل بإمكانك أن تتأكدي مرة أخرى؟

ظلت سون أو واقفة في مكانها لفترة وهي تقبض على الملابس عند صدرها وكأنها طعنت بخنجر فيه. بدا أنها كانت تخشى أن يتحدث إليها أحد، أو أن ينظر أحد إلى عينيها. أو لربما كانت تفكر فيما يجب أن تقوله بالضبط. وبعدها افتрشت الأرض في انهيار. أسندتها نام بو-را وأجلستها على الكرسي وجلبت لها منشفة باردة بها ثلج ووضعتها على رأسها. وقد ظلت عيناها اللتان فقدتا بريقهما منصبتين على جسد جي سو.

- إنها هي. هذه الساعة ذات السوار الجلدي الأحمر اشتريتها لها في عيد ميلادها السادس عشر.

قطبت وجهها ولكنها لم تنفجر في البكاء. وفجأة خطر لنام بو-را لحظتها بأن النساء أقوى من الرجال. وحتى إن لم تكن تلك السيدة أقوى من زوجها فمن الواضح أنها بالتأكيد أصدق منه، لأنها تقبلت موت

ابنتها بالاعتراف بأن ما كانت تحمله يخصها. كانت هذه السيدة تواجه معاناة فادحة مباشرة بعكس زوجها الذي كان يهرب من حقيقة موت ابنته. سأله هيه جيه بوجه خالٍ من التعابير:

- ماذا سيحدث الآن؟

فكر يون سان في أن هيه جيه له حق السؤال وأن واجبًا عليه الرد، حق وواجب في اللحظة التي تقبلها فيها حقيقة أن الجثة التي أمام أعينهما هي جثة ابنتهما.

- ستتحول القضية من قضية اختفاء إلى قضية قتل وستنتقل مهمة التحقيقات من فريق البحث إلى فريق القضايا الجنائية. وما إن يتم تكوين فريق التحقيق الجديد، ستسير التحقيقات وفقًا لنتائج التشريح. يمكنك العودة إلى المنزل. وسأتصل بك ما إن يظهر أي جديد.

انتابه شعور عميق بالخزي لتقديمه تلك الإجابة الروتينية. لم يجد لديه ما يقوله ليخفف عنهما. أبعد هيه جيه ببرودة يد سون أو التي كانت تحيط بكتفه، وكان موت ابنته خطأ زوجته.

بدا لسون أو غياب ابنتها وكأنه أمر ضبابي حدث منذ وقت بعيد. ربما كان بالنسبة إليها أمرًا لم يحدث في الأصل ولذلك لم يبق في ذاكرتها. إذا كانت ابنتها موجودة الآن فستكون في الحصة السابعة. ماذا كانت مادة الحصة السابعة يوم الأربعاء...؟

تم تجهيز حاوية حديدية لتكون مكتبًا لفريق التحقيق الخاص ووضعت بشكل مؤقت بالمساحة

الفارغة الواقعة على بعد ثلاثين متراً من قسم الشرطة الرئيسي. كانت المساحة المظلمة بمثابة الخيار الأخير نظراً لزيادة أعباء التحقيق والنقص الدائم في الميزانية.

تكون فريق التحقيق من كانغ إيل-هو كرئيس له وتشوي تيه-غون الذي عاد لتوه للعمل بعد أن تم وقفه لفترة، بالإضافة إلى المحققين كيم إين شيك ويون سان. وانضمت نام بو-را كذلك كمسؤولة عن التواصل مع عائلة الضحية. أبلغ يون سان في الاجتماع الأول لفريق التحقيق بتفاصيل سير القضية بدءاً من يوم اختفاء جي-سو وحتى الوقت الذي عُثر فيه على جثتها.

- الضحية جانغ جي سو. في السابعة عشرة من العمر، طالبة بالصف الثاني الثانوي بمدرسة هيميل الثانوية. لم تعد إلى المنزل بعد خروجها صباح اليوم الثاني والعشرين من شهر أغسطس الماضي، وبعد خمسة أيام، أي... نعم، في اليوم السابع والعشرين وفي حوالي الساعة الثامنة وأربعين دقيقة، عُثر على جثتها.

أسند يون سان مهمة تقديم تلخيص موجز عن المعلومات الخاصة بعملية الاختفاء إلى نام بو-را. بسطت نام بو-را الجدول أمامها وقرأت التقرير الخاص بمكان الضحية يوم الاختفاء كما لو أنها تقرأ كتاب النصوص بصوت خالٍ من التعابير. في حين أوضح كانغ إيل-هو أهمية القضية مؤكداً أن والد الضحية رجل أعمال حسن السمعة وأنه رجل

مهم في الوسط المحلي، وكذلك أكد على عزيمة الحكومة الجديدة لاستئصال الجرائم الجنائية من جذورها.

تزاحم الصحفيون خارج الحاوية ما إن انتهى الاجتماع. ظهر المحققون أمام الكاميرات وهم يضعون على وجوههم تعابير توحى بالثقة كالممثلين الذين يعتلون المسرح. وكانت تعابير رئيس فريق التحقيق كانع إيل هو تفيض بالمهابة وهو يلقي بقوة كلمته، التي لا ترقى أن تكون أكثر من فقرة في سيناريو لفيلم أكشن بميزانية ضعيفة. - ليس بوسعي أن أقدم لكم أي تفاصيل حالياً. كل ما أستطيع قوله هو أننا سنبدل قسارى جهدا للقبض على المجرم. فهذا هو عملنا.

وصلت نتائج التشريح بعد يومين. لم يكن بالمستطاع وضع الكثير من الآمال عليها نظراً لتعفن الجثة بالماء لمدة ستة أيام. وبذهن شارد، قرأ يون سان التقرير الذي كتب بخط يعوزه الحماس:

فحوص الإصابات الخارجية: هناك 42 خدشاً وكدمة في جميع أنحاء الجسد، نتيجة اعتداء بشري متعمد، أو الاصطدام بالعوائق في المياه بسبب انخفاض مستوى التدفق والدوامات.

فحوص الدم: لم يتم الكشف عن أي سموم.

فحوص الباطنة: الكشف عن كمية من كائنات البلانكتون ورمل وتراب متناهي الصغر بالحويصلات الهوائية. كما تم الكشف عن 500 ملم من المياه والبلانكتون في المعدة. لا وجود لآثار

تمزق بالأعضاء.

كان سبب الوفاة هو الفرق. فقد أوضح الطبيب الشرعي في التقرير أن الوفاة حدثت بالخزان ومن ثم انجرفت مع مياه المجرى بالنظر للإصابات الخارجية للجثة والرواسب العالقة بالرئة. وتم تقدير وقت الوفاة بمساء يوم الاختفاء بالأخذ في الاعتبار حالة تعفن الجثة ومستوى عمق المياه بالخزان وحجم تدفق المياه بالمجرى. قرأ يون سان بفتور الحقائق التي توقعها بالفعل من خلال التحقيقات التي أجريت حتى الآن، ولكن ما لبث أن تيقظ لأمر ما.

فحوص الجهاز الهولي: الكشف عن كمية صغيرة من سائل منوي داخل الجثة. مطلوب إجراء فحص جيني.

فكر يون سان فجأة أنه يجب إعادة إجراء التحقيق من نقطة البداية وفي الوقت نفسه انتابه شعور بأن التحقيقات قد تنتهي أسرع مما توقع. فقد دارت التحقيقات حتى الآن مع استبعاد علاقات الضحية مع الجنس الآخر. وكان السبب في ذلك شهادة المقربين بأن الضحية كانت طالبة مثالية وسلوك والديها اللذين عاملها على أنها طفلة صغيرة فقط والبيئة المنعمة التي عاشت بها. ولكن أكان ذلك فقط مظهرها الخارجي؟ ماذا لو كانت هي نفسها ووالداها لم يعرفوا حقيقتها بالفعل؟

عقب الجو بالحرارة القادمة من الهواء الفاتر الذي يلفظه مبرد الجو المعلق بالحائط والذي فقد كل

وظائفه. كان عليه أن يقابل والدي جي-سو مرة أخرى. فلا بد أن يستشف منهما الحقائق التي لا يعرفانها عن ابنتهما وليس ما يعرفانه. وقبل ذلك، كان عليه أن يطلعهما على الحقيقة التي لا يعرفانها. كيف يمكن أن يبلغهما بأنه تم اكتشاف سائل منوي بجسد ابنتهما؟

وبعد التفكير للحظات، قرر أن يقول لهما ببساطة إن «سبب الوفاة هو الغرق».

كانت سون أو قد استيقظت لتوها عندما وصل يون سان ونام بو-را إلى منزل هاورد. اعتقدت أنها خلدت للنوم منذ لحظات ولكن ما إن فتحت عينيها حتى رأت الشمس ساطعة في السماء من الناحية الغربية. اصطحبها هيه جيه نحو الحديقة حيث ينتظرهما المحققان.

جلست سون أو إلى المائدة بالحديقة وتأملت منزل هاورد الذي غطته حمرة شمس الغروب. مفصلات الأبواب غير مثبتة والثقوب منتشرة في كل مكان، السقف الباهت وآثار الدهان المتشقق، الشرفة المتهدمة وعتبات الأبواب المتكسرة... تلك الشوائب والعيوب التي لم تُر على الإطلاق حينما كانت تعتقد أن حياتها كاملة.

ضدّت سون أو لإدراكها حقيقة أنها قد تشعر بالغرابة عن منزلها الذي عاشت به طوال تلك الفترة إلى هذا الحد. تمامًا كما لو أنها قد ذهبت لرحلة في الفضاء لعشرات السنين وعادت لتجد أن مئات السنين قد مرت على الأرض وأن كل ما تعرفه قد

اختفى.

- هل كانت جي-سو ذات طابع انطوائي؟

هز هيه جيه رأسه لدى سماع سؤال يون سان. بدا وكأنه لا يعرف معنى السؤال أو أنه متردد وغير متأكد من تفكيره.

- ماذا تعني؟

تابع يون سان شرحه بحذر:

- كان أصدقاء جي-سو الذين قابلناهم يتذكرون أنها طالبة مثالية ودرجاتها الدراسية كانت عالية. أعتقد أنها كانت مقربة من أغلب الطلاب ولكن لم يكن منهم من هو مقرب منها كي يجيب عن سؤالي بالتفصيل. ففي الغالب، في مثل هذا العمر يكون لدى الأولاد صديق مقرب دونًا عن الآخرين.

- أليس قريبا من الكثير من الأصدقاء دليلاً على أنها حافظت على علاقات جيدة مع الآخرين بداخل المدرسة؟ كان لدى جي-سو حس قيادة عالٍ وكانت مجتهدة أيضًا في الأنشطة الأخرى البعيدة عن الدراسة.

أضاف هيه جيه أيضًا أن جي-سو كانت رئيسة الفصل منذ كانت في المدرسة الابتدائية وأنها كانت الممثلة لفريق الجري باللتابع عن فصلها، كما أنها كانت السوبرانو بكورال الكنيسة. رد عليه يون سان: - كانت علاقاتها مع الآخرين متعددة ولكنها كلها سطحية. لم يكن لديها شخص مقرب تفتح قلبها له ولم يكن لديها صديق تتبادل معه أحاديث عميقة.

ربما قد سمعت بهذا القول من قبل، أن تكون مقربًا من الجميع يعني أنك لست مقربًا من أحد بالفعل.

- يبدو لي أن ما تحاول قوله هو أن جي-سو كان لديها مشكلات في علاقاتها مع الآخرين.

رفع هيه جيه عينيه بحدة. رأى يون سان أن عداء هيه جيه يوحى بأن تفكيره في ابنته غير موضوعي. فهو يفكر في ابنته جي-سو بالشكل الذي يرغب في رؤيتها عليه. ربما لا يعرف ابنته جيدًا أو قد لا يعرفها على الإطلاق، وربما يكون على خطأ فيما يعرفه عنها. التفتت نام بو-را إلى سون أو وسألته:

- هل كان هناك ما يثير قلق جي سو؟ كالاتحاق بالجامعة، أو درجاتها الدراسية...

أجابت سون أو بشكل قاطع:

- لا. لقد حافظت على درجاتها الدراسية العالية. وحتى إذا كانت هناك مشكلة، لم تكن جي-سو طائشة لتقوم بتصرف مثل الذي تفكرين فيه أيتها المحققة.

كان صوت سون أو المنخفض أكثر حدة من أي نقد لاذع. تدخل في الحديث يون سان الذي كان يستمع إلى سون أو ونام بو-را.

- هل كان لجي-سو صديق حميم؟

- ماذا تعني بهذا؟

- لقد تم اكتشاف سائل منوي لشخص غير معروف بداخل جسدها في أثناء التشريح.

ففر فاه سون أو. أصابتها صدمة أكبر من تلك التي حلت بها عندما اختفت ابنتها أو تلك عندما عرفت بمقتلها. اشتد حنق هيه جيه وكأنه حطب اشتعلت به النيران. رغب في أن يسرع إلى غرفة ابنته على الفور ويسألها: «هذا ليس صحيحًا يا جي سو، أليس كذلك؟ أهؤلاء الأشخاص مخطئون؟» ولكن ابنته لم تكن بغرفتها.

نظر يون سان إلى هيه جيه بعينين ملأتهما الشفقة. فعندما يصيب أحد الأبناء حطب ما، يعمد الآباء للبحث عن سبب مقنع. ولكن في هذه الحالة لم يكن هناك سبب قد يفهمانه. فحتى الأولاد الذين لم يكن لديهم مشكلات، يظل هذا الأمر في حد ذاته مشكلة ما داموا لا يواجهون أيًا منها. حاول يون سان على قدر استطاعته أن يرسم تعابير لطيفة على وجهه.

- لقد قمنا بطلب فحص جيني وسيتم التأكد من النتيجة. فنحن نقوم بالتحقيق واضعين في الاعتبار الاحتمالات كافة.

صرخ هيه جيه الذي كان يضع يديه على وسطه قبل أن يكمل يون سان حديثه:

- هل قلت الاحتمالات كافة؟ اسمع يا هذا. لقد أغتصبت ابنتي وقتلت بشكل وحشي. ماذا تعني بأن هناك احتمالات أخرى؟

ارتعش جسم سون أو وحاولت أن تخفي يديها بداخل أكمام سترتها المحبوكة. في حين شعرت نام بو-را بأن عمر الزوجين قد أوشك على الانتهاء

وكانها آلة قديمة عاجزة عن العمل.

لم يتراجع يون سان وأخذ يسأل بإصرار عن كيف كانت جي-سو قبل الاختفاء. هل تغير سلوكها، وإذا ما تغير كيف حدث هذا، من كانت قريبة منه ومن كانت تكرهه، أو ما إذا كان هناك من يكرهها؟ ولكنه لم يتمكن من تلقي أي إجابة. سأل يون سان وقد أدرك أنه لن يتمكن من الحصول على شيء:

- هل يمكنني أن ألقى نظرة أخرى على غرفة جي سو؟

رفضت سون أو طلب يون سان بحذر.

- لست متأكدة. لقد تفقدتها في المرة الماضية. لم نقم نحن والديها بالدخول إلى غرفة ابنتنا من دون استئذان. كانت حساسة وكنا نثق بها.

تدخلت نام بو-را وقد استشعرت قلقها.

- ربما فاتنا شيء ما. انتظر هنا يا سيادة الرقيب. سأذهب مع الوالدين إلى غرفة جي-سو وأعود على الفور.

تركوا يون سان بالحديقة واتجهوا إلى داخل المنزل.

لم يكن هيه جيه واثقًا مما إذا كان يمكنه أن يدخل إلى غرفة ابنته بلا استئذان. كان بإمكانه أن يسألها إذا كانت موجودة.

اقتربت نام بو-را من حافة النافذة والتي زصت عليها أربعة إطارات للصور جنبًا إلى جنب. كانت صور جي-سو التي التقطت لها بالقرب من منزل

هاورد خلال هذا العام. جي-سو وهي تقف في الشرفة تضحك وأسنانها الأمامية ظاهرة. جي-سو وهي تسقي العشب وتحاول تجنب رذاذ الماء فتحرك أطرافها بخفة كالدمية الهوائية. جي-سو وهي ترتدي الزي المدرسي وتنظر إلى الأمام مباشرة... أما جي-سو في الصورة التي بأقصى اليمين فكانت تجلس على الكرسي وقد رفعت قدميها عليه واحتضنتهما بين ذراعيها وقد اتخذت من هذه النافذة خلفية لها.

كانت جي-سو تضحك ضحكة واسعة في كل الصور. وأوحت تعابير وجه هيه جيه باندهاشه لحقيقة أن هناك شخصاً ما جعل ابنته تضحك. وبدا أنه لم يعبأ بهذه الصور من قبل حينما كان يتردد على غرفة ابنته. من ثم قال هيه جيه:

- لم يسبق لي أن رأيتها تضحك هكذا من بعد المدرسة الإعدادية. كانت فتاة رزينة ولم تضحك من دون حساب.

فتحت نام بو-را درج جي-سو بعد أن استأذنت هيه جيه. كان هناك شيء ما وسط طيات الملزمة الموجودة بالدرج الأخير؛ صورة لجي-سو تنظر فيها إلى الأمام مباشرة وتضحك في تألق. ولربما بفعل الرياح وقتها تطاير شعرها باتجاه وجهها وتمايلت أطراف تنورتها بخفة. وبنهاية حافة الصورة اليسرى، امتدت خطوط زرقاء داكنة. لم يكن من المؤكد ما إذا كانت بحزاً أم بحيرة ولكن من الواضح أنها مسطح مائي انعكس عليه ضوء الشمس. وفي

الخلف كان هناك حائط السد.

- متى التقطت هذه الصورة؟

وبعد أن تطلعت سون أو مطولاً في الصورة التي أخذتها من نام بو-را، قالت أخيراً:

- لست متأكدة بالضبط ولكن هذه البلوزة المنقطة اشتريناها في شهر يونيو من هذا العام، فلا بد أن يكون في وقت بعد ذلك. نقيم لبضعة أيام كل شهرين أو ثلاثة بمنزل العطلات هذا وكان آخر مرة نذهب إليه في نهاية شهر يونيو الماضي.

- بالنظر إلى هذه الصورة، لا بد أن جي-سو ذهبت بمفردها إلى السد مؤخرًا، أو بالأحرى كانا اثنين، فهناك شخص آخر التقط لها الصورة.

وقبل أن تنهي نام بو-را كلامها، اخترق هيه جيه إدراك عنيف. تضخمت العروق بعنقه وظهرت تشنجات خفيفة بطرفي عينيه.

- اعتاد ذلك المدعو لي جين-مان، مسؤول الصيانة بمدارس هيميل، التقاط الصور العائلية لنا. فليده كاميرا مستعملة ورثها عن الدكتور هاورد من نوع لايكا.

أسرع هيه جيه في الحديث وكان هناك شيئًا يلاحقه. فسألته نام بو-را:

- لحظة من فضلك... قلت ما اسم ذلك الشخص؟

- لي جين-مان. لديه ولدان.

كتبت نام بو-را المقاطع الثلاثة لاسم لي، جين، مان، في مفكرتها بخط واضح وراقبت التغيير

الطفيف في تعابير وجه سون أو التي أحكمت
الضغط على قبضتها.

- إنهما شابان لطيفان ومجتهدان.

قالتها سون أو على عجل، في حين عارضها هيه
جيه بصوت متحشرج:

- لا بد وأن أحدهما قد سرق الكاميرا التي تخص
والده. ولربما كلاهما اشتركا في ذلك. انظري لهذه
الصورة. إنها دليل على انتهاكهما لهذه الغرفة التي لا
نستطيع نحن أنفسنا الولوج إليها بحرية.

قاطعت نام بو-را حديث هيه جيه وغيرت
الموضوع.

- كيف كانت علاقة ابنتك مع لي جين-مان؟ هل
كانت علاقتهما مقربة للدرجة التي تقف فيها أمام
كاميرته دون تحفظ؟

- كان يحسن معاملة أطفالنا. وأطفالنا أيضًا
يحسنون اتباع كلامه. ولكنني لم أعرف أنهم ذهبوا
إلى السد مغا. وإذا ما عرفت لكنت منعتهم. ولكن
هل بالفعل قام ذلك الشخص باصطحاب ابنتنا دون
علمنا؟

كان هيه جيه يجيها ويتساءل في الوقت نفسه.
أجابت نام بو-را:

- لست متأكدة بعد. ليس هناك أي شيء مؤكد.

تقدم هيه جيه خطوة إلى الأمام وتحدث بعنف:

- متى يمكنك أن تعرفي إذن؟ متى ستجدون ذلك
الحقير الذي فعل هذا بابنتنا؟!

وبدلاً من أن تجيبه، أغلقت نام بو-را مفكرتها ونهضت من مكانها.

- لا بد أن تمنحنا بعض الوقت. لا بد أن تقوم بذلك حتى نتمكن من أن نتقصى هنا وهناك، وحتى إن أزعجنا هذا الشخص أو ذاك، سنتمكن من أن نجد الحقيقة وراء ما تسبب في وفاة ابنتك.

وضعت نام بو-را مفكرتها في الجيب الداخلي لسترتها وهي تفكر أنها لا بد أن تقابل لي جين-مان. تتمم هيه جيه وهو ينظر إلى ابتسامة ابنته بعينين حمراوين: «سأعرف ما الذي حدث لك. سأكشف ماذا فعل بك الأوغاد».

كان الموت الغامض لابنة رجل مهم كفيلاً ياثارة فضول العامة. انتشرت الأقاويل حول كيفية تأثير الحادث الأليم على أحلام هيه جيه السياسية وصار هناك شعور عام بالشفقة يتخلله بعض الفضول حول البؤس الذي أصاب تلك العائلة التي بدت مثالية. وبسبب تنافس الصحفيين للكشف عن المزيد، ظهرت نتائج جي-سو بالمدرسة على العن وألحقت صورة اللوحة التي رسمها هان-جو لمنزل هاورد بالمقالات الصحفية.

- ماذا ستفعل الآن؟

هكذا صاح سو-إين وهو يلقي بالجريدة التي ظهرت بها لوحة هان-جو، في حين أن هان-جو لم يكن على دراية بكيف كان الوقت يمر منذ موت جي-سو. فقد بدا أن حقيقة موت تلك الفتاة قد لطخت حياته وغيرها تمامًا. فكان القلق والانتظار

والرهبة والغضب يتوالون عليه، أو يضربونه مرة واحدة.

ثارت الشائعات بين الطلاب بأن هناك علاقة بين لوحته وبين وفاة جي سو، ما لم يترك له أي فرصة للحزن على وفاتها. كان استنتاج غير عادل ولكن لم يكن بإمكانه أن يلوم فضول رفقائه من العمر نفسه لكيفية معالجتهم لأمر لا يستطيعون فهمه. حاول هان-جو أن يتصرف وكأنه غير عابئ ولكنه لم يعرف ما يجدر به أن يفعل، وتردده كان يزيد من الشكوك حوله. فإذا ما حاول أحد أصدقائه بدء حديث معه، حاول أن يتذكر كيف اعتاد التصرف ليفعل بالمثل، غير أن محاولاته تلك كانت تجعله يبدو مصطنعاً وعلى غير عادته.

- حتى أنت يا أخي؟ لم أقم سوى برسم منزل هاورد.

- لا تتصرف كالحمقى. الكل يعرف أنك كنت ترسم جي-سو. لقد حصلت بهذه اللوحة على المركز الأول في مسابقة الرسم بالمدرسة وعلى المركز الثاني بمسابقة الرسم لطلاب المدارس الثانوية بمدينة إيسان أمام أعين كل طلاب المدرسة. ومع ذلك، تنكر معرفتك للفتاة التي تقف عند النافذة؟

استولى على هان-جو شعور بالعجز لعدم قدرته على إقناع أخيه بأي شيء قد يقوله.

- إذن أنا... أتعني أنني قمت بأمر ما؟

حاول هان-جو ألا يتمتم في الحديث، وكان الشكوك ستختفي إذا تصرف وكأنه لا يعبا.

- ماذا؟ لماذا تتصرف وكأنك ارتكبت جريمة ما؟

- لأنك تعاملني كأنني ارتكبتها فعلاً.

- أعرف أنك لم تفعل شيئاً. ولكن هل تظن أن الآخرين يعرفون ذلك؟ مستحيل. الناس لا يعرفون أي شخص أنت. أتعرف من أول من يبحث عنه المحققون عند موت امرأة؟ الرجل. زوجها، أو زوجها السابق، أو صديقها الحميم، أو أي رجل كان يحوم حولها.

تقطعت أنفاس هان-جو. فسواء كان كذلك بالفعل أم بدا كذلك، انتشرت الشائعات بالمدرسة بأنه وجي-سو يتواعدان. كانت جي-سو قليلة الكلام ولكنها تعامله بألفة ظاهرة. فإذا ما قابلته برواق المدرسة تسرع إليه وتحدث معه وكانت تأتي إلى فصله لتستعير الكتاب المدرسي إذا ما نسيته بالمنزل. وبغض النظر عن حقيقة الأمر، فقد أصبحوا يقولون بالمدرسة إنهما مرتبطان. كان يتمنى في كثير من الأحيان أن تكون تلك الشائعات حقيقة. هل كان يجدر أن ينهي هذه الشائعات الخاطئة منذ البداية إذا عرف أن أمراً مثل هذا قد يحدث؟ صاح به هان-جو:

- لم أكن صديق جي-سو الحميم ولم أحم حولها يوماً ما أبداً!

فأجابه سو-إين بصوت بالكاد مسموع:

- حسناً، أين كنت وماذا فعلت في تلك الليلة؟ أعني تلك الليلة التي اختفت فيها جي-سو.

- كنت أرسم في المرسم.

- هل رآك أحد هناك؟

ومضت عينا سو-إين المستعرتان كالشعلة
بالمصباح المتوهج. أجاب هان-جو بعد تردد قصير:

- آه... لا. أيجب أن يكون هناك أحد؟

- إذا لم يكن هناك أحد رآك فلا يمكن اعتبار ذلك

حجة غياب. ولكن هل كنت بالفعل هناك وحدك؟

شردت عينا هان-جو. هل اكتشف أخاه أنه يكذب؟

فهو لم يكن وحده بالمرسم. كان هناك شخص

آخر. ولكنه لم يكن بإمكانه أن يفصح عن هذا. شد

سو-إين على قبضته التي أمسك بها كتفه كالخطاف.

- عد لوعيك! أنت لم تكن هناك وحدك. قل لي مع

من كنت؟!

كانت عينا هادئتين ومسترخيتين، تلمعان بشعاع

يجعل الشخص يرغب في قول الحقيقة كاملة.

انفرجت شفتا هان-جو وكان على وشك أن يجيب

بأنها جي-سو ولكن سو-إين قال له على عجل:

- لقد كنت معي.

- ماذا؟

- ألا تتذكر؟ لقد كنا معا هناك في ذلك اليوم منذ

الساعة الخامسة والنصف مساء. عندما انتهيت من

الرسم التخطيطي لمنزل هاورد، قمت بمساعدتك

في حل واجب الرياضيات.

فهم هان-جو مقصد كلام أخيه والدافع والمعنى

من وارثه. كانت حجة غياب مقنعة ستمكنه من الخروج من هذا المأزق. شعر بالأمان لأن أخيه لم يتجاهل المأزق الذي وقع به وفي الوقت نفسه شعر بالذنب لأنه يجبر أخيه للخطر. سأله سو-إين مجددًا:

- ماذا كان واجب الرياضيات؟

انعقد لسان هان-جو. فأجاب سو-إين على سؤاله بصوت خفيض:

- كان حلًا للمعادلة التكميلية باستخدام الصيغة التربيعية. لقد قمت بإعطائك ثلاث مسائل للتدرب عليها. وعندما عدت إلى المنزل، كانت الساعة العاشرة وأربعين دقيقة تقريبًا. في حين تأخرت أنا قليلًا لأرتب الكتب... إذن كنا نحن الاثنين طيلة المساء هناك، أعني في الرسم. كنت ترسم وتحل المسائل الرياضية...

كان صوت سو-إين هادئًا ولكن طغت عليه نبرة واثقة، صوت يجعلك ترغب في تصديقه حتى وإن لم يكن ما يقوله حقيقيًا. كانت الغطرسة تتخلل صوت وتعابير وجه أخيه، ولكنه اعتقد أن الناس يحبون غطرسة أخيه أكثر من تواضعه وخلقه الحسن. فأخذ هو الذي كان يرغب في الحصول على حب الناس في القول وهو يتبع نبرة صوت أخيه الحازمة والممتلئة بالثقة.

- بالفعل. لم يمض الكثير من الوقت على عودتنا إلى المنزل حتى وصلنا اتصال من منزل هاورد بأن جي-سو لم تعد إلى المنزل... وبعدها طفنا حول التل بحثًا عن جي-سو...

- لقد تذكرت إذن. جيد. لا تنس ذلك أبدًا. قل هذا بالضبط لأيا كان من يسألك. هكذا بالضبط...

دار ما قاله أخوه في رأسه كما تدور الكواكب في السماء. حسنًا. كما حدث بالضبط. في الساعة الخامسة والنصف، بمرسم المبنى المنفصل، الرسم التخطيطي، واجب الرياضيات، المعادلة التكميلية، الصيغة التربيعية، الساعة العاشرة وأربعون دقيقة... لم تكن هذه الكلمات بالحقيقة ولكنها ستشكل حقيقة جديدة. كان الحب الأخوي بينهما قائمًا على الكذب ولكن هذه الكذبة ستربطهما معا بقوة أكبر من أي شيء آخر.

كان لي جين-مان يعتني بحديقة الورود عندما ذهبت نام بو-را إلى منزل هاورد في اليوم التالي، حيث المتعرشات اللامعة، والأشواك القوية والحادة، والورود الثقيلة لدرجة انعطاف الفروع الحاملة لها، وأوراق الورود الناعمة كالمخمل.

نزع جين-مان الذي كان يرتدي «الأفرول» من الجينز القفازات المحصنة ضد الأشواك والتي كانت تشبه قفازات كرة القاعدة وقابل نام بو-را. حدثها في محاولة ليزيل شكها عن خلو باله الذي يجعله يركز في تشذيب الحديقة في مثل هذا الوقت العصيب، وأن التلف ينتشر بالحديقة ما إن تركت ولو لفترة قصيرة بلا اهتمام. طلبت منه نام بو-را بأن يطلعها على أماكن تواجهه في يوم الحادث بالتفصيل الشديد. قال جين-مان:

- لم يكن هناك أي شيء جديد عن المعتاد إلى أن

وصلنا الاتصال من منزل هاورد. تلقيت الاتصال وأنا على وشك الخلود إلى النوم وأسرت بالذهاب إلى منزل هاورد. طفت حول التل وضفة النهر بحثًا عن جي-سو وعدت عند حلول الفجر.

أخرجت نام بو-را المفكرة من جيب سترتها الواقية وسجلت مواعيد عودة العائلة إلى المنزل وقالت:

- أريد فقط أن أتأكد من أنني لم يفتني شيء ما. وماذا عن فترة الظهيرة؟ أعني من بعد الظهر...

- قمت بتغيير الأنابيب بالمدرسة طوال ذلك اليوم. كان لا بد من الانتهاء من استبدالها قبل بداية الدراسة لأن الأمر يحتاج إلى قطع المياه. حفرت لإخراج الأنابيب القديمة مع خمسة عمال آخرين منذ الساعة العاشرة صباحًا وانتهينا من العمل في قرابة الساعة السادسة بعد العصر.

- هل عدت مباشرة إلى المنزل؟

- نظفت الموقع بعد الانتهاء من العمل ومررت بمتجر مواد البناء. كان يجب أن أؤكد عليه أن يحضر الأنابيب الجديدة التي سيتم تركيبها قبل الساعة الثامنة والنصف.

- كم يستغرق الوقت تقريبًا للذهاب من المدرسة إلى متجر مواد البناء؟

- حوالي عشر دقائق سيزًا على الأقدام.

- وبعدها ماذا فعلت؟

- تركت متجر مواد البناء في حوالي الساعة

السادسة والنصف وعدت إلى المنزل. تناولت
عشاء بسيطًا واشتد عليّ الأرق. شغلت التليفزيون
وتمددت على الأريكة أمامه ومن ثم اغتسلت، وما
إن انتهيت حتى عادت زوجتي.

- هل رأيت جي-سو ذلك اليوم؟

- رأيتني بعد الانتهاء من اليوم الدراسي في أثناء
مرورها من أمام موقع العمل واقتربت مني وألقت
التحية.

- هل اعتادت ذلك دائمًا؟

- ماذا تعنين؟

- أعني هل كانت جي-سو معتادة أن تأتي إلى
موقع العمل وتلقي عليك التحية؟

- هذا لأنها كانت فتاة لطيفة تحسن إلقاء التحية
على الآخرين.

ذهبت نام بو-را إلى وسط المدينة لمقابلة العمال
وصاحب متجر مواد البناء وقارنت بين أقوالهم
وأقوال جين-مان لتتأكد منها. كانت كما قال
بالضبط، ولم يكن هناك أي شيء مخالف له. عادت
إلى المكتب وقد تخطت الساعة موعد انتهاء العمل
بكثير، فنظر إليها تشوي تيه-غون بلا تركيز وكأنها
شخص غريب.

لم تفهم لماذا جاء على خاطرها فجأة إحساس ملح
بضرورة أن تنظف المنزل. كان يصدر عن الأرضية
الخشبية صوت صرير خفيف باستمرار، فالمنزل كان
قديمًا، ولكن خلال الأيام القليلة الماضية لم يكن

يهدأ لمي-ران بال دون أن تكنس وتلمع وتذعك كل ما بداخل المنزل لمدة ساعتين يوميًا. إذا ما أزالستائر، ظهر ما كان خفيًا من العيوب التي بدا أنها تهدد حياتها. كان هناك كذلك الغبار المتطاير من بين فتحات الأرضية، نساتر الخيوط بأطراف السجاجيد المتهالكة، الشعيرات المتناثرة والتي لا بد وأن تكون لها، ريش الحمام والفتات المتطاير بفعل الرياح....

دارت حياتها بداخل ذلك المنزل الفوضوي والكريه. كانوا يعيشون بذلك المنزل يضحكون ويتسامرون ويفضبون ويتشاطرون الأسي، يبكون أو يواسون بعضهم أو يصرخون في بعضهم بعضًا. كانت هناك أزمات صعبة، ولكنهم تخطوها وأصبحوا أكثر قوة.

لم تخل الحياة من الأسرار والخدع. أصيب جين-مان بالآم في الظهر منذ عامين، وأخذ ورم مي-ران الليفي بالرحم يكبر شيئًا فشيئًا، بالإضافة إلى شراء هان-جو للعبة بدلًا من الكتب الدراسية الخارجية وقضائه فصل دراسي كامل دون مذكرات دراسية، سرقة سو-إين للسجائر من جيب جين-مان وتدخينه إياها. لم تكن بأسرار أكثر من كونها أمورًا ليست بالضرورة الإفصاح عنها، أمورًا لو عُرفت لن تكون ذات أهمية كبيرة.

لم تكن مي-ران تبغض زوجها على الرغم من ضيق العيش. فقد كان زوجها يجتهد في عمله ولم يكن المال عائقًا بالحياة. ربما هناك شيء من الانزعاج ولكنهم تمكنوا من أن يجدوا طريقة أو أخرى ليتخطوا الأمور. بيد أن دخول سو-إين الجامعة

كان مختلفًا، فبالوضع الحالي، لم يكن لديهم القدرة على التحاق سو-إين بالجامعة من دون منحة كاملة. شرح لها المدرس المسؤول عن دخول الجامعة الأسبوع الماضي عن تفاصيل عدة منح لجامعات بسيول. كلها جامعات حديثة التأسيس تقدم منحًا مغرية ومساعدات دراسية للطلبة.

احتضنت مي-ران سلة الغسيل الفارغة ما بين ذراعها ووسطها ونظرت للأدراج الأربعة أمامها. كانت الأدراج العلوية تخص زوجها وابنيها، والدرج الأخير يخصها. كان هذا الترتيب يحمل في طياته تنظيمًا لهذا المنزل لم يسبق الشك به.

في فترة بلوغ الأولاد، كانت الملابس تتجه إلى الأسفل من درج إلى آخر كجريان المياه. فسترة زوجها كانت تنتقل إلى درج سو-إين بعد أن تضيق، وبعدها بعدة أعوام تنتقل إلى درج هان-جو. اختفت الفوارق ما بين الأدراج أكثر بعد بلوغ الأولاد. فلم تعد القمصان والسترات والبناطيل تخص أحدًا بل ملكية عامة. فاعتاد الأولاد ارتداء قمصان والدهم بلا اكتراث وكان الأخ الصغير يرتدي بناطيل أخيه الأكبر. وعندما كانت ترتب الملابس المغسولة بعد طيها وتعيدها بالأدراج، كانت كثيرًا ما تحتار ولا تعرف من تخص منهم. في الحقيقة، لم يكن مهفًا للغاية معرفة من تخص، فجميعهم تشاركوا المصير نفسه كما تشاركوا الملابس.

الغريب في الأمر أن مي-ران كانت قادرة على التفرقة بين رائحة كل فرد من العائلة بكل درج

على حدة. أخرجت مي-ران من الدرج العلوي بنطال زوجها الخاص بالعمل والذي تفوح منه رائحة الخشب القديم والوحل، ومن الدرج أسفله أخرجت بنطال سو-إين المدرسي وقميصه المقلم، ومن الدرج الثالث أخرجت قميص هان-جو البني وبنطاله الجينز الذي فاحت منهما رائحة الألوان والزيت، ومن ثم قامت بوضعهما في سلة الغسيل.

سبق لها وأن سمعت عن حكايات السيدات اللواتي يخرجن الغسيل النظيف من الدواليب بعد أن طويته ليغسلنه مجددًا، ولكنها وقتها كانت تضحك عليهن مستهزئة. أما الآن فكان لا بد لها وأن تفعل هذا. ستقوم بدعك وغسل أطواق الملابس والأكمام والركب ليس مرتين فقط، بل ثلاثًا، أو أربعة حتى، لتمحي تمامًا أي أثر قد لا يزال متبقيًا من تلك الليلة. لم تعرف السبب بالضبط ولكن تصرفات رجال هذا المنزل بدت غريبة للغاية في تلك الليلة. فقد بدوا جميعًا سذجًا بعيون مندهشة. لم تتمكن من تحاشي الأفكار السيئة مهما بذلت من جهد بالأخص تتخيل العلاقة التي قد تكون بينهم وبين تلك الليلة المفجعة. كان جميعهم أقوياء وأذكاء وطيبين القلب ولكنهم كانوا جميعًا بحاجة إلى رعايتها.

عندما عادت إلى البيت في تلك الليلة بعد العاشرة، كان زوجها بمفرده بالمنزل. أوشك على ارتداء ملابسه بعد خروجه من الحمام وهي أمام باب المنزل. وقد أضفت الإنارة الضعيفة للمصباح زرقة خفيفة على وجهه.

«هل تناولت طعام العشاء؟».

نظر إليها وهي تسأله كمن ينظر إلى شخص غريب. علا وجهه تعابير مذهولة كمن اكتشف أمره ويرتكب جرماً لا يجدر القيام به. غير الحديث وهو يمسح جبينه بالمنشفة المتدلية عن رقبتة.

«تأخر الولدان كثيرًا. لا بد وأن تقومي بتنبيههما عندما يعودان».

نظرت مي-ران شاردة إلى «أفرول» زوجها الملقى أمام باب المنزل وقد علاه الوحل. تجاهل الرجال الثلاثة وكان بينهم عهد ما طلبته مي-ران بأن يضعوا الملابس المتسخة في السلة إلى جانب الغسالة. كان زوجها يلقي بملابس العمل الخاصة به أمام عتبة باب المنزل والولدان يرميان الملابس في أي مكان. بدا بنطال زوجها وقد صار جزء منه باهتًا وشفافًا كجناح حشرة الزيز.

وبعد قليل، دخل هان-جو المنزل من الباب المفتوح. تصاعدت من جسده رائحة مذيبة الألوان ورائحة عرق حادة، فقالت مي-ران:

«لقد تأخرت. أين كنت حتى هذا الوقت المتأخر؟».

«في المرسم بالمبنى المنفصل».

اطمأنت مي-ران لقوله. لم يبق الآن سوى عودة سو-إين. وقفت عند الباب وقد انتابها شعور بالقلق. علا صوت أزيز حشرات الحقل وتصاعدت رائحة العشب بفعل الرياح. وكانت أوراق الشجر على التل تلمع بلون فضي. وظهر أسفل نور القمر الخافت ظل

سو-إين الرفيع.

«لماذا تأخرت هكذا؟».

«لقد ذهبت إلى وسط المدينة».

ظهرت علامات القلق حول عينيها. كان سو-إين ابناً يجعل والديه يشعران بقلّة الحيلة. فلا بد أن تتناقش مع زوجها عدة مرات حول الهدف والمعنى من وراء الكلام وأن تنظم في رأسها نقاط النقاش وترتب الكلام إذا ما أرادت أن تسأل سو-إين شيئاً ما أو حاولت التحدث إليه. ولكنها على أي حال اعتبرت أن هناك سبباً مقنعاً إذا لم يجبهها سو-إين. ففي النهاية تعرف بشكل عفوي وفي كثير من الأحيان أنه لا يكون هناك داعٍ لتعرف. ولكن تلك الليلة كانت مختلفة. كان هناك داعٍ لتعرف وكان لا بد أن تعرف.

«وأنا أسألك أين كنت بالضبط».

صاحت دون أن تشعر، واستجوبته بالتفصيل حول لماذا هو قادم من جهة التل وليس من جهة المدرسة، ولماذا تبللت أطراف بنطاله الذي ارتداه لتوه هذا الصباح، ولماذا وجهه أبيض باهت لهذه الدرجة.

«لقد تشاجرت مع شخص ما. ليس بالأمر المهم».

كانت ترغب في أن تسأله مع من تشاجر، ولكنها لم تفعل. فقد بدا لها أنها لن تحصل على إجابة.

«هل أصبت؟».

«لا».

كان هذا جيدًا. ستعرف بالتأكيد التفاصيل لاحقًا. وهي لا تهتم في الحقيقة إن لم تعرف مطلقًا.

«حسنًا. اذهب للداخل واغتسل. وتأكد من أن تضع الملابس التي ستغيرها في سلة الغسيل».

وضعت مي-ران بنطال سو-إين الذي أنهت كيه، وقميص هان-جو الذي لا يزال به آثار الألوان التي لا تمحى، و«أفرول» زوجها في طبق الغسيل الذي خلطت فيه الماء بالصابون ووطأت عليهم بقدمها، فلم يكن بوسعها الوثوق في الغسالة.

ألمتها أصابعها من كثرة الفك والدعك للملابس. أدركت مي-ران في تلك اللحظة سبب قيامها بكل هذا، لاحتمال وجود علاقة ما بشكل أو بآخر بين موت جي-سو وبين زوجها أو أحد أبنائها، أو ربما جميعهم.

ولكن لم يكن بإمكانها أن تواجههم. فقد كان هذا العالم هو ما لم تثق به وليس هم. كانت تعرف من العديد من الأفلام والمسلسلات، ومن شكوى وأنين البشر من حولها، كم أن هذا العالم غير عادل ولا يمكن الاطمئنان له.

من السهل أن يثيروا شك الشرطة لحقيقة قربهم من أفراد عائلة منزل هاورد. فقد يخبر شخص ما بطبيعة علاقة الأولاد بجي-سو. بالفعل كان الولدان وجي-سو مقربين من بعضهم، لذا لا بد وأن يأتي المحققون اليانسون إليهم ليبحثوا عن الجاني. ولا بد أيضًا أنهم سيستغلون تردد الأولاد الأبرياء الصغار ويجعلونها حجة.

كان من واجبها أن تعتني بأفراد عائلتها وتطمئنهم وتحميهم. فلن تسمح أبدًا مهما كان بحدوث أمر أخرق لهم. ولأجل ذلك ستقوم بكل ما يمكنها فعله. وإن لم يكن بالإمكان تفاديه فستفعل ما لا يجدر القيام به كذلك.

نشرت الملابس المغسولة على حبل الغسيل بعد أن نفضتها جيدًا. تمايلت الملابس مع الرياح يمينًا ويسارًا. وبدا لها أن زوجها وسو-إين وهان-جو يتطايرون معًا نحو السحب الفضية بالسماء.

ذُفنت رفات جي-سو في مقبرة بضواحي المدينة بعد أن أحرقت حتى صارت رمادًا. تجنب المحققون حضور العزاء بحجة انشغالهم بالعمل. فكان على تشوي تيه-غون أن يحقق في كل عناصر العصابات المتواجدين حول السد، وكان على يون سان أن يذهب إلى مكتبة المدرسة ليقابل سو-إين. وغادر كيم إن-شيك المكتب متحججًا بذهابه إلى السمكري لتصليح سيارة الجيب التي تصيبها الأعطال باستمرار ما إن يتم تشغيلها. وبسبب هذا، تعيّن على نام بو-را المسؤولة عن التواصل مع عائلة الضحية أن ترتدي الزي الرسمي كاملاً مع قبعة الشرطة كذلك وتذهب بمفردها.

تجمع المعزون لحضور مراسم الدفن بالصباح. كانت ظهورهم محنية ويخفضون رؤوسهم في أثناء العزاء. حتى أصدقاء جي-سو أنفسهم بدوا عجائز. وحينما أوشكت مراسم الترميد على الانتهاء، رن هاتف نام بو-را. كان يون سان هو المتصل. أبلغها

بأنه التقى سو-إين وحقق معه في تفاصيل أماكن تواجده يوم الحادثة وأمرها بمقارنة ما قاله مع هان-جو.

تركت نام بو-را قاعة العزاء. كان العرق قد تراكم برأسها أسفل القبعة بسبب أشعة شمس الظهرية. أخرجت نظارات الشمس وارتدتها وسارت متبعة ممشى التنزه على أطراف المقابر والممتد على جانبي قمة الجبل. لمحت عيناها من بعيد فتى أخفى وجهه بين يديه وقد جثم ملتفًا حول نفسه تحت ظلال شجر الزعرور. اقتربت نام بو-را من مقعد الحديقة الذي جلس عليه الفتى.

رفع الفتى وجهه وقد بدا شديد النحافة وباهتا أكثر عما كان يبدو عليه عن بعد. ابتل قميصه الأبيض بالعرق والتصق شعره بجبينه. كانت تعابير وجهه يتخللها ضعف الطفل الأصغر بالعائلة الذي لا بد وأن يتم الاعتناء به. نزعت نام بو-را نظاراتها ووضعتها بجيبها الأمامي وقالت:

- قلت إن اسمك هان-جو، أليس كذلك؟ أعرف أن الأمر صعب عليك، لأنك كنت مقرَّبًا من جي-سو. وعلى الرغم من ذلك ستتحسن الأمور. أليس كذلك؟ لم يرد عليها هان-جو؛ لن يتحسن أي شيء. كان يعلم أن لحظات هذا الصيف القصيرة لن تمر في هدوء، بل أنها ستقرر مصير حياته الباقية.

- هل يمكن أن أسألك بضعة أسئلة؟ سنتحدث عن بعض الأمور بشكل عابر. ربما أكون قد غفلت عن شيء ما. فقط بشكل عابر ليس إلا.

كررت نام بو-را كلمة بشكل عابر. ولكن ليس هناك ما هو عابر في التحقيقات، فكل سؤال له هدفه. تفادى هان-جو نظراتها ولم يستمع إلى نام بو-را التي أخذت تحرك شفيتها بخفة. بدا من تصرفه هذا نوعًا من التذمر أو أنه قد يكون طاعة مجبر عليها.

- هل كانت جي-سو تحب شخصًا ما؟ أو هل كان هناك من يحبها...؟

أنهت نام بو-را حديثها بأسئلة وكأنها تتبع تعليمات الحديث التي فرضتها عليها وظيفتها كشرطية. ارتعش جسد هان-جو وهو يفكر أنه هو نفسه إجابة كلا السؤالين. أزعجته أصوات اليز التي حامت حول أطراف أذنيه.

- لا أعرف. كنا نرسم معًا فقط. كانت جي-سو تحب العمل كعارضة. تبتهج كثيرًا عندما يتم رسمها أو تلتقط الصور لها.

تذكرت نام بو-را لوحة هان-جو المعلقة في غرفة جلوس منزل هاورد. كان منزل هاورد في هذه اللوحة مغطى بالثلوج بهيبة وجمال لا يمكن رؤيتهما في الحقيقة. وبدا لها ظل جي-سو الظاهر من نافذة الطابق الثاني المضاء بأنه لشخص مدرك لجماله. وجال بخاطرها أن التوق والرغبة الموجودين في اللوحة نابعان من مشاعر هان-جو وليس من جي-سو نفسها.

- هل كنت تحب جي-سو؟

جاء سؤال نام بو-را بصيغة الماضي. أصابته حقيقة أنه لن يتمكن من رسم جي-سو مجددًا بالأم

شديدة طالت كل فقرة من فقرات ظهره.

- وهل هناك خطأ ما إذا كنت أحببتها؟

شعر هان-جو بعداوة شديدة لنفسه هو أيضًا لاستخدامه صيغة الماضي. شعر بغرابة الموقف عنه بشدة وكأنه يحدث لشخص آخر وليس هو. سألته نام بو-را مجددًا:

- في ذلك اليوم... متى كانت آخر مرة التقيت فيها بجي-سو؟

ارتعش كاحل هان-جو بسرعة وشدة كلاعب تنس عاد لتوه إلى كرسيه ليستريح بعد أن أنهى جولة حامية. نظر هان-جو إلى أنف نام بو-را المنخفض وقد اتسخ وجهها بعض الشيء وبهت وأجابها:

- في الصباح عندما كنت في طريقي إلى الرسم، كانت ذاهبة إلى المدرسة. كانت تذهب إلى المدرسة خلال العطلة من أجل الدراسة الذاتية.

- هل كان هناك خطب ما بها في ذلك الوقت؟

- لا. كانت على عاداتها نفسها.

- كيف؟

- كانت باردة، تقول ما تريده ومن ثم ترحل.

- وماذا قالت؟

- قالت إن لديها أمرًا ما يشغلها بعد ظهر ذلك اليوم وإنها لن تستطيع القدوم إلى الرسم. كانت عارضة البورتريه الخاص بي خلال فترة العطلة.

- وأين كنت أنت مساء ذلك اليوم؟

تجمعت قطرات العرق أعلى جبين هان-جو. كانت ملبسه رثة بعض الشيء ولكن به كياسة خاصة لا يمكن رؤيتها في الأولاد من عمره نفسه. رزانة لا يكفي وصفها فقط بحسن الشخصية أو الوسامة. اعتقدت نام بو-را أنه فتى ذو طبيعة حساسة يصعب التعامل معها. ولكن لم يكن بإمكانها أن تعرف إن كان هكذا فعلاً أم أنه يخفي شيئاً ما.

- كنت في المرسوم بالمبنى المنفصل.

حاول هان-جو بأقصى طاقته أن يتذكر تعابير وجه أخيه وحركات جسمه وهو يطلعه على ما يجب أن يقوله. فسألته نام بو-را مجدداً:

- بمفردك؟

- كنت مع أخي. فقد طلب أبي من أخي أن يساعدني في مذاكرة الرياضيات.

أكمل هان-جو بعد ذلك إجابة السؤال كما ذكرت له بالتفصيل. كانت أقواله مطابقة تقريباً لأقوال سو-إين التي أطلعها عليها يون سان. الاختلاف الوحيد تقريباً أن سو-إين شرح مسائل الرياضيات وحلها بالتفصيل في حين اكتفى هان-جو بقول إن أخيه ساعده في مذاكرته للرياضيات.

- هل انتهيت؟ أيمكنني أن أذهب الآن؟

قالها هان-جو وهو يتحقق من تعابير وجه نام بو-را بعينين مضطربتين.

- بالتأكيد. لا تفكر كثيرًا في حديثنا، ليست مشكلة كبيرة. مجرد أسئلة عابرة.

هكذا أجابته نام بو-را بلا اكتراث، غير أنها استمرت في التفكير بعدها. هل الأخوان بالفعل بريثان؟

الفكر السائد يحتم بأن يُنظر إلى مدى صدق حجة الغياب بين الأقارب بثقة أقل من تلك التي بين الغرباء. ولكن نام بو-را أرادت أن تطمئن الفتى الصغير بأن استجوابها ليس بالأمر الجلل، لأنه فعلاً ليس أمراً مهقاً.

في حين فكر هان-جو وهو يبتعد عن نام بو-را في تردد. أي تعبير سيرتسم على وجهها إذا ما أطلعها على حقيقة ما حدث في ذلك اليوم؟ إذا ما أخبرها بأن أخاه لم يكن معه في المرسم ذلك اليوم، وأن من كان معه في ذلك المكان هي جي-سو، وأنه طلب منها أن تكون عارضته خلال فترة العطلة وأنها استجابت لطلبه، وأن جي-سو تركت المرسم قرب وقت مساء ذلك اليوم...

هل ستصدق كلامه؟

تكدست مجموعة من الأوراق من حجم A4 والمخططات المتعلقة بالقضية بالإضافة إلى خريطة المنطقة أعلى طاولة الاجتماعات. كانت الصرامة التي ملأت الأجواء حول الطاولة التي تلطخت ببقع القهوة وبقايا السجائر لا تسمح بإعطاء استنتاجات تافهة أو غير منطقية.

قدمت نام بو-را القهوة التي حضرتها في أكواب ورقية إلى أعضاء فريق التحقيق. وبدأ كيم إن-شيك، الذي انتشر الشيب في شعر رأسه المجعد

والمتشابك، في تقديم مستجدات التحقيق.

- لم يكن هناك شيء مميز في علاقات الضحية مع الآخرين. فلم تتشاجر مع أحد مؤخرًا، كما أنها لم تقترض الأموال أو تسلفها لشخص آخر.

كانت الأمور اليومية البسيطة كالعلاقات المتعلقة بالمال، أو العلاقات العاطفية، أو أي ما قد يثير مشاعر الغضب هي النقاط الأولية المشتركة التي يبدأ منها المحقق المحنك أو المبتدئ بحثه في قضايا القتل. بمعنى أن جرائم القتل ليست أكثر من مجرد أحداث في الحياة العادية يرتكبها أشخاص عاديون وليس شرطًا أن تكون أمرًا مميزًا أو ذات صلة بأشخاص مميزين.

- اسمعوا جميعًا. لقد قُتلت ابنة مرشح لمنصب محافظ المدينة على يد شخص مجنون. لذلك لا بد وأن تعثروا على أي دليل. ما يريده الكبار هو النتائج. أخذ رئيس التحقيق بعض على طرف سيجارته في قلق ومن ثم أشعل عود ثقاب. وعلى إثر الهواء المعبق بدخان الثقاب، سعل كيم إين-شيك قليلًا.

- قابلت صاحب الدكان بمدخل ممشى التنزه وقال إنه يعرف الضحية. وأضاف أنها كانت تتردد على الممشى مرة أو مرتين في الأسبوع منذ شهر تقريبًا. ولكنه أكد أيضًا أنه لا يتذكر رؤيتها في يوم الحادث.

- وماذا عن بقية الأولاد؟ ألم يذكر آيا من الأولاد الآخرين الذين يترددون على الممشى؟

- تحققت من أمر بعض الأولاد المتسببين

للمشكلات ولكن ليس هناك شيء يذكر. اعتادوا تدخين السجائر بالقرب من الممشى ولكن في ذلك اليوم تأكدت من أنهم كانوا بملعب للبلياردو في وسط المدينة. ولكن صاحب الدكان قال إن هناك طالبا بالمدرسة الثانوية اعتاد ركوب الدراجة على ضفة النهر منذ حوالي ستة أشهر.

- ومن هذا؟

- لي سو-إين، الابن الأكبر للي جين-مان. يقال إنه كان الأقرب إلى الضحية من بين الأولاد في عمرهما نفسه. كما نال أخوه الأصغر جائزة للوحة رسمها للضحية. يبدو أن والد الضحية أيضا يشك في هذين الولدين. أعتقد أنه لا بد وأن تحقق في أمرهما عن كثب.

نشرت مروحة السقف المتهالكة الهواء الساخن بالغرفة. وعلى الرغم من موافقة نام بو-را لرأي كيم إين-شيك، عجزت عن إبعاد وجه هان-جو من تفكيرها. فقد كانت هناك ثغرات بأقواله ولا بد من التحقق منها، ولكنها رغبت في تصديق ذلك الفتى. دون أن تشعر، قالت على عجل:

- ليس هناك دليل قاطع على ذلك. لقد استمر الولدان بالبحث عن الضحية يوم الحادث طوال الليل. وعلى عكس والد الضحية، أعتقد أن الوالدة تثق بهما.

وما لبث أن هاجمها كيم إين-شيك وقد بدا في وضع محرج.

- أتعرفين أن ما تقولينه الآن كلام فارغ؟ سترتبك

التحقيقات إذا أصبح لمشاعر التعاطف دور في البحث. لا بد أن تأتي بدليل لائق إذا أردت الإدلاء برأي ما!

- أنا... لقد قابلت اليوم في جنازة جي-سو الابن الثاني لمنزل مالكوم. كانا بالفعل قريبين من الضحية ولكنهما كانا يذاكران الرياضيات معا في يوم الحادث في المبنى المنفصل لمنزل هاورد.

صدر صوت طفيف للسيجارة التي ألقاها رئيس التحقيق كانج في الكوب الورقي على الأرض والذي تبقى به بعض من القهوة، لتنطفئ في النهاية.

- أليست وظيفة مسؤول التواصل مع أهل الضحية الاهتمام بهم وليس التحقق من حجج الغياب؟ هل أنا مخطئ؟

علت الحمرة وجه نام بو-را لتوبيخ رئيس التحقيق لها. كانت بالاسم فقط مسؤول التواصل مع أهل الضحية ولكن في الحقيقة لم يكن هناك ما يمكن لفتاة أن تقوم به في التحقيق. فرئيس التحقيق يرى أنه لا يمكن لفتاة أن تصارع مجرماً عند القبض عليه، أو أن تطارد مشتبهاً به، أو أن تستجوب مشتبهاً به مقبوضاً عليه في غرفة الاستجواب، أو ربما تغمض عينيها في غرفة التشريح أو تتقيأ. وكان أعضاء فريق التحقيق يرون أن وظيفتها تقتصر على القيام بالمهام الصغيرة. شخص يعد القهوة بعدد الحاضرين في أثناء عقد الاجتماعات ويستمع لتذمر أهالي الضحايا في صمت، أو أن تكون ذلك الشخص الذي يصب عليه الجميع غضبه وضيقه إذا

ما تعقد التحقيق أو وصل لنقطة مسدودة.

استمر تدمير رئيس التحقيق وكان تأخر ظهور نتائج للتحقيق خطأ نام بو-را:

- وعلاوة على ذلك! أي دليل هذا على الحجة بمجرد سؤال صاحبها؟ إنهما أخوان، لا بد من الأخذ في الاعتبار احتمالية أنهما خططا لحجة الغياب معاً، أو احتمالية أنهما مشتركان في الجريمة. لا تبحتي عما يثير الريبة في تصرفات المشتبه بهم، بل ابدئي بحثك بما هو مثير للشكوك بهم وهاجميهم.

كان يون سان متفهماً لتحامل رئيس التحقيق عليها. فكونها فتاة ولا تزال حديثة التعيين، فضلاً عن أنها لم تخبر العمل على الحوادث الجنائية سابقاً، كلها عوامل أدت لذلك التحامل. ولكن لم يمنعه ذلك من الشعور بالظلم. فقد كان لدى نام بو-را إمكانيات لتصبح محققة ماهرة على الرغم من أنها لا تزال بلا خبرة. كانت طبيعتها متفائلة ومليئة بالفضول، ولكن كان يمكن الاستفادة من قدرتها على إدراك الوقت الذي يجدر فيه أن تكون حذرة وقدرتها على الإلمام المسبق بأوضاع الحادث وتحليل الأدلة. غير يون سان تناولهم للحادث في حذر.

- ألا يمكننا تغيير طريقة تناولنا للحادث؟ بأن نحقق في أمر الضحية نفسها عن كثب بما أننا لم نجد أي شيء مهم في أثناء بحثنا حول المحيطين بها؟

- أن تفكر إذن في احتمالية أن يكون حادث

انتحار؟ انصت إلي جيدًا! أهذه طريقة يتعامل بها المحقق مع حادث من هذا النوع؟ ليس هناك أي دليل يثبت ما تقوله، مهما كان حجم الغموض الذي يحيط بالمجرم.

احمر وجه يون سان لتوبيخ رئيس التحقيق الذي كان أقرب للسخرية. فقد كان رأي رئيس التحقيق حول يون سان القادم من فريق التحقيقات في القضايا البسيطة بأنه لئین الطابع. قد يكون حكمًا مسبقًا أطلقه عليه بأنه محقق منعكف على الأوراق ينبش في قضايا النشل ويحقق في قضايا التحرش الجنسي البسيطة، ولكن لم يكن فارغ الحيلة تمامًا. قال يون سان معترضًا:

- لم تكن هناك آثار لجروح متعمدة على الجثة بخلاف الآثار التي نتجت عن احتكاكها وتخبطها بالأجسام الصلبة في أثناء انجرافها مع مياه النهر.
- لا يمكننا أن نعتبر هذا دليلًا على الانتحار وإنما دليل على عدم مقاومة الضحية، أي أن الضحية تعرف المجرم.

دعم كيم إين-شيك رأي رئيس التحقيق وهو يهز حاجبيه رافضًا لحديث يون سان:

- شئنا أم أبينا، لم يعد الحادث قضية قائمة بمفردها. فالمواطنون يطالبون بالقبض على المجرم والصحافة تبحث عن المجرم قبلنا. برأيك كيف سيكون الوضع إذا ما انتهى التحقيق إلى أنه حادثة انتحار لابنة رجل سياسي محط أنظار الجميع؟ سيفكر الناس أن الشرطة غير كفؤة وقد عجزت عن

القبض على القاتل فاستخدمت الضحية لتتفادى
تحمل المسؤولية.

ربت رئيس التحقيق بكوب القهوة المبلل على
الطاولة وقد اشتد حنقه وقال بصوت ملاه الخيبة:
- سأغادر الآن. لديّ مقابلة مع الرئيس غداً في
الصباح الباكر.

تساءل تشوي تيه-غون بصوت يملاه الامتعاض:
- لا أعرف لماذا يصر الرؤساء على استدعائنا؟
بالكاد نلتقط أنفاسنا وسط انشغالنا بالبحث عن
المجرم.

أجابه رئيس التحقيق:

- سماعة هاتف الرئيس تكاد تشتعل من الاتصالات
التي لا تهدأ بسبب تباطؤ التحقيقات. إذا لم ترغب
في رؤية الرؤوس تتطاير ضحية هذه القضية
فابحث في كل شيء دون تفكير. كل من حول
الضحية من العائلة والأصدقاء والجيران جميعهم.

غرق الهواء بداخل غرفة الاجتماعات في جو من
الحنق الذي خلقه رئيس التحقيق. صمت الجميع. لم
يكن هناك ما يوحي بأن أحداً سيقطع هذا الصمت
قريباً. وبعد فترة، أطلق تشوي تيه-غون زفرة عميقة.

- ليس باليد حيلة. لا بد أن نبذل جهداً أكبر إلى
أن تشتعل أقدامنا حتى وإن كان من أجل رئيس
التحقيق فقط. لنقم بهذا إذن.

سأل كيم إين-شيك بعينين مملأهما الفضول:

- ماذا نفعل؟

بدا عليه أنه في انتظار دليل أو رأي قد يحدث نقطة تحول غير مسبقة في التحقيق. نظر تشوي تيه-غون إلى نام بو-را الجالسة في الجهة المقابلة له على الطاولة وقال:

- لنشرب كوبًا آخر من القهوة أولاً ومن ثم نفكر.

لم تعرف نام بو-را كيف تتصرف وهي تنقل بصرها ما بين تشوي تيه-غون وكيم إين-شيك، في حين قال يون سان وهو يرفع مفكرته عن الطاولة ويضعها بجيبه:

- أي قهوة تلك التي سنشربها في منتصف الليل؟ أيتها الشرطة نام! عودي إلى المنزل. لا بد وأن ننال قسطًا من النوم.

غادرت نام بو-را غرفة التحقيقات خلف يون سان. كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة ليلاً.

تعالى صوت الطرقات على الباب. فتح جين-مان الباب بخطوات متثاقلة. وما إن دخل يون سان المنزل حتى سحب سيجارة وأشعلها دون استئذان. - يالك من محظوظ. أعني في أولادك. فابنك الأكبر نال المركز الأول بالمدرسة والآخر لديه موهبة فذة في الرسم.

تداخل كلام يون سان مع دخان سيجارته. أطفالها للتو، بدا كأنه فعل ذلك ليتعمد الخشونة في معاملته ويختبره. رد عليه جين-مان بجفاء:

- كان الأولاد مقربين من أفراد عائلة منزل هاورد ولكن ليس لديهما أي علاقة بما حدث.

- أعرف ذلك. أريد فقط أن أتأكد.

- وما الذي لم تتأكد منه بعد؟

- هناك شاهد على أن ابنك الأكبر كان يحوم حول الممشى لدى ضفة النهر. ولكن ما حدث هو أن فتاة صغيرة ماتت بذلك المكان.

- هل قلت... يحوم، يا سيدي المحقق؟ كان ابني واحدًا فقط من بين المئات بل الآلاف الذين تنزهوا بذلك المكان في ذلك اليوم. وليس ذلك اليوم فقط، فقد اعتاد الذهاب إلى هناك كثيرًا. وعلاوة على ذلك، كان ولداي معًا في الوقت الذي حدث فيه ذلك الأمر.

توقف جين-مان عن الحديث فجأة وقد شعر بأن صوته أعنف وأعلى على عكس رغبته. تحقق يون سان من الوقت من ساعة الحائط القديمة؛ الثالثة وخمس وخمسون دقيقة. غير يون سان دفعة الحديث:

- لقد قمت بالتقاط صور العائلة لسكان منزل هاورد. هل هناك سبب معين لذلك؟

- كان أمرًا اعتدت القيام به منذ كان دكتور هاورد موجودًا. عهد إلي الدكتور هاورد بكاميرا قديمة قائلاً إنني أحسن التقاط الصور. ومنذ ذلك الحين وأنا ألتقط الصور التذكارية إذا كانت هناك فاعلية ما بالمستشفى أو المدرسة، طبعًا بالإضافة إلى الصور الشخصية والعائلية للدكتور. واشتريت أجهزة مستعملة وخصصت غرفة مظلمة بالبدروم لتوفير مصروفات معالجة وطباعة الصور. أصبحت ألتقط

الصور للسيد جانغ فيما بعد بالكاميرا التي أهداني إياها الدكتور هاورد قبل عودته لبلاده.

- هل كنت تلتقط صورًا لجي-سو أيضًا بمفردها؟

تفقد يون سان تعابير وجه جين-مان جيدًا. كان واضحًا منه أنه يراقبه.

- وهل كان ذلك مع جي-سو فقط؟ لقد التقطت صورًا منفردة للسيد جانغ والسيدة كيم سون-أو ولهيه-ري، بل وأيضًا لنوفمبر الجرو.

تغير لمعان بعيني يون سان بشكل غامض.

- هل كانت جي-سو أكثر من ألتقط لها صور؟

لم يكن بوسع جين-مان معرفة ما إذا كان يون سان يشك فيه أم يختبره ليعرف ماذا يخبئ.

- يمكنك قول هذا.

- هل هناك سبب معين لذلك؟

- لأن جي-سو كانت تحب الصور، أو بتعبير أدق كانت تحب أن يتم تصويرها.

طلب يون سان أن يرى الغرفة المظلمة. خرج جين-مان من المنزل ونزل السلالم الضيقة بجانب الردهة. وبالأسفل، كانت هناك غرفة بدروم تصل مساحتها إلى عشرة أمتار عرضًا وخمسة أمتار طولًا. وعلى الأرفف الجانبية لطاولة العمل، كان هناك سجل قصاصات من الصحف ومجموعة مختلفة الأشكال من القوارير الزجاجية والعلب البلاستيكية، وعلب الطلاء، وقطع من الخشب والورق المقوى، ورأس تمثال غريب مكسور الأنف. كما كانت هناك

مقصات تقليم وموالج وأدوات صناعة المشغولات الخشبية بأحجام مختلفة.

كانت الغرفة المظلمة عبارة عن مساحة منفصلة بلوح خشبي بدا أنه أخذ من المدرسة في فترة أعمال الصيانة. تخطى جين-مان الطاولة وعبر الباب الخشبي إلى داخل الغرفة المظلمة. ووصل إلى سمع يون سان صوت تسرب مياه من صنوبر ما.

ظل يون سان بداخل غرفة العمل بمفرده وأمعن النظر فيما حوله. لفت نظره عناوين قصاصات الجرائد المثبتة على لوح فلين. «طريقة التواصل مع الأولاد في سن المراهقة»، «من أين تأتي الموهبة الفنية؟»، «مقابلة مع الحاصل على المركز الأول في امتحان المهن القضائية»... كانت مقالات الجرائد تدور حول كيفية تربية الأولاد.

وإلى جانبها، كانت هناك قصاصة لمقالات حديثة. «غموض يكتنف حادثة اختفاء طالبة بالمرحلة الثانوية»، «الشرطة تبحث في قضية اختفاء طالبة بالمرحلة الثانوية ترجعها إلى حادث اختطاف»، «العثور على جثة طالبة المختفية، مزيدًا من الانتقادات ينصب على التحقيقات الأولية»....

فتح يون سان المفكرة الموضوعة على الطاولة. كانت الأفكار المتعلقة بالعمل مرتبة ومليئة بالمخططات والرسومات. هناك رسم لروابط أنابيب الصرف، وحسابات لأعداد العمال اللازمين لعملية تغيير الأنابيب ويومياتهم، ورسم للوح الخشبي الواجب تغييره ومخطط الفصول الدراسية...

- من غير اللائق العبث في مفكرة الآخرين حتى وإن كان في إطار التحقيق.

جذب جين-مان الذي أقبل لتوه المفكرة من يده. ومن حدثه سقطت المفكرة على الأرض وانفتحت على رسمة ملونة. كانت رسمة لضفتي النهر وجسر سومون يطل على الخزان. بدت رسمة حديثة نظرًا للون الأخضر الفاقع الذي غطى فروع الأشجار ومستوى المياه المنخفض. فجأة، انتاب يون سان الشك بأن جين-مان تعمد وضع المفكرة أمامه ليراها. فإن كان هذا ما حدث بالفعل، فما الذي يرغب في أن يقوده إليه؟

سأل يون سان وهو يقلب في مفكرته وكأنه لا يعبأ بالإجابة:

- لديك سابقة جنائية. قبل الزواج... أي أنك كنت بعمر السادسة والعشرين وقتها؟

تصلبت تعابير وجه جين-مان حتى صار كقطعة من الرصاص. رفع يون سان رأسه ونظر إلى جين-مان. كانت نظراته حادة كنظرات أفعى التفت حوله ورأسها منتصب أمام وجهه. أجاب جين-مان وهو يتحسس لحيته الخشنة بيديه:

- كان هناك خلاف بسيط مع المسؤول عن العمال في مصنع لالات الخياطة كنت أعمل به.

- تسببت في كسر عظام محيط العين وثلاثة أضلاع له. تم تقديم تقرير بأنه يحتاج إلى اثني عشر أسبوعًا بالكامل ليتعافى. كيف يمكنك أن تقول إنه كان خلافًا بسيطًا؟

- ولكن كلا الطرفين أصيب.

استجوبه يون سان:

- ألم تقض عامًا وستة أشهر في السجن لمخالفتك قانون العنف والتعدي على الآخرين؟ ومن بعدها كنت عاطلاً عن العمل إلى أن تمكنت من العمل في مدرسة هيميل بتدبير من دكتور هاورد؟

تردد جين-مان في الإجابة ولكن ما لبث أن تكلم أخيرًا:

- كان ذلك المصنع مختص بصناعة آلات الخياطة المنزلية. كنت رئيسًا على ما يقارب عشرين عاملًا هناك وتوليت إدارة اللجنة المختصة بتأسيس اتحاد عمالي. كان هناك صدام مع إدارة المصنع بما فيهم رئيس المصنع ومساعد المدير في أثناء عملية تأسيس الاتحاد. وفي غضون ذلك، كانت هناك إصابات ولا بد لأحد من تولي المسؤولية. أشار أحد المدراء إلي. وقمت بالإدلاء بأقوالي بأنني كنت مسؤولاً مباشرًا عن حادث العنف بعد أن ذهبت إلى الشرطة بإرادتي.

- أتعتقد إذن أنك ضحيت من أجل الباقين؟

- ليس الأمر كذلك. لا بد وأن مسؤولية حادث العنف تقع علي وإن لم أكن من قدت التجمع العمالي. كنت في عمر لا يزال دمي فيه حاميًا في عروقي. ولكن لماذا يصبح أمر حدث قبل عشرين عامًا وأكثر مشكلة الآن؟

- أمر كهذا لا يختفي مهما حاولت إخفاءه. تعتقد

أنه انقضى ولكنه يعاود الظهور.

لم يستطع جين-مان أن يعارضه. فقد كان تقرير الحادث وتفصيله بما فيها دوافعه وتحركاته وحتى الحكم بالقضية كلهم محفوظون في سجلات الشرطة. كان مجرمًا مدانًا سابقًا، شخصًا لا يذكره أحد في الأوقات العادية ولكن ما إن تقع حادثة حتى يصبح مجرمًا كامنًا تسرع إليه الشرطة.

كانت العائلة في انتظار عودة جين-مان، ليشموا رائحة بعضهم بعضًا ويربتوا على بعضهم ويتصادموا ويزعجوا بعضهم ويتعايشوا معًا في هذا البيت الرث. اشتاق كثيرًا لأصوات الثرثرة والقهقهة، أصوات تخبط المعالق وعيدان الطعام، أصوات دبدة أقدام الأولاد وهم يصعدون وينزلون الدرج، وقد بدوا بعيدين عنه لعشرات السنين.

تذكر الأوقات التي كان الولدان فيها لا يزالان صغارًا وهو يجلس على الكرسي الخشبي بالردهة الذي تقشر عنه الدهان، مؤخرتاها التي اختلطت بها الزرقة والحمرة والأوردة الصغيرة البارزة، الأعين السوداء التي كانت تطالع عينيه، والشفاه المتموجة كالسمك...

لقد علم سو-إين في هذا المنزل كيف يمشي وخلع لهان-جو أسنانه اللبنية. لم يتمكن من إعطائهما الكثير ولكن ما أعطاه كان كافيًا ليشعرا أنهما محبوبان. وما إن دخل الأولاد مرحلة المراهقة حتى أخذوا يتمردان عليه بأصوات جافة خشنة أو يغلقان الباب وكأنهما سيكسرانه. ولكنه على الرغم من ذلك

كان يستمتع بفترة تمرد الولدين اللذين صارا في عمر يستنكران فيه النصح.

«بالطبع لا ينصت الولدان لما نقوله. هذا يعني أنهما في طريقهما إلى العثور على حياتهما الخاصة».

صوبت زوجته إليه نظرات حادة لما كان في نبرته من هدوء واطمئنان. لقد قلّ كلام زوجته بلا شك هذه الأيام. كان يرغب في أن يطلع زوجته على ما حدث تلك الليلة ما إن تعود إلى المنزل، لأنهم عائلة ولكل منهم الحق في أن يعرف عن الآخر وواجب في أن يطلعوا بعضهم بعضًا عما يحدث معهم، كما أنه لم يكن بحاجة ماسة إلى العائلة أكثر من هذا اليوم.

سمع وقع أقدام سو-إين تحتك بالعشب وهو على وشك أن يفرغ نصف زجاجة السوجو، ذلك الولد الصغير سديد الرأي والذي لا يشبهه على الإطلاق. لم يكن يصدق حقيقة أن هذا الكائن اللامع المتميز هو ابنه. وكان واضحًا له أنه يفضل سو-إين عن أخيه. ولكن هذا لا يعني أنه لا يحب هان-جو. فقد بذل قصارى جهده ليجرز حبه لكلا الولدين بقدر يعتقدان معه أنهما يتلقيان الحب بشكل كافٍ، ذلك القدر الذي لا يجعل سو-إين المفضل لديه ولا هان-جو الأقل تفضيلاً يشعران فيه بهذه الحقيقة.

- ألا تأتي إليّ وتتحدث معي قليلاً؟

لا يعرف منذ متى بالتحديد ولكنه أخذ يستشعر رد فعل سو-إين في أي من قراراته، كما كان يوجه له الأوامر بنبرة التماس. فقد كان رجلاً تافهاً وصغيراً

وبلا قيمة أمام ابنه هذا.

- هل هناك خطب ما؟

قالها سو-إين بنبرة يلفف فيها شعور والده. «أشعر أنني وحدي»، ولكن بدلاً من أن يقول جين-مان هذا، أفرغ كأس السوجو ذات النكهة القوية. كانت أسئلة المحقق تدور برأسه. وبخاصة أنه شعر بأن المحقق يشك في حجة غياب سو-إين. فقد لمعت عيناه عندما قال له إن سو-إين ذهب إلى المجرى المائي وقد عبر التل في تلك الليلة بحثًا عن جي-سو. تلك العينان الباردتان اعتلاهما اليأس بحثًا عن أي خيط أو دليل يلصق به التهمة على ابنه.

لم يستطع تحمل رعب تلك اللحظة وقد عمل جاهدًا طوال ذلك الوقت وهو يعتني بأسرته ويسعى لاكتساب ثقة جيرانه. هلع من أن شيئًا ما يندفع بسرعة جنونية نحو هذا المنزل ليحطم كل ما هو عزيز لديه.

- لقد جاء المحقق في وقت سابق. وسأل أين كان هان-جو في تلك الليلة.

- وبم أجبته؟

- بالطبع قلت إنه كان معك.

تطلع جين-مان إلى وجه ابنه وكأنه يسأله إذا ما أحسن صنفاً. شعر سو-إين بالضجر من اضطراب والده وهو يستشعر رد فعله. لم يكن والده بالشخص العالم أو الحكيم، كان فقط شخصًا تمكن من شق طريقه بالحياة بفضل مهاراته اليدوية التعسة.

عامل بدني يخلد للنوم ويتعالى شخيرته ما إن يضع
ملعقته على طاولة العشاء وقبل الساعة التاسعة،
حتى في الأيام التي يشتد بها العمل. أب حنون
بإفراط لم يتوقع أن يكون له كرامة أو بصيرة، ولم
يكن بالأب الذي قد يعتمد عليه. كانت تلك الحقيقة
تؤلم سو-إين وليس باستطاعته التذمر منها.

- أحسنت الصنع يا والدي. هذه هي الحقيقة. لا
تقلق كثيرًا.

لم يعرف بالضبط ما الذي لا يجدر أن يقلق منه
ولكنه اطمأن لسماع كلمات ابنه. ربما بسبب جبينه
المرتفع، بدا له سو-إين رزينًا وحكيًا.

- لقد سألت عنك أيضًا، وقال إن هناك شخصًا رآك
تتنزه بالقرب من السد...

اشتدت حمرة وجه جين-مان من تأثير الخمر.

- هل ذهبت إلى هناك ذلك اليوم؟ أعني جهة السد.

- قلت لك. كنت في ذلك اليوم مع هان-جو.

لمع وجه ابنه الصافي بالحمرة كالجوهرة وقد
اختلط به ضوء المساء. خطر بباله أن ابنه ناضج
عنه.

- حسنًا. ما دمت متأكدًا فلا شك.

وصل إلى مسامعها صوت عزف بيانو غير ماهر
متصاعد من غرفة الموسيقى بالمدرسة أسفل التل.
وفجأة، لم يتمكن جين-مان من ألا يفكر في أن هذا
المنزل صغير جدًا على ابنه. لقد كان يعرف جيدًا.
فعلى الرغم من أنه لم يتحدث في الأمر مطلقًا، لم

تتوقف رغبة ابنه ولو لحظة واحدة عن التملص من هذا المنزل البالي. لطالما أكن في صدره الرغبة في الهروب من ذلك الواجس الملح بأنه لن يتمكن من التخلص من الفقر والمستقبل المظلم ووالديه غير الفخور بهما ومن هويته كابن عامل يدوي مدى الحياة.

سيذهب ابنه إلى سيول بعد فصل دراسي واحد. سيذهب إلى الجامعة ويجتاز امتحان المهن القضائية ويصبح قاضيًا. لهذا الولد الحق الكامل في أن يحقق ويحصل على ما يريده ويتمتع به. لن يتمكن منه الحظ التعس مهما حدث. قال سو-إين:

- أعرف فيم تفكر يا والدي، ولكن هذه ليست الحقيقة.

جلبت شمس الغروب من ناحية الجهة الغربية من المدينة سحابة من الغبار الشبيه بحزام أحمر داكن، فتلون برج الجرس المدبب الخاص بالكنيسة وقوس ساحة المدرسة المستدير بلون ذهبي. تحرك فتى وهو يهز رجليه الطويلتين اللتين يعرف متى كبرتًا هكذا. نهض فجأة ونادى على ابنه.

- هان-جو! يا هان-جو!

أدار الولد ظهره للشمس الغاربة ووقف ينظر له وهو يضحك. حشر حقيبته بين ذراعه ووسطه وأخذ يركض باتجاهه.

تمكن فريق التحقيق من جمع صور وأفلام ورسومات وقصاصات الجرائد التي كانت بغرفة عمل جين-مان في صندوقين بعد أن حصلوا

على مذكرة تفتيش. كانت أغلب الصور للمناظر الطبيعية من محيط منزل هاورد ومناطق مختلفة من وسط المدينة. رسومات لفاعليات بالمدرسة، وصور تذكارية مختلفة لعائلة منزل هاورد في أثناء فاعليات كالاحتفال بعيد الفصح وعيد الميلاد بالكنيسة وغيرها. وبدت الصورة التي يظهر فيها هي-جيه مبتسما وشعره ممشطا بعناية قد التقطت كملصق للانتخابات.

ظهرت بعض الصور ذات الأهمية من الكومة التالية من الصور. صورة جي-سو وهي متكئة على سور جسر سومون، ظهرت المياه اللامعة الهادئة من خلف كتفها وقد أسندت خصرها على الأعمدة الحديدية المصفوفة بالعرض على طول الجسر.

صرخ تشوي تيه-غون وهو يسحب الصورة من وسط الكومة أمامه ويرفعها ويهزها أمام الجميع:

- ها هي! لقد ذهب جين-مان مع جانغ جي-سو إلى السد لالتقاط الصور.

قال كيم إين-شيك وهو يشير إلى الصور المطبوعة واحدة تلو الأخرى:

- لا بد إذن أنه ذهب أكثر من مرة أو مرتين. بالتأكيد ترون الملابس المختلفة التي ترتديها في كل صورة؟

فستان منقط، بنطلون جينز وقميص قطني، قميص لبني وتنورة مخططة... أما الأحذية فكان هناك حذاء أبيض مخصص لرياضة التنس وحذاء أسود، وآخر «كونفيرس» زهري. كما كانت قصات

شعرها وأطواله مختلفة، فلا مجال للظن إذا بأنه قد غيرت ثيابها في اليوم نفسه. فضلًا عن المناظر الطبيعية المحيطة بالسد من باقي الثلج على الحافة التي غطاها الظل والخضرة المنتشرة حوله، كانت هناك تغير واضح في الفصول يظهر في الصور.

- لقد استدرج ذلك الوغد الضحية إلى موقع الحادث بحجة التقاط الصور. ولأنها سبق وذهبت إلى هناك عدة مرات فبالتأكيد تبعته دون أي شك.

حك تشوي تيه-غون أصابعه ببعضها مصدرًا صوتًا عاليًا فتدخلت نام بو-را وقالت:

- أليس من الغريب التقاط الصور بالليل؟ وليس هناك شاهد...

- عندما ذهبت الفتاة إلى الموقع لم تكن الشمس قد غربت بعد. ففي الصيف تظل السماء مضاءة لقراءة الساعة الثامنة مساءً. وعدم وجود شاهد بالتأكيد لأن ذلك الجزء من ممشى التنزه المتصل بالسد لا يتردد عليه الكثير من الناس.

هز يون سان رأسه بعد أن استمع إلى ما قاله تشوي تيه-غون. فعلى الرغم من أن تشوي تيه-غون لم يستطع أن يشرح كل شيء كما يجب، كان بإمكانه أن يرتب الأحداث بشكل واضح. ولكنه لم يتمكن من أن يزيل من رأسه ذلك الإحساس بأن شيئًا في مكانه غير الصحيح.

أبدى لي جين-مان عدم اهتمام تجاه الواقع المخادع وكانت تصرفاته أقرب للتأملية تجاهه. بدا

أنه غارق في مكان بعيد عن هذا الوضع المؤلم ولم يتمكن من أن يدرك جدية الحادث. أهذا نوع من السذاجة الطائشة؟ أو يمكن القول إنه حمق غير مدرك زائد عن الحد؟

قال يون سان:

- مهما فكرت في الأمر ليس لديه أي دافع لارتكاب الجريمة.

فأجابه تشوي تيه-غون وهو يمسح على التجعدات أعلى أنفه وقد أخذ طرفيه يرتعشان:

- الدافع سيظهر ما إن نقبض عليه وننكل به. ما دامت الصور موجودة فأمر ذلك الوغد منته.

فكريون سان في أنه سيكون من الصعب على لي جين-مان الإفلات من هذا الأمر.

تم القبض على لي جين-مان في اليوم التالي في الساعة الحادية عشرة قبل منتصف اليوم. كان هان-جولا يزال في الحصة الثانية عندما ولجت سيارتا شرطة إلى المدرسة من الباب الرئيسي. كان يستمع وقتها، وقد جلس بالصف الموازي للنافذة، إلى شرح معلم اللغة الإنجليزية عن تاريخ التطهير بالولايات المتحدة. لم يكن من النوع الذي يسجل ما يقال، فقد كان بإمكانه أن يفهم كل شيء فقط بالسماع لشرح المعلم.

لم تقم أي من سيارتي الشرطة بإشعال أنوار السيارة أو إطلاق صفارات الإنذار. نزل من السيارتين ثلاثة رجال شرطة وشرطية واخترقوا

ملعب المدرسة الهادئ. لم يتمكن هان-جو من التركيز على ما يقوله المعلم. كما لم يرغب في معرفة لماذا جاءت الشرطة إلى المدرسة. كان يود فقط معرفة ما إذا كان والده مدرّكاً لهذه الحقيقة.

وما إن انطلق جرس الحصة الثالثة، صعد هان-جو الدرج المؤدي إلى السطح بدلاً من الذهاب إلى فصله. وجلس إلى حافة الخزان أعلى السطح حيث تمكن من رؤية الملعب بشكل واضح من أعلى. توجه المحققون مباشرة إلى موقع تغيير الأنايب الصرف. وكان جين-مان هناك منشغلاً في قياس الموقع المضبوط لتكوين الأنايب.

اقترب كيم إين-شيك من جين-مان وضحكاً مغاً وكأنهما على وشك تبادل النكات. بدا وجه جين-مان عابثاً على الرغم من أنه يضحك ربما بسبب لحينه التي لم يحلقها لعدة أيام. لم يضحك أي من يون سان أو نام بو-را اللذين وقفاً بعيداً. وقد حلت غرابة ما على تصرفاتهم جميعاً وكأنهم ممثلون يؤدون على خشبة المسرح.

حرك تشوي تيه-غون طرف السترة إلى الخلف مظهرًا لمعان الأصفاد الحديدية الحاد. وقف جين-مان هناك في خنوع تام، كرجال كاليه قديماً، ونزع عنه قفازات العمل السمكية. بدا جسده صغيلاً جداً وهو يقطب حاجبيه محاولاً التفكير فيما يجدر القيام به. ضغط كيم إين-شيك على كتفيه بقوة ومن ثم وضع الأصفاد الحديدية في يديه. لم يقم بأي حركة للمقاومة وإن كان جسده قد تمايل للحظة

وقد بدا ذلك من تأثير الألم الذي شعر به.

أمسك محققان بذراعي جين-مان وابتعدا شيئًا فشيئًا تجاه الجزء الآخر من الملعب. كانت خطواتهما ثقيلة وكأنهما يجدفان بهمة في بحر من أشعة الشمس. شعر هان-جو بأن بقاءه ساكنًا في مكانه في تلك اللحظة أمر سيندم عليه لبقية حياته. فنهض وأسرع ينزل السلالم درجتين في كل خطوة. ظهر له بوضوح الخط الأزرق الداكن لسيارتي الشرطة بالجانب الآخر من الملعب.

- يا والدي. إلى أين تذهب؟

توقفت خطوات المحققين إثر نداء هان-جو الصاخب. فقال جين-مان صارخًا على ابنه المسرع الذي قد يتدحرج أمامه على الأرض.

- ماذا تفعل هنا؟ ألن تعود لسماع الدرس؟

توقف هان-جو بصعوبة وقد كان على وشك أن يصطدم بسيارة الشرطة. تقطعت أنفاسه وسيطر القلق عليه.

- أه... أخبرني إلى أين تذهب. إن لم تقل لي... ستغضب أمي.

لم يجبه جين-مان. ولم يتمكن هان-جو من أن يعرف ما إذا كان هذا لأن والده يعتقد أنه يعرف دون أن يخبره أم أنه يعتقد أنه لا يجدر به أن يعرف. أمسك يون سان بكتف هان-جو بقوة لدرجة أنه شعر بالألم الشديد.

- سنتحدث مع والدك لبعض الوقت. إذا لم يكن

هناك ما يثبت عليه سيعود إلى البيت، لا تقلق.

كانت نبرة يون سان هادئة ولكنها بدت وكأنها حكم صارم.

- ولكن لماذا تضعون الأصفاد في يديه وتبالغون هكذا؟

- أنت أيها الوغد. ما أخلاقك الدميمة هذه؟

أمسك تشوي تيه-غون بياقة قميص هان-جو بيده كالخطاف. فذهب اللون عن وجه جين-مان. وعلا وجهه تعابير مصطنعة وكأنه ممثل صاعد يحاول أن يظهر الكبرياء. فصرخت نام بو-را:

- توقف عن هذا. إنه لا يزال طفلاً.

ترك تشوي تيه-غون هان-جو وركب كرسي السائق. هذأت نام بو-را من روع هان-جو وهي تحاول أن تحادثه بنبرة الطف قدر الإمكان:

- لا تقلق. لن يحدث شيء لوالدك.

كان هان-جو يرغب في أن يصدق كلامها. يأمل في أن تعود الحياة لما كانت عليه حتى وإن لم تكن كاملة وكان أمراً لم يكن. سُمرت أكمام سترة جين-مان من قوة قبضة المحققين المحكمة. ضغط كيم إين-شيك على رأس جين-مان براحة يده ودفعه إلى داخل السيارة. وقال جين-مان مخاطباً هان-جو من نافذة السيارة المفتوحة:

- هان-جو. انقل كلامي لأخيك. لن يحدث شيء فلا داعي للقلق.

لم يفهم هان-جو ما إذا كان كلام والده أمراً يوصيه

به أم توبيخًا له. تصاعد صوت ناقل السرعة ومن ثم تحركت السيارة مطلقة وراءها كومة من الطين. بدت له هيئة والده ضبابية من الزجاج الخلفي للسيارة. وبدا له شعره أشعث وقد تطاير إلى أعلى. هل يرتعد أبوه خوفًا؟ أم أنه غارق في أفكاره؟
- لا لن أفعل. عد إلى المنزل في المساء وقل له بنفسك.

هكذا صرخ هان-جو قائلاً في اتجاه السيارة الأخذة في الابتعاد. تصاعدت رائحة قوية لعصارة شجرة الزلكوفا وحلقت في السماء المصبوغة باللون الأبيض طيور لا يعرفها، ومن ثم سمع صوت جرس المدرسة. لقد انتهت الحصة الثالثة.

كان هان-جو على وشك أن يفقد وعيه قرب وصوله إلى المنزل. شعر بغثيان شديد ولكن لم تكن لديه القوة ليتقيأ حتى. بدا له المنزل الذي ولد وشب به غريبًا عنه وكأنه يراه للمرة الأولى. صورتهم العائلية التي التقطها والده، شهادات التقدير المعلقة على الحائط، ملابس عمل والده البالية، التليفزيون القديم والخزانة الخشبية التي فقدت بريقها...

ذهب إلى غرفته وألقى بجسده على السرير. أطلقت مفاصل السرير البالية صريرًا عاليًا كالصرخات. طارده وحوش في أحلامه لم يعرف ما إذا كانت كلابًا أم ضباغًا. حاوطته واقتربت منه كاشفة عن أنيابها، وأخذت تنفث الهواء الساخن من أنفها وسال لعابها اللزج على وجهه. ومن ثم تحول وجه الوحش الطويل إلى وجه المحقق ذي اللحية

فتح هان-جو عينيه فجأة. كان الظلام قد حل بالخارج وقد غطت رأسه غشاوة كالضباب. نزل إلى الطابق السفلي حيث وجد الضوء يتسلل من فتحة صغيرة لباب المطبخ. رأى ظهر والدته وقد انحنت على الطاولة. شعرها فاقد لأي بريق، وذراعاها خائرتان كطائر كسرت أجنحته. رأى أعلى الطاولة زجاجة سوجو فارغة لنصفها تقريبا. التفتت والدته وقد سمعت صوت اقترابه من المطبخ.

- أهذا أنت يا هان-جو؟ لا بد وأنت ترغب في تناول طعام العشاء. لا يزال هناك أرز من الصباح في وعاء الأرز، اغرف منه وكل.

ثقل لسانه وبدا صوتها مكتوما يصعب سماعه. تدفقت الدماء إلى عينيها وبدا وجهها بعينيها الحمرابين غريبا وكأنه منعكس على مرآة بيضاء.

- أو لا. انتظر قليلا. ساعد العشاء لك.

حاولت والدته إفراغ كأس الخمر داخل فمها وهي تتوجه إلى طاولة الطبخ. بسبب ذلك، انقلبت الكأس وانسكب ما تبقى من خمر على الأرض. مال جسد والدته وسقطت على الأرض وقد أطلقت صرخة حادة وقصيرة. ومن وسط شعرها المتشابك انتشرت آثار الدماء. بدا وأن مؤخرة رأسها قد ارتطمت برأس المسمار المثبت بخشب أرضية المطبخ. فقدت أمه وعيها للحظة قصيرة وما لبثت أن فتحت عينيها وابتسمت له قائلة:

- هان-جوا لا بد وأنت جائع، أليس كذلك؟ يجب أن

أحضر لك الطعام...

رفع هان-جو والدته على ظهره وأخذها إلى غرفة النوم. كان جسدها الضعيف خفيفاً كدمية ورقية. جعلها تستلقي على السرير ومسح شعرها المبلل والدماء ووضع عليه الشاش وضغط برفق ليوقف النزيف. فكر أنه عليه أن يأخذها إلى المستشفى ولكنه لم يفعل، فقد خلدت والدته إلى النوم بعد فترة نهضت فيها تارة تخبره بأنها عليها أن تعد له الطعام، وتارة أخرى قالت له فيها إنهم سيأكلون مغا ما إن يعود والده، ومرة ثانية طلبت منه فيها أن يخرج ليرى ما إذا عاد أخوه، وفي مرة سألته أي يوم من الأسبوع هو اليوم.

كانت الغرفة باردة وهادئة. وفي وسط الظلام، أخذ صدر والدته في الصعود والهبوط بانتظام. وقد صدر عن فمها المفتوح نصفه أنين مع كل نفس تأخذه. ربما كانت تحلم بحلم تعيس وقد جعدت وجهها وتمتمت بكلام غير مفهوم. لحظتها فقط، أدرك كم أن والدته كائن ضعيف بحاجة إلى الرعاية والحماية.

رغب في أن يوقظ والدته. فما إن تستيقظ سيختفي ذلك الحلم التعيس. ستستمر الحياة وسيصدقان أن هذا المنزل الرث لا يزال أماناً، ولكنه لم يفعل. ومضت عقارب ساعة المكتب الخضراء. إنها الثامنة والنصف وخمس دقائق. في مثل هذا الوقت كانوا لا بد وأن يكونوا مجتمعين حول الطاولة لتناول طعام العشاء فقط إذا لم يلق القبض

على والده.

خرج من الغرفة وتوجه إلى المطبخ ونظر خلسة إلى بقايا آثار الدماء التي أوشكت أن تجف. في تلك اللحظة، عاد سو-إين من المدرسة وخلع عنه زيه المدرسي بالكامل وألقى به على ظهر الكرسي.

- يا أخي! لقد قاموا بإلقاء القبض على أبي. جاءت سيارتا شرطة، وكان هناك أربعة محققين.

نبش سو-إين بحقيبته وأخرج منها سجائر وأخذ يدخن. ملأ الفضول هان-جو ليعرف منذ متى بدأ أخوه في التدخين ولكنه لم يسأله. فيما بعد، وعندما تنتهي كل هذه البلبلة وتعود الأمور إلى طبيعتها، سيسأله حينها.

خرجت الكلمات مختلطة بدخان السجائر من شفتي سو-إين:

- أولئك الأوغاد لا يستطيعون فعل أي شيء. يريدون إلصاق التهمة لأبينا ولكن سيكشف عن كل شيء في المحكمة.

بدت ابتسامته الملتوية ونظراته الحادة خبيثة. كان لكلام أخيه قوة غريبة تجعله يصدق حتى وإن لم يكن هان-جو واثقًا تمامًا مما إذا كان ما يقوله للتهدة من روعه أم أنه الحقيقة بالفعل. بدا أن أخاه سيتمكن من تخطي هذه البلبلة بصرامة وبرود.

- لم يحرك أبونا ساكنًا عندما وضع أولئك الأوغاد الأصفاد في يديه. إذا لم يكن قد ارتكب جريمة ليس عليه أن يثور ولكنه ظل صامتًا.

- إذا لم يقل أبونا شيئًا فيجدر بنا نحن أيضًا أن نظل صامتين.

كان كلام سو-إين بمثابة فرمان لا يمكن عصيانه بأنه لا يجب أن يعرف شيئًا عن جريمة والده حتى وإن رغب في ذلك. شعر هان-جو بوضوح في تلك اللحظة فقط، بأن الحياة السابقة التي عاشها حتى الآن قد توقفت وأن العالم حوله سيتغير تمامًا، وأنه سيكون عالمًا مختلفًا عن ذلك الذي كان لطيفًا ودافئًا معه حتى الآن.

تمنى هان-جو أن يكون هناك شخص بجانبه يمسك بكتفه ويقول له إن كل الأمور ستكون على ما يرام. ولكن والده في السجن ووالدته ثملة وفاقدة للوعي ولم يكن لأخيه ذلك النوع من العاطفة. أدرك في تلك اللحظة أن الشخص الوحيد الذي يمكن أن يواسيه هو نفسه فقط. أغلق عينيه بقوة وحضن نفسه وأطلق العنان لدموعه.

أغلقت قضية مقتل الطالبة بمدينة إيسان. لم يتمكن هان-جو من تذكر أحداث تلك الفترة وحتى وإن كان هناك ما يتذكره فكانت جميعها مختلطة ومشوشة. فقد حدث الكثير في وقت قصير جدًا.

اعترف والده بارتكابه الجريمة خلال التحقيقات. وكان محتوى اعترافه بأنه استدرج جي-سو إلى السد بحجة التقاط الصور لها وحاول الاعتداء عليها وما إن قاومت حتى ألقى بها في مياه الخزان مما أدى إلى مقتلها غرقًا. وأقر والده أيضًا بأنه لم يكن هناك أي نوع من الضغط والتعذيب الجسدي خلال

استمرت المعاناة مع استمرار المحاكمة. ركز المحامي في دفاعه على حقيقة أن والده لم يذهب إلى الخزان في يوم الحادث. وقدم تقريرًا كتبه والده عن محتوى أحد البرامج التليفزيونية والذي عرض ليل الحادث وتمكن من تأمين شهادة أحد تجار مواد البناء كان قد اتصل بوالده بالمنزل في قرابة الساعة التاسعة مساءً وتحدث معه ليلتها. وبدا أن القضية تسير في مصلحة والده.

ولكن في الجلسة الثالثة من المحاكمة، أدلى شاهد من جانب النائب العام بشهادة حاسمة، بأنه رأى والده يحوم حول ممشى التنزه بالقرب من ضفة النهر في حوالي الساعة الثامنة من مساء يوم الحادث. لم ينكر والده. في حين رفض تاجر مواد البناء، الشاهد من جانب والده والذي كان يتوقع أن يشهد لصالحه، الحضور للمحكمة وقد بدا أنه يشعر بثقل حجم الرأي العام. لم يكن باستطاعة المحامي سوى أن يغير مرافعته من غير مذنب إلى طلب العفو.

طلب المدعي العام أن يتم الحكم بالإعدام على والده. وحكمت المحكمة عليه بالسجن مدى الحياة وقد اعتبرت أنها جريمة عاتية لو حش بوجه رجل خطط لاستدراج فتاة لا تزال في حاجة للحماية ولم تبلغ السن القانونية بعد وقتلها. وقد كان حكمًا لا يمكن تفاديه، فوالده كان مجرمًا مدانًا مسبقًا، فضلًا عن أن الحادث قد استقطب اهتمام الجميع. أما

والده فقد رفض نصيحة المحامي بطلب الاستئناف.
لم تذهب والدته لتري والده حتى بعد صدور
الحكم. فقد كانت ثملة في اليوم الذي وصل فيه
خطاب فصله من العمل في المدرسة، وفي أول أيام
محاكمته أيضًا. وكان كل ما يراه منها في تلك الأيام
إما وهي تصب الخمر أو تتجرعه أو وهي منحنية
على الطاولة نائمة. على تلك الطاولة التي في وقت
من الأوقات اعتادوا أن يلتفوا حولها وفي وسطها
طبق من الدجاج ويتسامرون ويضحكون في
صخب.

ألقي هان-جو بجسده على السرير وتأمل الظلمة
اللامعة من خلف زجاج النافذة. تحركت أوراق شجر
الخريف مع الرياح واحتكت بالنافذة الزجاجية
وتصاعد صوت خبطات صادر عن أنابيب تصريف
المياه المثبتة بداخل الحائط. هل قتل أبوه بالفعل
شخصًا؟ وإذا كانت هذه هي الحقيقة فلماذا جي-سو
دونًا عن الآخرين؟ لماذا قتلها؟ وإذا لم تكن الحقيقة،
لماذا لا يحتج؟

أخفى القمر الذي تأكل نصفه ظله الفضي خلف
السحب. بدا له أن كل ما يحبه قد اختفى ولكنه لا
يزال هناك مختبئًا في الظلمة، كأشعة شمس يوم
ربيعي، وفراشة بيضاء صغيرة، ومطر الصيف،
ولوحة «الكانفس» البيضاء اللامعة، وأنابيب طلاء
الأكريليك التي لم تستخدم بعد، واللوحات المعلقة
على حوائط بيضاء...

ذُعر وتحمس في الوقت نفسه من حقيقة أنه

لا يزال لديه القدرة على اكتشاف الجمال بداخله
والرغبة في خلقه حتى بعد أن تكسرت كل الأشياء
التي جعلته قادرًا على تحمل الحياة إلى شظايا،
ولكنه تحمس لذلك.

الفصل الثاني

رسمت أشعة الشمس ظلًا ملتويًا على بقع الألوان بأرضية المرسم. بدا أنه استغرق في النوم أكثر من العادة. في حين أطلق روسكو أنينًا متواصلًا وقد صارت عيناه فارغتين وبدا عليه الجوع. عبث هان-جو بشعره الأشعث وملا طبق روسكو بالطعام. أسرع روسكو إلى طبقه وأخذ يلتهم الطعام في نهم. تلبد شعر الكلب الذي فقد الشخص الذي يعتني به وفاحت رائحته. تأمل روسكو صاحبه بعينين مرهفتين والذي ربت على ظهره المتصلب وقد احمر بياض عينيه وازداد سواد الهالات حولهما وجفت شفثاه وصار شعره أشعث.

مر يومان منذ أن اختفت زوجته. حياته من دونها اهتزت وأصبحت فارغة كالفضاء. شعر بأنه أصبح أورفيوس وهو ينزل الدرج الحجري المؤدي إلى المرسم. على الرغم من بقائه طوال اليوم بالمرسم، لم يتمكن من رسم أي شيء أو حتى النظر إلى لوحة «الكانفس» الفارغة. كان العالم بالخارج كميّاه حمام السباحة، خاويًا وباردًا. تصاعدت بداخله مشاعر الوحدة والعجز والغضب والفراغ من دون إنذار. وظهرت عليه أعراض التأتأة في الكلام مجددًا بعد أن كانت قد اختفت منذ فترة طويلة.

لم يبلغ الشرطة، فزوجته ليست مفقودة بل إنها رحلت عنه فقط. ومن كان عليه أن يحل الأمر هو نفسه وليست الشرطة. كان عليه أن يعثر عليها ويقابلها ويطلب عفوها.

كان الحب والشفقة ممزوجين بالعداوة التي تكنها له زوجته بداخل روايتها. ربما أعطته هذا الوقت كفرصة له ليقراً بتمهل ويفكر بعمق، فرصة ليرتب الأمور وينظر فيما فعل، فرصة ليفكر فيما يعني له وجودها ويدرك خطاه ويتراجع عنه.

كتب هان-جو بأصابع ضعيفة نص رسالة على هاتفه المحمول. كل ما كتبه هو «أرغب في أن نلتقي ونحدث معاً». فالكراهية المثيرة للشفقة والتوسل لطلب العفو لن يجديا نفعاً. كان بإمكانه أن يحاول الاتصال ولكنها لن ترد. وحتى إذا ما أجابت على اتصاله، ليس هناك ما يمكن قوله.

جلس بعد الظهر على الكرسي المخصص لاثنين بأطراف الحديقة. مر الوقت على هذا التل المنقطع عن العالم ببطء شديد. تذكر الأشياء البسيطة التي فعلتها له والأشياء التي قدمها لها، كل ما كرساه لبعضهما من قرابين وقد عبدا بعضهما، تلك الأشياء النابعة عن التفاني والمحبة.

لم يشك ولو مرة واحدة في حب زوجته. لم يكن بحاجة لذلك، كما لم يكن هناك مجال له. فلطالما كانت بجانبه متى احتاجها، وقبل حتى أن يفكر فقط في أنه يرغب بأن يكون وحده، كانت تفسح له المكان. لم تعارض رأيه مطلقاً ولم تعاتبه قط إذا ما جاء برأي خاطئ. أخذت من الوقت ما يكفي لكي تقنعه وتغير رأيه ليجد طريقة أفضل. تقبلته كما هو وقد جعلت منه إنساناً أفضل، كما لم تشعره بالنقص أو الذنب لهذه الحقيقة. جعلته يشعر بأنه رجل جيد

وأنه زوج مخلص وأنه فنان عبقرى وجعلت منه فناناً يحبه الجميع. كلها أشياء كانت مستحيلة من دون الحب.

ولكن لماذا؟ هكذا رغب هان-جو في أن يسأل زوجته. لماذا رمته في هذا المستنقع بمثل هذه القصة الغريبة؟ لماذا لم تقل له من قبل وتكشف عن كل هذا الغضب والعداوة التي أبرزتهما طوال روايتها؟

ستتحقق زوجته من الرسالة التي كتبها. انتظر ردها كالجندي الذي ينتظر انفجار قنبلة موقوتة. استعجل الأمر كثيرًا ولكنه تذكر حقيقة أنهما يحتاجان للوقت من أجل أن يفهم هذه المشكلة ويعملان على حلها. وفي أثناء انتظاره، حاول بكل ما يملكه من طاقة ألا يفكر بها. خاف أن يكرهها ما إن يتذكرها، خاف أن يغضب منها.

سخت الشمس مفصلات النوافذ ولون ضوءها الغارب جدران المنزل، وما لبث أن أحاطت الظلمة بالعواميد الصلبة ومنحنيات القرميد. إلى أن وصلت رسالة زوجته وقد تخطت الساعة التاسعة ليلاً بقليل.

«ستيل لايف، غداً الساعة الثالثة بعد الظهر».

كانت رسالة جامدة ورسمية وخلت من أي دفء ومشاعر. أصبحت حقيقة أن زوجته رحلت عنه ولم تختف واضحة أكثر. كان بإمكانها ألا ترحل. إذا لم يكن بوسعها أن تحبه، كان بإمكانها أن تظل بجانبه وهي تكرهه وتجعل حياته صعبة. كان بإمكانها أن

يكبرا مغا ويصيبهما المرض ويموتان مغا، فتشكره
يومًا وتفجر به غضبها في أيام أخرى، ولكنها لم
تفعل هذا.

قرر هان-جو ألا ينكر آيا مما ستقوله زوجته.
سيعترف بكل ما ستقوله بلا تردد وسيتوسل إليها.
ولكنه ما لبث أن غرق في خيبة أمل كبيرة ما إن
تذكر رد فعل زوجته ليدرك كم هو متفائل لدرجة
البلاهة.

لن تقوم زوجته بدفعه أو القسوة عليه. ستجعله
يظهر ما كان يخجل من كشفه وستجعله يتحمل
عذابه بنفسه. لن يتمكن من معارضتها أو التبرير
لها. لن يتمكن أن يجعل الأمر يمر مراوغًا بأنه كان
هفوة خطأ وأنه أمر قد مضى. سيتعين عليه فقط أن
يشاهد كل ما حوله وهو ينهار.

كان «ستيل لايف»، المقهى الذي اعتادا أن يكونا
فيه مغا، يقع بمدخل ممشى التنزه على ضفة
النهر. كان مبنى من طابق واحد وقد احتل رقعة
ضيقة ما بين الطريق والنهر فكان يتردد عليه
الأزواج الراغبين في جو هادئ. كان يبيع القهوة
والأطعمة الخفيفة نهارًا وفي الليل يقدم المشروبات
الكحولية.

كان يتردد عليه كثيرًا مع زوجته للاستمتاع بوجبة
إفطار متأخر وشرب القهوة على ممشى التنزه.
وقرب حلول وقت الغروب، تبدأ أضواء المنازل على
الضفة الأخرى في الإنارة واحد تلو الآخر. تحب
زوجته مشاهدة الأضواء البراقة المعكوسة على

سطح الماء.

لم يكن هناك ضيوف كثير على الشرفة المطلة على ضفة النهر في ذلك الوقت المتأخر من النهار، وزوجته تجلس بالجهة المطلة على النهر. كان ذلك المكان نفسه الذي اعتادا الجلوس به عندما يمران من على المقهى في أثناء تنزههما. أشعة شمس تلك الأوقات، والناس من حولهم، وماء النهر، وتلك اللحظة التي ينظران لبعضهما بعضاً فيها، اعتقد أن كل هذا سيدوم.

صارع هان-جو طبعه المتعجل الذي كان يلح عليه بأن يقول أي شيء. لو كان بإمكانه فقط، لاعتترف بخطأه واعتذر لها. ولكنه لم يكن يعرف ما خطأه وما الذي يجب أن يعتذر عليه. ربما أخطأ سهواً ولكن ليس لدرجة أن يتسبب هذا في دمار زواجهما. تردد قليلاً ومن ثم بدأ الحديث.

- مخطوطة الرواية تلك...

كانت زوجته تتأمل الأسقف الحمراء للبيوت بالجهة المقابلة للنهر. تطاير وشاح زوجته المنقوش بالأشكال المختلفة من الأمواج الزرقاء والزبد الأبيض والأصداف. كان قد أهداه لها منذ عامين ولكن لونه صار باهتاً واهترأت أطرافه ربما لكثرة ارتدائها له.

- سأنشر الرواية الشهر المقبل، وعنوانها «أكاذيبك عني».

أزعجه بشدة صوت تقافز كرة سلة على الأرض. كان بعض الطلاب الذين يرتدون سترات خضراء

وصفراء يلعبون كرة السلة بالحديقة المخصصة
للرياضة المطلة على ضفة النهر، أجاها:

- عنوان لائق؛ كل هذا بالنسبة إلي أكاذيب.

- حتى وإن كان العنوان أكاذيب فسوف يسعى
الناس للبحث عن الحقيقة. لن يكون بإمكانك ذلك
ولكن حتى وإن رغبت في مقاضاتي بسبب هذه
الرواية لتشويه سمعتك، لن تفعل. العنوان يقر
بالفعل أن كل هذا أكاذيب.

أهو مخطط منطقي يليق بطريقة تفكيرها؟
أم يمكن القول إنها إستراتيجية ذكية منها؟ إذا
ما اعترف بصحة محتويات الكتاب فذلك يعني
اعترافه بأفعاله المخجلة بنفسه، وإذا ما رفض
صحة ما به فستختفي حجة طلبه بالأنا تنشره. أي
خيار تنتظر منه زوجته أن يختار؟ أيا كان خياره،
فالنتيجة واحدة، وحتى وإن اختلفت النتيجة فذلك
لن يشكل أي فرق.

- أتقولين إنك ستنشرين قصتنا دون أي مشاورة
مسبقة بيننا؟

جاءت نبرة صوته عالية وإن لم يكن لديه الرغبة
مطلقًا في أن يلومها. كان يدرك خطأه ولكنه لم
يتمكن من كبح مشاعره. وضع النادل الذي ثبت
شعره بالكثير من الزيت فنجانيين من القهوة الباردة
على الطاولة أمامهما. فأجابته وهي تنظر إلى
الفنجان الذي كان عليه قطرات من المياه:

- قصتنا؟ مستحيل. إنها قصتي. قصة عن رجلي
وعن حبي. من هذه النقطة بالتحديد قصتي صادقة،

وَأنت مهمش بالصورة.

فكر هان-جو بتمعن فيما إذا كانت هذه المرأة أمامه هي نفسها زوجته التي عرفها، أو اعتقد أنه يعرفها. في وقت ما، كانا محورا حياة بعضهما وقوة الجذب والطرْد لبعضهما والأعمدة التي يرتكزان فيها على بعضهما بعضًا. ولكن الآن كان بالنسبة إليها غريبًا، لا يهمها من يكون، ليس أكثر من خلفية مهمشة لصورتها.

- قبل أن تكون قصتك فهي قصتي. الرجل الذي أحببته هو أنا، وحبك يتضمن قصصًا عن حياتي وخصوصياتي.

شعر هان-جو بالمرارة لحقيقة اضطراره لاستخدام الفعل الماضي عندما أشار لحب زوجته. بدلًا من أن تجيبه، اكتفت بهز كتفها. بدت له حركتها هذه بأنها لم تدرك ما يتحدث عنه، أو قد تعني بأنها لا تعبأ بما يقول. شعر بخطر خفي أمام صمت زوجته المرتاح، أو بالأصح خطر نابع مما يحتويه كتاب زوجته. قالت له بعد أن خلعت نظارة الشمس التي كانت ترتديها ووضعتها على الطاولة ومالت إلى الأمام:

- لا تقلق. إنها مجرد رواية. قد تتناول قصتنا ولكن جميع الشخصيات بالرواية من وحي الخيال. لن يعرف أحد، فليس هناك ولو سطر واحد عنك.

اعتقد أنها تعمدت ذلك لتجعله يرى عينيها بوضوح. فالشخص الذي رغبت أن توجه له هذا الكتاب ليس قراء كثيرًا معينين بل شخص واحد فقط، هو نفسه. قال لها:

- قد يكون هناك سر كامل ولكن ليس هناك سر شبه كامل. إذا عرف شخص واحد فسيعرف الجميع. لم تقولي أي شيء طوال كل تلك الأعوام والآن ترمين بقنبلة على حياتي؟

كما اعتادت أن تفعل دائمًا، أخرجت من حقيبتها بعض البسكويت وألقت بفتاته بماء النهر. تجمعت أسفل الظل تحت الجسر بطة مع أولادها، قالت:

- حياتك؟ مستحيل! إنها حياتي. لقد كنت عبدة لك، وحببية وحاضنة، بل وكنت نفسك أنت. لذلك فأنت لا شيء من دوني. إنه ليس إلا وهم أن تؤمن بأنها حياتك. ألا تدرك هذا بعد؟

لم يكن بوسع هان-جو أن ينكر هذا. فالحقيقة هي أن زوجته ضحت بلا كلل من أجل طموحاته الفنية وأطماعه الجسدية حتى وإن لم يكن يسعى لهما بجد. كانت مساعده المخلص وراعيته ومرشدته وولية أمره. والدليل على ذلك أنه الآن قلق على نفسه من دونها بدلاً من أن يقلق عليها وقد رحلت عنه. ولكن كل هذا كان حديثًا سرّيًا بينهما فقط.

من الناحية الرسمية، لم يكن لزوجته أي وجود. حتى وإن حضرت معه في المناسبات الرسمية، كان اسمها ودورها مرتبطين بأنها زوجته فقط. كان ذلك بسبب أنانيته وفي الوقت نفسه بسبب تفانيها.

كان لا بد وأن يقنع زوجته بأي طريقة. إذا كان هناك سوء فهم فلا بد من حله وإن كان قد ارتكب خطأ ما فلا بد أن يتوسل طلبًا لعفوها. ولكنه لم يكن في موقف يسمح له بأن يعرض أي حل منطقي

مقنع. فكان كل ما بوسعه أن يقوله كالعادة كلامًا مترددًا.

- أسف إذا جعلتك تمرين بوقت صعب. لم أكن أعرف أنك تعانين بسببي. لا بد وأنني أخطأت أو ارتكبت خطأ غير مقصود. أعتذر لك بصدق. ولكني فقط... أحبيتك ليس إلا.

مدت زوجته يدها وربتت على وجهه المجعد. شعر وكأن قطعة من الثلج لامست جلده العاري. قالت بصوت منخفض:

- ليس خطأك أنك أحبيتني. فأنا أيضًا أحبيتك.

- بالفعل، لسنا بأعداء، أنا الرجل الذي أحببته.

توقع هان-جو شيئًا من الرأفة وهو يحتضن يديها بين يديه. ولكن زوجته أبعدت يديها بلا مبالاة.

- لنجعل الأمور واضحة. أنت المذنب هنا، وأنا الشخص الذي لا بد وأن يتلقى المواساة وأنا أيضًا الشخص الذي سينزل بك العقاب.

صدر صوت تناثر الماء، ربما تسبب به ضفدع ما أو طير صغير لدى حافة النهر. في حين حلقت الطيور المائية وهي تلاحق الحشرات المجنحة بالقرب من سطح الماء. وترنح ظل طائر فرد جناحيه على ماء النهر. كانت مياه النهر موحلة، وتصاعدت منها رائحة كريهة. قال هان-جو:

- لم أرتكب بحقك تصرفًا عدائيًا لا من ناحية المشاعر ولا من الناحية الأخلاقية. لم أنظر لأي سيدة أخرى ولم أخدعك. احترمت نصيحتك حول

أعمالي دائماً. وعلى الرغم من ذلك، كتبت رواية ربما تدمرنني. لم هذا العنف القاسي الذي تسلل في حياتنا اليومية الهادئة من دون غضب أو كره واضح؟ هذا لا يليق بك.

لم تجبه زوجته. لم يبذ عليها الغضب، كل ما بدا على وجهها تعابير غير مبالية وكأنها لا تعرفه. هل شعرت فجأة أن تفانيها طوال ذلك الوقت تجاه زوجها كان عبثاً؟ شعر بالذنب فجأة، فقد كان يظن أن حبها أمر محتوم.

أخذ هان-جو حجراً أسفل قدميه ورماه في النهر. سقط الحجر الذي لم يبعد كثيراً مصدرًا صوت ارتطام بالماء. سألتها وهو يأمل ألا تجيبه:

- لا أعرف ما الذي تريدينه. أن أرحل عنك؟ أم أن ترحلي عني؟

ظلت زوجته صامتة. بدا له أن صمتها متعمد حتى لا تقدم له أي معلومات تفيده أو أن تزيل عنه شعوره بالذنب قليلاً. واصل حديثه:

- حسناً. إذا أردت فترة هدنة بيننا، سأجهز أنا حقائبتي، وعودي إلى المنزل.

هزت زوجته رأسها رافضة، لأنها اعتقدت أنه ليس من العدل أن يطرد زوجها من المنزل. كان واضحاً تماماً كيف سيقضي زوجها حياته إذا ما خرج من المنزل وهو لديه اعتداد قوي بالنفس، كما أنه ليس بالشخص الاجتماعي. لا بد وأنه سيغرق في الثمالة في غرفة رثة مليئة بزجاجات السوجو الفارغة وهو ينتحب غارقاً في رثاء نفسه. صرخت وهي تحاول

الدفاع عن نفسها وتبرير موقفها كالخادم الذي طرد من عمله ظلماً:

- لتظل في البيت كما أنت. فأنت الذي أوقعت علي الألم، ومن لا بد أن يكون مثيراً للشفقة هو أنا الضحية.

وجدت زوجته إذاً كلاماً يؤذيه. رغبت في أن تخبره كم هو غير أخلاقي، وكم تكرهه. ولكن كلما كان كلامها مؤثراً، أصبح بمثابة صكوك غفران بالنسبة إليه. لم ترغب في أن تلمح له بأنه نال عقاباً مناسباً لجريمته، سيكون تلميخاً خاطئاً. لذلك قالت:
- أنا أحبك.

ذهل هان-جو بعض الشيء ولكن لم يكن بوسعه أن يتجاهل الحقيقة التي تأكدت له طوال حياته، أنه يحبها رغم كل شيء. لم يكن واثقاً من كل ما يقوله، ولكن هذا الأمر كان واضحاً، كالنظر إلى ما بداخل الماء الشفاف. قال بصوت تخلله سعال جاف:
- أنا أيضاً أحبك.

ارتعشت أشعة الشمس المنعكسة على سطح الماء بألوان مختلفة. وتركت أشجار الصفصاف على الماء بقعاً داكنة. لم تتمكن من كبح ضحكاتهما، فقد بدا لها زوجها أحمر ليس إلا.

كان مكتب سو-إين يقع في الطابق الثاني عشر من مبنى ضخم في القرية القانونية بحي سو-تشو. وما إن فُتح باب المصعد حتى ظهرت أمامه لوحة مكتوب عليها «شركة هواسونغ للمحاماة». أرشد

موظف الاستقبال هان-جو إلى غرفة الاستشارات. كان سو-إين يعمل موظفًا إداريًا في شركة حمامة بها ثلاثة محامين.

لم يتمكن من التركيز في التحضير لامتحان المهن القانونية بسبب ضيق الحال، وفي النهاية لم يتمكن من أن يصبح محاميًا. كان يعمل في الكثير من الأعمال بجانب دراسته بالجامعة، وبعد التخرج، ازداد الوضع سوءًا فاستمر بالتردد على مواقع البناء. تخطى الثلاثين وقد استمر رسوبه ولم يكن بمقدوره أن يفعل شيئًا، فانتهى به الحال إلى العمل في مكتب حمامة صغير، وبعد الانتقال في الوظائف عدة مرات، وصل إلى هذه الشركة.

كان مظهر سو-إين وقد دخل عليه غرفة الاستشارات يضاها مظهر محام رفيع المستوى. ارتدى قميصًا مستويًا بلا أي تجاعيد يعلوه حلة غالية على جسده الذي يحافظ على لياقته. وبفضل اهتمامه ببشرته، لم يكن بها أي بقع أو تجاعيد وقد بدا أصغر من أخيه الأصغر هان-جو بثلاث أو أربع سنوات. كان مظهرًا لم يعهده في السابق من أخيه الذي جلس أمامه قديمًا إلى الطاولة بالمطبخ بمنزل مالكوم المظلم.

تذكر شكل العائلة وقد تجمعت حول طاولة العشاء في اليوم الذي أعلنت فيه نتيجة قبول سو-إين بكلية الحقوق بجامعة سيول. فكر في أن ذلك اليوم لم يكن منذ زمن ولكنه بدا له أن هذا قد مضى عليه.

«هناك ما أود أن أخبركما به».

ترددت والدتهما في الحديث بعد أن بدأته. لم تبعد الخمر عن فمها منذ أن ألقى القبض على والدهما. كان الخمر بالنسبة إليها مسكناً ومنوماً ومكماً غذائياً. وخلال ذلك الوقت، اختفى نصف اللحم والعظم والشعر من جسدها. شعر أنه فقد نصف والدته. حاولت والدته مجدداً وقالت:

«سأذهب إلى جينجو. سأساعد الأم مارثا وأعمل على استعادة صحتي في الوقت نفسه».

كانت والدتهما تنوي العودة إلى «منزل السلوان» الذي ترعرعت به. جاءت الأم مارثا ذات النظارات السمكية إلى كوريا وهي في عمر السابعة والعشرين وأنشأت بها داراً للأيتام وها هي قد أصبحت الآن في السبعين من عمرها. وضعت والدتهما دفتر البنك الذي اهترأت أطرافه ومعه الختم الخشبي على الطاولة. كانت حركاتها حذرة تماماً وكأنها أحد المقاومين في حركة الاستقلال الذي ينقل الأموال المخصصة للكفاح.

«إنها أموال جمعتها مع والدكما شيئاً فشيئاً. ستمكنكما من العيش في سيول خلال الفترة الحالية. والمتبقي من المبلغ قد يساعد في تسديد مصاريف الجامعة الخاصة بسو-إين ولكن ليس بيدي حيلة لتوفير ما ينقص».

لعت والدتهما شفثيها الجافتين بلسانها. ابيض وجهها وظهرت العروق متخللة خديها الغائرين. ولكن في ذلك اليوم بالتحديد، لم يتمكن السكر منها

وكانت نظراتها واضحة.

«لا تقلقي. سنتمكن من العيش جيدًا».

بدا حينها أن كلام سو-إين غرضه طمأنة والدتهما ولكن في الحقيقة هو هجوم عليها. لم يكن من عادة سو-إين إظهار مشاعره ولكن في ذلك اليوم ودوناً عن الجميع، صب على والدتهما كلمات كالأشواك، كلاً ما كان ليقوله لو أن والدتهما ثملة حتى. فكر هان-جو أن سو-إين تعمد إيلام مشاعر والدتهما. أجابت:

«أتمنى ذلك فعلاً، ولكن كيف؟».

أطلق المصباح المعلق في سقف الغرفة أضواء باردة وحزينة. كانت بشرة يد والدتهما التي تجمعت في قبضة محكمة لدرجة الألم رفيعة كالورق وقد امتدت بها العروق الظاهرة. وحتى سترتها التي كانت تلائم جسدها أصبحت ككيس من الخيش يلف جسدها الضعيف.

«لن أسجل في جامعة سيول. ولكن لا تقلقي، لن يدعني الأغنياء في حالي».

هكذا أعلن سو-إين أمامهما. أوحى تعابير وجه والدتهما عن رجائها بأن يتركه الأغنياء لأمره. نظر سو-إين إلى كرسي والده وقد اهترأ مسنديه وقال:

«هؤلاء يعرفون جيدًا ما قد يحدث إذا تركوا الأولاد الفقراء الأذكى. سيجعلونهم تحت أرجلهم قبل أن يصبحوا قواد حركات مضادة أو حركات عمالية أو حتى مجرمين أذكى، تمامًا كالذي يخضع

كلنا شرشاً بإعطائه الطعام. ساكل الطعم الذي يرمي به الأغنياء لي وأتصرف كالأضعين».

رغب هان-جو في أن يسأل متى ستتمكن عائلتهم من العيش مغا مرة أخرى ولكنه أمسك عن السؤال. كان سؤالاً عبثياً، فحتى إذا تمكنوا من العيش مغا مجدداً، لن تكون الحياة كما هي الآن. ارتعشت شفتا والدتهما اللتان التصقتا في صمت ولكنها تمكنت في النهاية من التحدث:

«يمكنكما أن تكرها والدكما، يمكنكما كذلك أن تحقدا علي. ولكن لا تلوما أنفسكما، لا تفعلنا ذلك أبداً. هناك الكثير من البؤساء في هذا العالم وهناك أيضاً أشخاص بالفون حمقى...».

حاولت والدتهما أن تستكمل حديثها ولكن بدا أن صداغا نصفياً قد ألم بها فأخذت تضغط على صدغها بيدها. بدا له أنها تحاول أن تفكر فيما ستقوله أو ربما تكون في انتظار أن يخف الألم. وبدا أنها تستنفد كل ما لديها من قوة لشعورها بضرورة أن تقول شيئاً، كلمة واحدة فقط تقولها لتطمئن الولدين وفي الوقت نفسه لا تكون خاوية أو غير ملائمة. كلمة واحدة لتكون مرشداً وعاوناً لهما في الحياة، وقد تعين عليهما أن يتحملا أعين الآخرين وهما يشقان طريقهما الوعر في العالم.

هل تقول إنها تحبهما؟ تحبهما بصدق، تحبهما كثيراً، تحبهما لدرجة الموت... هذه حقيقة جلية ولكنها غير ملائمة للموقف الحالي. فلو أنها قالتها، لاعتقد الأولاد أن الذعر تمكن منها وأن ليس بإمكانها

تحمل الوضع.

في النهاية كانت تلك الكلمة التي تبحث عنها غير موجودة. وحتى وإن كانت هناك كلمة كافية ومعبرة، فإن قدرات والدتهما لن تسعفا لتجدها.

«راسي يؤلمني لدرجة لا تحتمل. سأذهب إلى غرفتي وأنام. أرغب في أن أحدثكما أكثر بما قد يفيدكما ولكن...».

خطت والدتهما على الأرضية الخشبية التي تحدث صريحا مرتفعا لتعود إلى غرفتها. بدا أن صرير الأرضية يصدر عن جسدها المتعب. لم يحسد هان-جو والدتهما، فهي لم تكن امرأة ضعيفة أو غير مسؤولة فقط، بل كان حملها أثقل عليها من أن تحمله وتحمل معه أحمال ولديها. تمزق قلبه كلما فكر في ضعف والدتهما، فكلما تذكر ضعفها، شعر بالشفقة والرثاء.

كانت نظرة سو-إين عن الأغنياء صحيحة لدرجة تثير الدهشة. فقد تصاعدت الأصوات من هنا وهناك تستنكر الرفض الذي قد يتعرض له ذلك الصبي الذكي ضحية لأفعال والديه الشريرة وغير المسؤولة. وتسارع المعلمون وأولياء الأمور الراغبون في دعم الطالب ذي الموهبة الفذة والواقع في تلك البيئة البائسة. وبدا أن سكان مدينة إيسان جميعهم يعتبرون سو-إين ضحية أخرى للجريمة التي ارتكبها لي جين-مان.

غادر الأخوان منزل مالكوم مع نهاية فصل الشتاء ذلك العام. نظر هان-جو من نافذة الشاحنة التي

حملت متاعهم من المكان الذي كان منزلاً لهم يوماً ما. القرميد الأحمر الذي تحول لونه إلى الرمادي، أنابيب الصرف وقد علاها الصدا الأحمر في كل مكان، مقبض البوابة الرئيسية اللامع وقد اهترأ، البقع الصفراء التي علت البوابة، وغير ذلك... شعر حينها بطعم لاذع في طرف لسانه.

- ماذا هناك؟ هذه زيارة مفاجئة... أضربت أحداً؟ أم أن أحدهم ضربك؟

قالها سو-إين وهو يرفع كم قميصه وينظر إلى ساعته. لم تكن حركة المقصود منها التحقق من الوقت أكثر من كونها حركة يخبره بها أنه مشغول. أخرج هان-جو من حقيبة الظهر التي وضعها إلى جانبه ملف أوراق. حرك سو-إين إصبعيه السبابة والوسطى متعجلاً الحديث. ارتعشت عينا هان-جو ولكن ما لبث أن قال:

- إن... إنها رواية. زو... زوجتي من كتبتها.

ظهرت عليه مجدداً أعراض التهتهة في الكلام، بعد أن اختفت لثلاثين عامًا. ظهرت تهتهة هان-جو وهو في الصف الثاني الابتدائي واستمرت حتى دخوله المدرسة الإعدادية. لم تظهر في أي حديث وأمام الجميع، بل فقط عندما كان يرغب في قول شيء امتنع عنه لفترة طويلة أو عندما يكذب، وازدادت أمام بعض الأشخاص بما فيهم سو-إين.

- هل كتبت زوجتك قصة؟ إنه أمر يستحق الاحتفال. ولكن لماذا ترغب في مقابلي؟ إذا كان لدعوتي إلى الاحتفال ألم يكن بإمكانك أن تخبرني

بالحاتف؟

هذه هان-جو يديه وتلثم وهو يقول:

- لا... لا. الأمر ليس هكذا. لا... لا أريد أن ينشر الكتاب.

أطلق سو-إين صفيًا منخفضًا. فقد اعتاد أن يصفر عندما كان أخوه يتلثم في الكلام وهما صغيران. كطبيب الأسنان الخبير الذي يطلق الصفيير ليهدئ المرضى. ولكن في ذلك الوقت وحاليًا أيضًا لم يكن للصفيير أي تأثير عليه. كل ما في الأمر أن صفيير أخيه أكسبه بعض الوقت ليجد كلمات أخرى بدلًا من التتهتهة. أجاب سو-إين بهدوء:

- ألم تقل إنها قصة؟ لماذا لا تريدها وهي مجرد كلام من وحي الخيال وليست بدعوى قضائية أو مقال واقعي؟

- المشكلة في المحتوى.

- هدى من روعك. لم يحدث أي شيء بعد. وحتى إن حدث فلن يكون بالأمر الجلل.

- البطل أكبر من البطلة بعشرين عامًا.

- من ينتقد الحب بين رجل وامرأة في عصرنا هذا؟

- المشكلة أن البطلة طالبة في الثانوية، والبطل رجل متزوج. الب... البطل هو أنا.

انحنى سو-إين إلى الأمام واقترب منه وقال:

- غير معقول؟

- ل... لا، في القصة. التقيت زوجتي عندما كانت طالبة جامعية. وحتى وإن لم تكن طالبة جامعية وقتها، فهذا ما كنت أعتقد. ول... ولكنها قلبت الأحداث لتجذب انتباه القراء.

أطلق سو-إين مجددًا صفيًا منخفضًا. لم يحب الناس طريقته القاسية في التعامل مع القضايا. يتوقع المحامون أن جميع الأمور ستؤول إلى ما يرام ولكن شخصًا بمنصبه لا بد وأن يضع في الاعتبار أسوأ الأوضاع.

لم تكن هناك بالفعل مشكلة ما دام الأمر كما قال هان-جو بأن زوجته غيرت من الحقائق لتجذب انتباه القراء. ولكن من الناحية القانونية، كانت قضية ربما تثير مزيدًا من النيران من حولها. فإذا كان سن الفتاة أصغر من تسع عشرة سنة، أصبحت جريمة وفقًا لقانون حماية الأطفال والقصر. وعلى حسب الوضع، قد ينطبق عليها أيضًا أن تكون جريمة اغتصاب قاصر. وبناء على ذلك، ربما يصدر حكم بالسجن مع الأشغال الشاقة من 5 أعوام فأكثر أو السجن المؤبد.

لم يقل سو-إين أيًا من هذا. رغب في أن يطمئن أخاه، فأطلق صفيًا منخفضًا مرة أخرى. ولكن هان-جو اشتعل غضبًا فجأة.

- ألا يمكنك التوقف عن هذا الصفيير قليلًا؟ إنه يزعجني.

توقف سو-إين عن الصفيير ونظر إلى جسد أخيه الضخم أمامه. لم يعد بوسعه أن يهدئ أخاه ببعض

من الصغير. قال وهو يحاول أن يتماسك:

- لا داعي للقلق، لن تقوم بمقاضاتك. إذا كانت ترغب في ذلك لما كتبت هذه القصة. كما أن القضية انتهت وسقطت بالتقادم منذ زمن بعيد.

- المشكلة ليست في مقاضاتي، وإنما فيما سيحدث عندما تنشر هذه القصة.

- حسناً، لقد فعلت قبلة موقوتة إذاً ويجب بأي طريقة أن نوقفها. وإن لم يكن ذلك ممكناً فعلينا أن نؤخره قدر الإمكان... في البداية سنحاول أن نكسب بعض الوقت برفع دعوى قضائية لمنع النشر. وخلال ذلك، لنقم باستطلاع ما يحدث مع الطرف الآخر ومن ثم نتوصل إلى اتفاق. وبعدها نحاول إخافتها بدعوى قضائية بمبالغ كبيرة، لنحاول أن نمنع هذا بكل ما في وسعنا.

- و... و... وإذا لم ينفذ كل هذا؟

- سنلجأ للرأي العام. الصحف، والبرامج التلفزيونية، والإنترنت، والشائعات... كل ما يمكن أن نحشده من وسائل إعلامية. وخلال ذلك، يجب أن نتوقع الضرر الذي سيعود علينا أيضاً، ولكن لن يوقع ذلك بنا إصابة مميتة. بدلاً من ذلك، سنقضي تماماً على الطرف الآخر.

لم يرغب هان-جو في القضاء على زوجته. كل ما كان يرغب فيه هو أن يعيش معها. مد سو-إين ذراعيه بطول الطاولة وضغط بيديه على كتفي هان-جو.

- لا تنتهي النزاعات القضائية إذا لم يتم القضاء على أحد الطرفين. إذا قمت بالحفاظ على حياة الطرف الآخر لن تتمكن أنت من الحياة. إذا لم تكن واثقًا في قدرتك على هذا فلا تبدأ.

نهض سو-إن عن كرسيه ووضع يديه بجيب بنطاله وأخذ يصفر بحرية، لكنه ما لبث أن تذكر ما نهره هان-جو عنه فتوقف فجأة وحرك رأسه يمينًا ويسارًا.

- آسف، آسف. ذلك الصغير الملعون صدر دون قصد...

لم يعامل سو-إن أخاه وهما صغيران بجدية، وكذلك بعد أن غادرا مسقط رأسهما. لكنه لم يزعج أو يكره مطلب أخيه الملح وهو في مأزق. كان شخصية باردة ومتعجرفة ولكنه رغب أن يساعد أخاه هذه المرة بالذات. فقال بتعابير موحية بالثقة:

- لا تقلق. لن يحدث لك أي شيء، وأنا أيضًا.

نظر هان-جو إلى الابتسامة المرسومة على وجه أخيه. في لحظة ما، بدا له أن أخاه عاد بالزمن وأصبح شابًا وازداد جمالًا، وعاد للنور الذي اعتاد أن ينير منزلها وهما صغيران، فشعر بالاطمئنان.

هناك شيء في أخيه لم يكن فيه. كان أخوه حساسًا في استشعار الخطر، وإن كان يواجهه بشجاعة. كان مدركًا لحقيقة أن الخطر يتغذى على الخوف، فتعمد ألا يهتز أمام الخوف.

رغب هان-جو في أن يصدق أن أخاه سيتخذ هذا

التصرف في هذا الموقف.

هان-جو

لم يكن من السهل العيش كابن قاتل ولكنه لم يكن بالأمر المستحيل أيضًا. فمع مرور الوقت، اعتاد هان-جو دون أن يعلمه أحد طرق وقواعد الحياة الضرورية للعيش كابن قاتل، إلى أي مدى يمكن أن يطلع من يحبهم على حياته وأي نوع من الأشخاص لا يجدر به أن يحبهم، ما الذي عليه أن يفعله وما الذي لا يجدر به أن يرغب فيه...

كان دائمًا ما يردد هان-جو إذا ما سئل عن طفولته بشيء من الغموض بأنها كانت عادية، وليس بها ما هو مميز. شعر الناس من حوله بأنه يخفي شيئًا، ولكن لم يكن هناك منهم من حاول أن يستفسر أكثر عنه. مع ذلك، لطالما أمسك ماضيه بقدمه ولم يتركها، خاصة في تلك الليالي التي يُسمع فيها صوت عقارب الساعة بشكل أوضح.

كان من استقبال الأخوين عندما تركا مسقط رأسهما وذهبا إلى سيول ليس سوى مشردين بتياب رثة وأعين فارغة، من تبقوا من بعد إزالة الظفر الحاد لأزمة صندوق النقد الدولي. وقد امتلات الأخبار والبرامج التليفزيونية يوميًا بتقارير عن إلقاء القبض على المسؤولين غير الكفوئين ورجال الأعمال الفاسدين أو انتحارهم. فكان الجميع ضحايا ومجرمين في الوقت نفسه، وكذلك كانوا جناة ومجنينًا عليهم.

وبعد قضاء شهر في محل إقامة ضيق للطلبة، تمكنا من الحصول على غرفة صغيرة ما بين

الطابق الأول والعلية غطى حوائطها وسقفها العفن. وعندما يحل الليل، تمددا بالغرفة الباردة المظلمة بأجساد مثنية يلعانان الظلمة التي ظلا محبوسين فيها. تبادلوا أحاديث صامتة وكلهما ثقة غريبة بأن معاناتهما هي الثمن الذي يدفعانه من أجل أن يصبحا أفضل.

في العام التالي، نجح هان-جو في امتحان القبول بكلية الفنون الجميلة بإحدى الجامعات. وفي الوقت الذي كان يفكر فيه في أن يتخلى عن دخول الجامعة بسبب المصاريف التي لم يكن بوسعه حل مشكلتها، ضغط عليه سو-إين لدخول الجامعة. قال إنه سيسدد الجزء المتبقي من المصاريف الدراسية بالعمل كمعلم خاص مقيم بأحد المنازل.

طلب منه في الامتحان أن يعبر عن البرودة والدفء برسم صينية من الفويل، ومسمار، وشماعة، ودباسة باستخدام اثني عشر لونًا. قام هان-جو باستخدام القلم الرصاص فقط ومن ثم استخدم الأجزاء المظلمة أكثر للتعبير عن الحرارة والبرودة. وفي المقابلة، عندما سئل لماذا لم يستخدم أي ألوان، أجاب بأن الألوان تتغير باستمرار وأن الشكل هو الأهم وأن الشكل هو أساس الجمادات. كانت إجابة ماكرة قصد بها الرسوب ولكن النتيجة جاءت مغايرة لتوقعاته.

بالكاد تمكن من التسجيل بالجامعة بالأموال التي أعطاهها له سو-إين ولكن لم يكن بمقدور هان-جو القيام بما يقوم به طلبة الجامعة. لم يحصل على

رخصة قيادة كما لم يشارك في لقاءات التعارف ولم يستمتع بمهرجان الجامعة ولم يقيم بالسير وراء الفتيات. وكل ما قام به خلال الجامعة كان وظيفة مؤقتة كمحاضر للرسم يعمل بالساعة في مركز لتعليم الرسم والعمل كمعلم خاص وقد حصل على هذه الوظيفة بصعوبة بالغة. فكان يقضي اليوم بيومه وهو يحلم بمستقبل أفضل وإن لم يكن واثقًا مما قد يكون.

استمر سو-إين في فقد الوزن كلما رآه بعد أن أصبح معلقًا خاضًا مقيًا، وعندما حلت إجازة الصيف، أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا عما عرفه. ازداد بياض بشرته البيضاء وغارت وجنتاه وكأنها تأكلت. جحظت عيناه وقد ظهر فيها لمعان ما وسط الهالات التي غطتها. ارتسم على وجهه، الذي ظهر عليه العزيمة على الهرب من الماضي المؤلم والتشوق لحياة جديدة بلا خزي، التصميم والحزم كأنه مصارع، ما إن تصاعد صوت جرس الجولة الأخيرة، صعد إلى الحلبة بوجه متورم وقد انهالت عليه الضربات في إحدى عشرة جولة سابقة.

لم يتطرقا إلى الحديث عن منزل هاورد إذا ما حدث وتقابلا. ولم يتمكن هان-جو حتى من تذكر شكل منزل هاورد من الداخل. كان ذلك بسبب أنه مسح كل هذا عمدًا من ذاكرته وقد خاف أن يتسلل إليه الحزن المكبوت بقلبه. وتمكن من الحصول على الراحة لتركه الماضي خلفه فقط عندما لم يعد يتذكر ضحكات هيه-ري. وفي الوقت نفسه، لازمه فراغ أرقه لفقدانه جذور ذاكرته.

في الفصل التالي قدم هان-جو على إجازة من الجامعة وبدأ فترة التجنيد الإجبارية. كانت النجوم تلمع في السماء فوق جبهته وسط الظلمة كأشياء حياته التي تكسرت إلى شظايا في أثناء مناوبته للحراسة. اختفى من حوله كل عزيز، وكل ما هو مهم بالنسبة له أصبح لا شيء وتبقت الذكرى المروعة التي كانت ذكريات جميلة. كما قبعت داخل جسده أسرار وأكاذيب صارت غائمة كبقايا الأمه.

كان هان-جو يتذكر بألم أكبر والدته التي عاشت كزوجة لقاتل أكثر من نفسه وقد عاش ابنًا لقاتل. أصيبت والدة هان-جو بالاكتئاب بعد ولادته. بدأ الأمر بأعراض خفيفة، كعدم القدرة على النوم والشعور بالوخم مع بداية فصل الخريف. في ذلك الوقت، بدأت والدته تقترب من الخمر. وبعدها توجب عليها الحصول على وصفة من الطبيب لأدوية منومة، وقبيل دخول هان-جو المدرسة الابتدائية، أخذت والدته تضع دواءها المنوم في فمها وتبتلعه بالسوجو المصبوب في كوب الجعة. على الرغم من ذلك، حاول والداه أن يحتويا عيوب كل منهما وكانا مخلصين لبعضهما.

كانت أعراض اكتئاب والدته ثقل كثيرًا ما إن يحل الربيع. فتمكث طوال اليوم في الحديقة التي تفتحت بها الزهور في شهر مايو وكأنها تعيش هناك. في تلك الأوقات، بدا والداه كزوج عاشق من طيور البغاء. فازداد كلام والده بتفاهات وهو يحاول أن يضحك والدته ولم يكن يبعد ناظره عنها، تمامًا

وكانهما يظهران كيف ما كانا عليه قبل أن يولد طفلاهما.

ولكن مع حلول الخريف تسلت والدته مجددا لاكتئابها ملازمة للخمر، مثل الحلزون الذي يخفي جسده داخل قوقعته.

عادت والدته إلى المنزل بعد عامين وقد ذهبت إلى مستشفى للنقاها تديره الأم مارثا في مدينة جينجو لتقطع عن الخمر. لم يكن هان-جو يدرك كم من الصعب التوقف عن تجرع الخمر ولكنه شعر بمدى قوة والدته التي لم تعد للشرب.

امتلات والدته بنشاط لم يعهده من قبل آنذاك. كان هان-جو شاكرًا جدًا لها، لأنها كانت تحضر له طعام الإفطار، وتوقظه ليشاهد التليفزيون مغا، وتنتظر عودته إلى البوابة الرئيسية في أوقات متأخرة من الليل. كلها أشياء عادية ولكنه كان سعيدًا بهذه الأيام العادية التي لم يكن هناك مثلها من قبل أو من بعد.

بدت والدته بعد اختفاء جي-سو مثل الذي سقط في الوحل. لطالما رغب هان-جو في أن يتفادى نظرات والدته إليه. فقد حملت نظراتها ازدراء للعالم وحقًا على أبنائها، ظن وقتها أن والدته تكرهه.

عاد إلى فراشه واستلقى هناك، ولكن لم يأتيه النوم. اهتزت الأضواء القادمة من جهة الدرج المؤدي للطابق السفلي. دوى صوت الصنبور وصوت تخبط الصحون وصوت صرير ألواح الأرضية المنتظم. كان المنزل هادئًا، ولكنه تخلله صوت تحدث والديه

والدته تغسل الصحون ووالده يحوم حولها بالمطبخ. اعتاد والده أن ينهض عن مائدة الطعام ويحوم حول المنزل عندما يرغب في إقناعهم بشيء. ما الذي يرغب والده في أن يقنع والدته به؟ التصق هان-جو بالأرض واسترق السمع. أخفض والده صوته فلم يتمكن من سماعه بوضوح. سمع صوت والده وهو يقول كلمات كالمحققين، الصور، الاتهام، الجامعة، المحاكمة، السعادة وصوت والدته وهي تقول كلمات كسلوان، الأم الراهبة. وفي المنتصف، ولسبب ما، ورد اسم سو-إين. انتظر هناك أن يقول أي منهما اسمه، ولكن لم يحدث ذلك.

لم يتمكن هان-جو بعد تلك الليلة أيضًا من تخمين ما كان والداه يقولانه. كان متأكدًا من أنهما تحدثا في أمر ما حول جي-سو. ربما كان والده يبوح لوالدته بجرمه وطلب العفو منها. لم يكن متأكدًا مما إذا كانت والدته قد سامحت والده ولكن من الواضح أنها غفلت عن خطأه. ربما تعتقد أن محاكمة زوجها ليس مهمتها.

ما قاله تلك الليلة لم يكن حول ما حدث بل ما سيحدث. توقع والداه المصير الذي سيهجم عليهما أسفل ضوء مصباح المطبخ المعبق برائحة الطعام. تمزق قلبه من الألم وهو يتذكر والديه وهما يتناقشان في يأس حول مستقبل ولديهما دون أن يكون لدى أي منهما الفرصة لرجوع والده عن جرمه والتوبة عنه، أو الوقت لتستنكر والدته جريمة

زوجها أو أن تصب عليه غضبها، لم يكن لديهما أي وقت ليحزنا على حياتهما الأخذة في الانهيار.

بمجرد أن ألقى القبض على والده، احتجزتهما والدته بنفسها لتحميها من خزي والدهما القاتل. هذا هو المستقبل الذي خطط له بإلحاح والده ووالدته في تلك الليلة؟ مستقبل ليس بالباهر ولا مليئًا بالأمل، لا وعود به، وحتى ما أخذ من وعود مسبقًا أصبح كله مهددًا بالخطر.

تذكر هان-جو كثيرًا تلك الليلة التي كان ينتفض به حاجبا والده الكثيفان وارتعشت شفتا والدته وسط برودة هواء الليل على الجبهة بالخارج. لم يكن بوسعه أن يحقد عليهما أو يكرههما. لم يشعر بأي غضب أو شفقة تجاه والده الذي خضع للشر، بل بدا له أنهما شخصان لا علاقة له بهما.

تعين على هان-جو الآن أن يتظاهر بأنه لا يعرف والديه، مثل بطرس الذي أنكر رسالة المسيح ثلاث مرات. كأنه لم يسبق أن أنجباه أو جلسا معه إلى مائدة العشاء نفسها يضحكون معًا. شعر بالبرد فجأة وهو يفكر في أنه الشخص الوحيد الذي يعتبر نفسه مثيرًا للشفقة. أحكم غلق الزر الأمامي لزيه العسكري ورفع ذقنه.

رغب في أن يفرق في السكر.

الفقر ليس مفهومًا بسيطًا وإنما يصاحبه ألم جسدي. برد وجوع، رائحة عفنة وقذارة. واسى هان-جو نفسه بإقناعها أنه لا يجدر به أن يكون لديه طموح، أو أن يكون متفانلاً حيال المستقبل. كانت

أمنيته فقط أن يعيش بشكل طبيعي كسائر البشر.
أمنية لا أهمية لها وبلا قيمة.

تخرج في الجامعة، ولكن لم يكن بانتظاره أي فرص. استمر في العيش في غرفة صغيرة ما بين الطابق الأول والبدروم، يكافح ليعيش من عمله كمساعد محاضر في مركز لتعليم الرسم. وفي عتمة إحدى الليالي بالغرفة التي لا يعمل بها نظام التدفئة، حيث كان هان-جو يرسم ببقايا الألوان التي تركها الطلاب، جال بخاطره أن حياته لا نفع منها مثل أنابيب الألوان الجافة الملتوية.

كل الألوان التي جمعها قاتمة وبلا لمعة. كرر لنفسه أن الألوان الفاتحة واللامعة لا تليق به بالأساس. أنزل يده المتجمدة أسفل ذراعه وتأمل اللوحة التي رماها بألوان باهتة من أجل أن يوفر ما لديه، شعر بالاعتزاز بنفسه وقد صمد إلى أن تخطى العشرين من العمر، شعر كذلك بأن تمكنه من عيش حياة يرسم بها كالمعجزة. كان يحب رائحة مخفف الطلاء المسببة للغثيان، والألوان المخلوطة بالمستحلب، وليونة «الكانفس» المشدود.

لم يكن هناك داعٍ ليتصارع مع ذكرياته وهو يرسم. فلا وجود للماضي الذي يقيد بداخل لوحاته. لا وجود لوالده القاتل، ولا لوالدته السكير، ولا لجي-سو الميته. فقد هرب من الألم، وفز من الماضي من خلال القوة السحرية للألوان والأشكال. كان لا يزال يافعا على أن يتم تجاهله، ولم تكن حياته بعد بالفاشلة. رغب في أن يرسم جفاء العالم

بألوان وخطوط متعارضة وأن يظهر كم من السهل أن تنهار العلاقات. رغب في أن يعبر عن أن انهيار الحياة بأكملها ليس بالأمر الجلل.

ولكن أن يصبح رسامًا أمر مختلف عن أن يرسم وحسب. فبالإضافة إلى ذلك، كان يحتاج إلى أكثر من مجرد موهبة. يحتاج إلى مرسوم مناسب، والأموال اللازمة لشراء ألوان وأدوات الرسم، والوقت الكافي لينكب على عمله...

بالتأكيد كان هناك فنانون ذوو موهبة غير عادية عانوا الفقر ولكن تمكنوا من إبراز موهبتهم. كانت المشكلة تكمن في عدم ثقته في موهبته. ففي كل لحظة، هجم عليه الخوف بأن الفقر سيقضي على كل ما لديه، حتى موهبته التي لا تساوي شيئًا، خاف من الرسم.

كان في حاجة إلى تل يستند عليه. تل هيميل الذي يغطيه الخضار ما إن حل شهر مايو والذي ما إن حل الليل أراح جسده الناعم على السماء. لم يتبق لديه سوى ذكريات مروعة، ولكن لا يزال منزل هاورد منبع السعادة واليأس، الأمل والحزن بالنسبة إليه. لم يدرك بالضبط ما الذي جعله يفكر في ذلك، ولكنه ظن أنه سيتمكن من الرسم في ذلك المكان، تمامًا مثل جيفريني لمونيه، وأرل لجوخ، وفونتنبلو لميليه.

اتصل هان-جو بشكل مفاجئ بمعلمه لمادة الرسم بالمدرسة الثانوية. لم يكن هناك شخص آخر يتصل به، ولم يكن هناك من يسأله عن حياته القادمة.

لم يسأله المعلم كيف مرت كل تلك الفترة. سأله هان-جو إن كان منزل مالكوم لا يزال شاغراً. - لم يسكن أحد منزل مالكوم ومنزل هاورد منذ أن غادرتم.

أضاف معلمه أن والدي جي-سو توفيا في حادث سيارة في العام التالي لمغادرتهم. ف شعر هان-جو بالذنب لعدم معرفته بتلك الحقيقة إلا بعد مرور عشر سنوات.

بدا أن معلمه تردد حول إذا ما كان يجدر به أن يشرح له سبب بقاء المنزل شاغراً طوال تلك المدة. كان السبب واضحاً جداً حتى من دون أن يسمعه؛ لا أحد سيرغب في الإقامة بمنزل حدث به مثل هذا الأمر المروع. ولكن بالنسبة إليه وقد أصبح مفلساً، لا مكان يعود إليه سوى ذلك البيت المروع. قال لمعلمه:

- هل يمكنني العودة إلى منزل مالكوم؟ يمكنني دفع إيجار لو كان مبلغاً بسيطاً كل شهر. ويمكنني القيام بأعمال الصيانة والتصليح البسيطة.

أخبره المعلم أنهم بالفعل كانوا يعانون إيجاد مسؤول صيانة لمنزل المبرش.

- كان هناك البعض ممن تقدموا للوظيفة ولكن لم يكملوا نصف شهر وغادروا.

وأضاف أنه سيتحدث مع المدير ليعرض أمر تعيين مسؤول صيانة في لجنة المؤسسة الخاصة بالإدارة. وصله اتصال من معلمه بعد أسبوعين.

- صدر قرار اللجنة. البيوت الشاغرة تبلى أسرع من البيوت المسكونة، لذا من الأفضل أن يكون هناك من يسكن المنزل ويعتني به. مبدئيًا، عليك بالإقامة في منزل مالكوم إلى أن تنتهي الإصلاحات في منزل هاورد ثم انتقل إلى هناك. لا تقلق بشأن الإيجار، من الجيد أيضًا للمؤسسة أنها وجدت الشخص المناسب.

اغترفت كلمة «الشخص المناسب» من كبريائه الكثير. فالسبب في أنه «الشخص المناسب» هو أنه ابن مسؤول الصيانة الأسبق. فعلى الرغم من أنه مرت عشر سنوات، لا تزال هويته في الماضي كما هي إلى الآن وكأنها موصومة كالوشم على جسده.

ولكن بداية، كان هذا من حسن حظه. فيمكن القول إن لديه بيتًا ليعيش فيه وإن لم يكن واثقًا إلى متى. كان منزلًا قديمًا وقد ظل شاغرا لمدة طويلة، ولكن إذا ما تم الاعتناء به فيسكون بحال جيد. ربما قد يتمكن أيضًا من العثور على وظيفة كمحاضر بمركز أو اثنين لتعليم الفنون في مدينة إيسان. قد يستغرق الأمر بعض الوقت، لكنه ربما يتمكن من أن يعمل على لوحاته أيضًا في الوقت نفسه. فتح حقيبة السفر وفردها على أرضية الغرفة الصغيرة بالبدروم، أخذ يطوي الملابس بشكل عشوائي التي لا تزال رائحته ملتصقة بها ويضعها بالحقيبة.

كان منزل مالكوم بالكاد يقف على أرض منبسطة من التل كالعجوز الذي انقضى عمره. بلى السور المحيط به وزال عنه الطلاء، وعلا الجدران

الخارجية التلف في كل مكان. في حين أخذت ريشة الطقس بأعلى السقف تتحرك يمينًا ويسارًا محدثة صخبًا عاليًا. شعر بأن الحديقة التالفة والسقف المهترئ يشبهان حياته المنهارة.

اختفى كل من سكن هذا المنزل. لم تتمكن والدته من أن تتعرف عليه قبل وفاتها في «منزل السلوان». كان ذلك بسبب داء خرف الكحول الذي استمر لديها لأربع سنوات. لم يشعر بأن موت والدته جديد عليه، فلم تعش يومًا واحدًا بعد صيف ذلك العام.

دفنت رفات والدته بعد الترميد في مقبرة عائلية بالقرب من سيول. ظن أن والده ربما يزور والدته بعد أن يخرج من السجن وإن لم يكن يعرف متى بالتحديد. ولكن والده لم يتمكن من زيارتها قط. ففي شتاء العام التالي، أصيب والده بالتهاب رئوي حاد ولم يتمكن من رؤية الربيع.

جلس هان-جو بكل ثقله على الكرسي الخشبي بالرواق الذي تحول لونه إلى الرمادي. صدر صوت أزيز عن الكرسي وقد أخذ يتأرجح به بسبب قصر القدم اليسرى الخلفية. فكر أن والده ربما قد عانى الانزلاق الغضروفي بسبب هذا الكرسي المتأرجح. فتح الباب الرئيسي بعد أن أخذ المفتاح الذي علاه الصدا من صندوق البريد المعلق بأحد أعمدة الرواق. كان بابًا من خشب شجرة الزلكوفا، زينه والده بحواف مقطعة من خشب الأبنوس.

من الآن وصاعدًا سيعيش على هذا التل وسيزين هذا البيت المروع. سيبنى ما انهار ويصلح ما

تلف. سيرمم الأرضية المتهالكة، وعلى حدود الحديقة سيزرع أزهار البايونيا والزينية والنجرس والسوسن. وسيرسم، فليديه موهبة لذلك. وحتى وإن لم يكن لديه فما كان بوسعه سوى أن يصدق ذلك.

ما إن حل المساء حتى شعر بالجوع. على الرغم من رغبته في تناول الطعام، لم يكن هناك حتى كهرباء أو غاز بالمنزل ليتمكن من تحضير الراميون. عثر هان-جو على شمع وأضاءه ومن ثم صعد إلى الطابق الثاني. ما إن أزال القفل الذي انتشر به الصدا وفتح النافذة حتى هبت عليه الرياح مصدرة أصواتاً كالضرب بالسياط. كان الطريق المضاء أسفل ضي القمر والممتد بطول التل ينتهي بمنزل هاورد. تعالت أصوات الخفافيش القاطنة بين العوارض الخشبية. بدا منزل هاورد كمقبرة محاطة بالعتمة والبرودة. في ذلك الوقت، سمع صوتاً كصوت إزالة مسمار حديدي من أعلى التل. وفجأة، مال مصراع النافذة بالطابق الثاني لمنزل هاورد المليء بالشقوق. ومض ضي القمر المنعكس على النافذة الزجاجية بحدة. رسمت شجرة السرو الضخمة الملتفة حول السقف الفضي ظلالاً مرتعشة على إطار النافذة. تسرب ضوء القمر من السحب، وبدا أن النافذة ستفتح ويظهر له ما خلفها بشكل أوضح ولكنها أغلقت مجدداً.

اعتقد أنه بإمكانه رؤية ما بداخل النافذة التي دهنت باللون السماوي؛ الظهر الطويل للكرسي

المدهون باللون البني الفاتح، الشراشف البيضاء على السرير، الدولاب الأبيض اللامع والمثبت بالحائط، وبداخله ملابس جي-سو الصيفية الملونة، حتى أصوات قاطني منزل هاورد بدا وأنها تتردد على مسامعه كأنها حية.

في تلك اللحظة، تحرك خيال باهت من وراء النافذة. كان من الصعب وصف ملامحه ولكنه بدا كخيال شخص ما. خمن أيضًا أنه لشخص معتدل القامة ذي رقبة طويلة من تحرك الظل فوق إطار النافذة.

- جي-سو؟

كرر هان-جو اسمها لإراديًا وقد ارتعد خوفًا؛ تفكير أخرق. كانت جي-سو تحب الوقوف بالقرب من النافذة، ولكن كيف يمكن لشخص ميت العودة إلى غرفته؟

ملأت العتمة القاتمة وراء النافذة المنعكس عليها ضوء القمر أرجاء المكان. مد بالشمعة إلى الخارج وصاح:

- هل هناك أحد؟

بالتأكيد من المستحيل أن يكون هناك أحد، فهو يعرف أنه لا يوجد أي شخص يعيش بمنزل هاورد. كل سكان المنزل غادروه ولم يتمكنوا من العودة. مع ذلك، لم يغادر عقله ذلك الخيال الذي رآه لتوه.

أهي صورة لممثلة قام أحدهم بلصقها على النافذة الزجاجية؟ أم أنه ظل القمر المرتعش على النافذة

التي انحل القفل عنها؟ وإذا كان كذلك، كيف اختفى سريفاً هكذا في لحظة؟ لا، بالتأكيد رأى شبخاً.

كانت الشائعات قد دارت بين الأطفال حول شبخ منزل هاورد بعدما عاد دكتور هاورد إلى أتلنتا وترك المنزل شاغراً. ادعى وقتها بأنه لا وجود للأشباح، وحتى إن وُجدوا فليس بإمكانهم إيذاء البشر. لكنه فكر الآن أن هذا الكلام العاثر ربما يكون حقيقياً. هناك شبخ يعيش في منزل هاورد. فقط أهل المنزل من كانوا يحبون منزل هاورد كثيرًا، من لم يتمكنوا من مغادرته حتى بعد الموت.

مدهان-جو برأسه إلى خارج النافذة. ضبغت السماء باللون الفضي وتأرجحت السحب كالأمواج. أمالت الرياح العشب إلى جهة واحدة بشكل مستقيم. للمرة الأولى، شعر بالسكينة لعودته إلى المنزل. عليه أن ينظفه ما إن يطلع الصباح.

تجول بالمدينة أسفل التل في الأيام التي تحسن بها الجو. امتلات المدينة بالحياة وأخذ يقطع شوارعها أناس بملابس مشرقة. بيوت مدهونة باللون الأبيض، متجر بزينة جميلة، لوحات إعلانات ملونة، متجر لبيع الحلات الرجالية، متجر لبيع النظارات، متجر لبيع البومات الأغاني.

تعرف على أوجه أصحاب بعض المتاجر. بدا عليهم التقدم في العمر عما سبق وبدوا أكثر إرهاقًا، حتى أن بعضهم كان يعرج. لم يبق هان-جو ببدء حديث مع أي منهم، كذلك لم يبذ على أحدهم أنه تعرف عليه، اطمأن لذلك. في الواقع كانت طمأنينة حزينة،

لأنه انعزل تمامًا عن الآخرين.

تم توصيل الكهرباء والماء إلى منزل هاورد بعد أربعة أيام. انتقل هان-جو إلى منزل هاورد وهو يحمل في يديه حقيبتي سفر. من بين المصايح الاثنتي عشرة المثبتة إلى النجفة القديمة، لم تضى تسعة مصايح، وقد بدا أن وصلاتها الكهربائية قد انقطعت. كانت لوحة «منزل هاورد» التي رسمها وهو طالب لا تزال معلقة على الحائط.

بدا منزل هاورد المائل وسط الرياح وأسفل قطرات المطر المتواصلة كقارب شراعي خرج في رحلة إلى البحر وسط عاصفة شديدة. كان قد استعار تقنية رسم الرياح التي تهب من الناحية اليسرى باللوحه من أعمال تيرنر. شعر بأن حياته الفارغة لها معنى وهو يتأمل اللوحات التي تبين الشموخ في التصدي للمصائب العظيمة، مثل «عاصفة ثلجية - سفينة بخارية عند مدخل الميناء» و«سحب المقاتلة تيميراير إلى مئواها الأخير» و«القوارب الهولندية وسط العاصفة».

كانت لوحة «منزل هاورد» غريبة بالنسبة إليه، كأنها لوحة شخص آخر. فكر أن نفسه التي رسمت هذه اللوحة ماتت منذ زمن بعيد وهو الآن ليس سوى شبح تلك النفس. هزت الرياح النافذة وأطلقت صوتًا عاليًا. لي هان-جو. لماذا أتيت إلى هنا؟ لقد غادرت وكأنك لن تعود أبدًا.

هطلت الأمطار في اليوم التالي، فقام هان-جو بتنظيف المنزل. وقبل الانتهاء من عمله، توقف

المطر وانهاالت أشعة الشمس على المكان. تذكر المناظر القديمة التي برزت بوضوح أمامه وكان ضبابًا كان يغطي عينيه قد انقشع. غرفة جي-سو بالطابق الثاني والصالة بالطابق الأول، المكتبة التي كانت تنسل منها أنغام سوناتا بيتهوفن، خطوات هيه-ري المتسارعة على الدرج، إحدى الليالي الصيفية، حب الزوجان في هذا المنزل الذي استرق النظر له من خلال النافذة. تأرجحت الذكريات أمام عينيه ببطء كالأمواج...

أتى إلى المنزل منذ عدة أيام رجل البريد وكذلك محصل الغاز، وقد بدا أنه يأتي مرة كل شهر ليتفقد العداد. ارتدى كلاهما زي العمل الرسمي الأزرق ولم يقولوا شيئًا. سمع صوت أغصان شجر السرو الممتدة تحتك بالسقف. فرأى أنه قد يحتاج إلى الصعود للسقف وإزالة الأغصان الزائدة غدًا إذا صار الجو جيدًا.

بدا المنزل كعجوز يتألم في سائر جسده في أنين متواصل. كثيرًا ما كانت المياه تتسرب من الصنابير فتندس مصارف المياه وتسيل المياه الملونة من الدهان المتقشر، وفي كل مرة كان يحمل هان-جو مفتاحه ومطرقتة ليتصارع معهم. وفي يوم ما، عندما خارت قواه في أثناء إصلاحه لانسداد بأنبوب الصرف، استدعى عامل سباكة. قال العامل وهو يضغط على أنبوب المياه:

- من الجيد أخيرًا أن يسكن شخص ما في منزل هاورد. ما الذي يجعل المنزل جميلًا؟ ما هو إلا بيت

أشباح إن لم يسكنه أحد.

كان قصير القامة ولكنه ممتلئ بعض الشيء، وقد ارتدى سترة مخصصة للعمل اهترأت يافتها. اختلطت ملامحه التي شعر فيها بالطيبة مع وجه والده. أبوه الذي كان يصلح أنابيب المياه بمنزل هاورد، أبوه الذي كان يغير ألواح السقف، أبوه الذي كان يكسو السلالم المتحطمة بالأسمت، أبوه الذي كان يستعمل المطرقة ليخلع أطر النوافذ المتكسرة...

- إذا كانت الأشباح تعيش في بيوت الأشباح فهل يعني هذا أنني شبح؟

ضحك العامل وقد ضاقت عيناه لمزاح هان-جو.

لم يعر هان-جو الكثير من الاهتمام في البداية لكيم سو-جين التي ثبتت حامل للوحات على بقعة منبسطة من التل يظهر منها منزل هاورد بوضوح. اعتقد في البداية أنه أحد الهواة من المشاركين في المعارض الفنية الذين يأتون إلى منزل هاورد دون أن يعرفوا أنه مسكون، كما أنه كان منشغلاً في تصليح المنزل الذي هجر لفترة طويلة. استمرت في القدوم في الصباح لأكثر من أسبوع لتعود بعد غروب الشمس. أدرك هان-جو وجودها بعد مرور عدة أيام.

في ذلك اليوم، كانت السماء غائمة وقد انتشرت السحب بها. حملت سو-جين أدوات الرسم وصعدت التل في وقت تخطى التاسعة صباحاً بقليل. ثبتت حامل اللوحة في بقعة منبسطة أسفل الطريق

لتتجنب الرياح ومن ثم بسطت عليها «الكانفس»، صفت الألوان المختلفة ثم رفعت شعرها الأشعث إلى أعلى وثبتته بقلم، جثت على الأرض وأشعلت سيجارة. انتشر دخان السجائر سريعًا كالدوامة بفعل الرياح.

نزل هان-جو إلى أسفل الطريق الممتد على طول التل. لم يعرف تمامًا ما إذا كان محط اهتمامه هو تلك الفتاة نفسها أم ما ترسمه ولكن على أي حال رغب فجأة في رؤيتها عن قرب. ضربت بفرشاتها على لوح الرسم بانفعال وهي تركز بصرها على منزل هاورد، بدا أنها تعتزم تجاهل هان-جو الذي يقترب منها.

ظهر منزل هاورد في اللوحة بحال أكثر تدهورًا بسبب الألوان والظلال العتيقة التي استخدمتها. بدا درج البوابة الرئيسية متهاكًا والسقف متدليًا والأعمدة مائلة. بدا أن النوافذ الزجاجية مغطاة بالتراب وانتشر العفن بأسفل إطار الباب.

- هذا السقف... ألا تعتقدين أنه متدلٍ بشكل زائد عن الحد؟

لم ترفع الفتاة نظرها عن اللوحة وأشارت إلى السقف بطرف فرشاتها. تدلت أغصان شجر السرو المائلة بفعل الرياح القوية على السقف المصبوغ بلون الشفق.

- ليس شيئًا حتى وإن مال بعض الشيء. هذا يبرز علامات الزمن عليه.

- لهذا يبدو المنزل سخيفًا.

أطلقت سعالًا خفيًا متواصلًا كما لو أنها حاولت كبح ضحكاتها فغضت. لم تعد تصب اهتمامها وتركيزها على اللوحة مثلما فعلت منذ لحظات، كذلك اختفت جديتها وبرائها الساذجة في التعامل مع اللوحة. تغير مفاجئ في المشاعر لا يمكن أن يكون حقيقيًا.

كانت نحيلة ولكنها أعطت انطباعًا بقوة البنية، ربما ذلك بسبب كتفيها المستويتين وكأنهما تحملان طوبًا فوقهما. ملامح وجهها البارزة تفيض بالحيوية. انعكست أشعة الشمس على ذراعيها البارزتين من أسفل أكامام فستانها المتطاير فأعطتها مظهرًا قويًا. كان وجهها يذكره بشخص ما، لكنه لم يتذكر من هو. - أعتقد أنني رأيتك في مكان ما... هل تقابلنا سابقًا؟

أجابت بصوت واضح وعال:

- أسمع هذا كثيرًا، لأن ملامحي مألوفة.

اعتذر هان-جو لها وكأنه ارتكب جريمة عظمى، لكنها لم تعتقد أنه تخطى الحدود. أخذت السحب الكثيفة تتجه نحو الغرب. قالت وقد بدا أنها تذكرت فجأة:

- يقال إذن إن هناك لوحة لمنزل هاورد معلقة في الطابق الأول بالمنزل؟

- تعرفين منزل هاورد جيدًا، كما لو أنه سبق لك دخوله.

- تستطيع أن تعرفه دون أن تدخله. سبق واطلعت

على أخبار عنه في الصحف.

ثارت رغبة هان-جو في المزاح.

- أتعرفين إذن أن هناك شعبًا يعيش بذلك المنزل؟
رأيت عند نافذة الطابق الثاني من منزل هاورد شيئًا
يشبه الشبح في اليوم الذي انتقلت فيه إلى هنا، مع
أنني لست واثقًا إن كنت رأيته بالفعل أم تهيأ لي.

بدا أن ابتسامتها البسيطة تعبر عن موافقتها
لكلامه، أو ربما تسخر منه. انتظر منها أن تعارضه
وتقول إنه لا وجود للأشباح، وإذا ما رأى شيئًا فما
هو إلا تهيؤات أو خيالات ولكنها خيبت أمله عندما
لم تقل هذا.

تسللت رائحة المطر إليهما وسط الرياح الباردة.
قال هان-جو:

- لا بد وأن المطر سينهمر فوقنا. لنذهب إلى المنزل
قليلاً ونحتمي منه. إذا تلكأنا، سنبتل بالتأكيد.

أسرعت وغسلت فُرَش الرسم، وقام هو بطي
حامل الرسم وحمله صاعدًا إلى أعلى التل. بدأت
حبات المطر في التثاقل وهما بالكاد قد وصلا إلى
بوابة المنزل. نفضت الفتاة حبات المطر عن شعرها
المبتل قليلاً وهي تنظر من حولها.

- هناك لوحة ولكن لا يوجد شبح.

- أنت لا تعرفين. ربما يظهر في الليل...

أصبحت خيوط المطر المتواصل في الانهمار
بالخارج أشبه بالستار، كما لو أن السماء القاتمة تخلع
عنها ملابسها، ومض البرق وهز الرعد النواخذ.

بسّطت دفتر الرسم الخاص بها وأخذت تخط خطوطًا بأقلام رصاص مختلفة السمك والنعومة، خطوطًا بالطول والعرض متداخلة كما بورقة الرسم البياني، خطوطًا مائلة ومنحرفة حادة كما لو أنها سُقت بسكين. اختلط صوت القلم الرصاص المحتك بالورقة بصوت المطر بالخارج. تأمل هان-جو في صمت تلك الفتاة وهي تمرر القلم الرصاص السميك والناعم على الورقة من أعلى حوافها إلى الأسفل، من اليسار إلى اليمين، بحرص ولكن دون تردد، وعيناها تتحركان تجاه ورقة الصنفرة لتأخذها وتحف طرف القلم الرصاص إلى أن يصبح مدببًا. طوال ذلك الوقت، امتلأ دفتر الرسم بأشكال هندسية وخطوط متداخلة غير منتظمة بزوايا مغايرة من كل اتجاه.

توقف المطر عن الهطول، وأشارت عقارب الساعة المعلقة على الحائط إلى الثامنة، فتوجهت الفتاة إلى الحوض وغسلت أصابعها الملطخة بالسخام.

تذكر هان-جو أنه قرأ في مكان ما سابقًا نتائج أبحاث تفيد بأن رسم الخطوط بطريقة سلوكية فعالة في علاج داء فرط الحركة. هل هذه الفتاة أيضًا تهرب إلى الرسم من أجل تحمل آلام وأحزان قاسية؟ ومن أي ذكريات تهرب؟

كانت شخصًا لم يسبق أن عهد أحد مثلها. لم تكن مترددة في أي شيء، وكثيرًا ما تلتزم صمتًا مطولًا بعد أن تكثر من الحديث، تضحك بلا حرج ثم تتحول إلى شخص غريب بارد في لحظة. شعر

بأن جميع تعابير وجهها مفتعلة وفي الوقت نفسه صادقة.

ذكرته تلك الفتاة التي يتغير سلوكها باستمرار بالساحر الذي يرتدي عشرات الأقنعة ويغير وجهه كل مرة. أضفى الترقب والفضول حول التغير اللحظي لتعابير وجهها ونبرة صوتها، ولحركات جسدها وسلوكها، روحًا على أحاديثهما، لكن كل ذلك تطلب منه كثيرًا من الطاقة.

كان سهلًا أن ينسى هان-جو نفسه أمام تلك الفتاة الساحرة. رغب في أن ينقاد لسلطتها ويخضع لجمالها. رغب في أن يترك نفسه لها لتتحكم فيه وتقوده وتدمره.

تجولا في الشوارع المغمورة بأشعة الشمس بلا هدف. وإذا ما غلبهما التعب، جلسا في شرفة أحد المقاهي ينظران لبعضهما. وفي بعض الأحيان، وقفا إلى جانب بعضهما يشاهدان لوحة ما ورسمًا بالتناوب في دفتر الرسم نفسه وهما يتبادلان الضحكات. كان بداخل تلك التصرفات السخيفة والبسيطة سعادة بريئة.

تبادلًا الأحاديث بلا انقطاع؛ عن هذه المدينة، وعن هذا المنزل، وعنما تغير وما لم يتغير. ولكن كلاهما وكأنهما تعهدا مسبقًا، سكتا عن الماضي ولم يسألا بعضهما عن طفولتهما. لم يخبرها هان-جو عن والده وكذلك هي تجاهلت السؤال عن ماضيه. وإذا ما حدث ودار الحديث حول فترة الدراسة، كان يدور حول كلام عام يعرفه الجميع، أو إجابات مختصرة

تبيين بشكل واضح الرفض لأي أسئلة أخرى. كانت رابطة حزينة بين شخصين لا يُظهرا الأمل، فهما يعرفان جيدًا أنه حتى وإن أظهرنا جروح الماضي، لن يجدا المواساة.

كل منهما كان الأهم بالنسبة للآخر، وحاضرها فقط هو الواضح. فحيت خلفيتهما وكل من هو في محيطهما، تمامًا كأبطال القمص المصورة.

سألته في يوم من الأيام وهي تفتح لتوها غطاء علبة بييرة:

- هل سبق ورأيت شخصًا ميتًا؟

تمزق الغطاء الألومنيوم وتصاعد الغاز من العلبة. التفت إليها بعيني الصبي الخائف كما كان منذ عشرة أعوام. تذكر شعر جي-سو المبلل وذراعيها العاريتين.

- أنا... فتاة كنت أعرفها...

- أي فتاة؟

تردد هان-جو حول ما إذا كان يجدر به استكمال الحديث. وإذا فعل هذا، فإلى أي حد؟ تصاعد من الهواء رائحة صدأ الحديد. في النهاية، قال وهو يتجرع النصف المتبقي من البييرة:

- في ذلك الوقت، كانت الفتاة في الثامنة عشرة من عمرها. أكتشفت جثتها في النهر بعد خمسة أيام من اختفائها.

كان صوته جازًا، وبدا حديثه كحقيقة لا شك فيها، ولكن لم يبذ عليها أنها تصدقه تمامًا. بالفعل كانت

هناك أشياء لم يخبرها بها. تلك الحقيقة أنه ليس
حزًا تمامًا من مسؤولية موت جي-سو.

- هل أحببتها؟

مدت بذراعيها إلى الأمام في حركة دائرية
كالقطط ومالت بجسدها عليه، بدا أنها عازمة ألا
تفوت أي تفاصيل. كأنها أحبت أن تسمع ما سيقول
وأنها يجب أن تسمع ما سيقول، لأنها تحبه.

أجاب وكأنه يبوح بالسر من أجل التوبة:

- هل يمكنني أن أقول إنها كانت حبي الأول؟
أو ربما لا... كنت أحبها ولكني أيضًا كرهتها بالقدر
نفسه. لكن أيا كانت مشاعري ناحيتها، بالتأكيد
لولاها ما كنت لأرسم.

كان حديثه مزيجًا من الحقيقة والأكاذيب، بدا
غامضًا حتى بالنسبة له أيضًا. لم يستطع أن يفهم
لماذا أخبرها بما لم يقله لأحد من قبل، بل بما كان
هو نفسه قد نسيه. إذا كان ولا بد أن يجيب عن هذا
فلأنه رغب في أن يتشارك معها ذكريات ماضيه
المظلم. فقد آمن بأن الآلام المشتركة وحدها ما
ستقدر على أن تؤكد حبهما.

لم يكن هناك تقدم في أعمال هان-جو. أحاطت
به قطعة «الكانفس» البيضاء الفارغة كالسجن. لم
يعرف ماذا يرسم، وكيف يرسمه. ظن أن ابتكار
شيء ما أمر خارج إرادته. منذ فترة ما، أحاطته
مخاوف بأنه ربما يلوث «الكانفس» الأبيض النقي
بضربات فرشاته.

لم يتبق على «الكانفس» شيء يذكر، حتى وإن استمر بالضرب بفرشاته عليه كأنه مديون مضطر. لوحات ميتة بلا حياة وبلا معنى ولا شيء تقوله ولا يمكن القول عنها إنها جميلة حتى. ثم ما إن غربت الشمس حتى هجم عليه شعور قوي بالفراغ والعجز. مع ذلك، كانت سو-جين دائمًا فضولية لتعرف ماذا يرسم ورغبت في أن ترى ما يرسمه. لكن لم تكن لديه رسومات يرسمها ليريها إياها. كان مجرد عالم فقير يرغب في أن يصبح رسامًا ولا يمكنه عرض لوحاته بالسوق، مجرد عاطل بلا عزيمة هوجاء للرسم حتى. لم يستطع التحمل أكثر من ذلك فصرح بعجزه هذا لها.

- هناك مشكلة.

- أي مشكلة؟

- لا أعرف السبب ولكني لا أستطيع الرسم. بل ربما نقول إنني أعرف السبب ولكن ليس لدي حل.

رسمت أشعة الشمس القادمة من النافذة مربعًا ملتويًا على الأرض. أجابته بشكل قاطع:

- لا تقلق، ستجد الحل. وأنا بلا شك سأحسب رسوماتك.

أثار في نفسه صوتها الحاسم الواصل بلا أي دليل الرغبة إلى حد ما لأن يصدقها. أراح هان-جو يده على صدرها، شعر أسفل ضلوعها بضربات قلبها. بدا وكأنه طائر صغير أحمر يرفرف بجناحيه. وما إن حرك يديه باتجاه خصرها حتى أحنت جسدها

وأفلتت نفسها منه. مجرد التفكير في أنها رفضته يشعره بأن شيئًا ما اخترق قلبه بقوة. لم تتطوع بنفسها لتكون عارضته منذ البداية، لكنه لم يتوقف عن رسمها ولو لحظة واحدة. ركزا على تعابير وجه الآخر وحركات جسده وهما ينظران لبعضهما أو وهما يتحدثان معًا وأخذا يخطان شكل الآخر على الورق وفي دفتر الرسم.

وفي يوم من الأيام، توقفت عن الرسم ورقدت ساكنة من أجله. كانت ترتدي قميصًا أبيض وسروال جينز، لكن الخطوط العشوائية التي رسمها لها كانت عارية دون أن يدرك. قالت له بعد أن رأت ما رسم: - كل هذا مزيف. لم أسمح لك بأن ترسمني عارية. كيف لهذا أن يكون أنا؟

اعتذر على الفور متعللاً أنه لم يقصد وتأسف لإزعاجها. تركته دون أي رد. وفي اليوم التالي أيضًا، بدا من تعبير وجهها أن غضبها لم يهدأ بعد. قالت: - لا تحاول أن تتخيلني وترسمني كما يحلو لك. عليك أن ترسمني كما تراني، حتى أريك نفسي الحقيقية كما هي.

وبعدها بعدة أيام، وقفت أمام «الكانفس». لمع شيء ما بالجانب الداخلي لفخذها الأبيض، أهو ظل أشعة شمس الغروب؟ أم أنها بقع من الألوان؟ ما إن أمعن النظر حتى وجد أنها آثار جروح بألة حادة لعدة مرات تشابكت معًا في خيط شديد الحمرة. آثار جروح سميكة ورفيعة وقصيرة وطويلة وأخرى في أشكال مسننة، آثار جروح بلون أبيض وأحمر

ورمادي وزهري، اثار ندبة جدره متصلبة بارزة واثار جروح ملتئمة بطول العروق...

لم تكن بفخذها فقط. كانت هناك آثار عشرات الجروح مختلفة الشكل واللون والحجم ظاهرة في كل مكان. تشنج جسد هان-جو لدرجة أن رقبته التوت. لم يجد الشجاعة لينظر إلى هذا المظهر البشع. رغب في أن يتجاهل ذلك الجسد، بل تلك الجروح. رغب في أن يسألها ماذا حدث ولكنه كان يخاف سماع الإجابة.

مع ذلك، ما لبث أن تحول خوفه إلى فضول. لم تكن مجرد رغبة في المعرفة بل شعور ملح بالواجب لأن يعرف. ربما تعرضت للتعذيب من أحد الأشخاص المقربين منها في طفولتها. ألهذا لا تتحدث عن عائلتها؟

تحشرح صوته:

- من؟ من فعل بك هذا؟

قالت وهي تنظر إليه بعينين هادئتين:

- لا أحد. قمت بذلك بنفسي.

شعر بأنه تلقى ضربة بمجرفة في صدره. أومضت بعدها التخيلات في رأسه. إذا كانت تلك الأداة سكينًا، ألم تكن خائفة وهي تجرح نفسها؟ ألم تتألم؟ وإذا كانت تتألم، كيف تحملت؟ ألا تزال تؤذي نفسها إلى الآن...؟

لكن تسلل إلى نفسه شعور بالاستسلام بأنه لن يتمكن من معرفة إجابة هذه الأسئلة أبدًا. تحدثت

مرة أخرى:

- الآن... أنا بخير. صرت بخير الآن.

تحسس بأطراف أصابعه كتفها وفخذها. لم يرغب في أن يسألها لماذا فعلت ذلك. ربما يسمع منها عندما ترغب هي في الحديث. لم يهتم إذا لم يعرف إلى الأبد ولم ترغب في أن تخبره. مستحيل ألا يحب تلك الفتاة مهما كان ماضيها يصعب تخيله.

ربما هذا تفكير لحظي ساذج، أو ربما حجة للتجاهل والهرب من المشكلة، لكنه لم يرغب في أن يفهم كل التفاصيل. فإذا دفن الأمر وتركه، أصبح لا شيء، حتى وإن كان حقيقة فاصلة، ربما تتحول علاقتهما حينها إلى شظايا. إنه لغم لن ينفجر إذا لم يبطأ عليه.

مرت بخاطره فكرة ما فجأة. كانت فكرة غير واضحة لحظتها ولكنه أدركها بعد لحظات. انتابته ثقة بأنه يرغب في أن يرسمها أو بالأحرى عليه أن يرسمها. ألحت عليه تلك الأفكار لدرجة أنه اعتقد أنه عاش طوال حياته فقط من أجل أن يقوم بذلك.

تلك الجروح علامات رسمتها روحها، علامات تدل على عمرها. سيرسم جروحها ويواسي بها ألامه، وبلوحاته سيعالج جروح الآخرين. كانت أفكارًا سطحية ولكنه كان واثقًا أنها ستنجح تجاريًا أيضًا.

بدأ هان-جو في الرسم. تفجرت بداخله في الوقت نفسه حسرة على حياته التي لم يدرك منها سوى القشور إلى الآن، أمل في أن حياته الحقيقية قد تبدأ في هذه اللحظة. الآن أصبح الشخص الذي

أرادته، ذلك الشخص الذي يعرف ماذا يرسم، وكيف يرسمه بالفعل.

كانت قدرتها في أن تكون عارضة مذهلة حقًا؛ لم تغضب أو تنذمر أو تتألم. استغلت هيئتها بأكملها من أقل عضلة بجسمها إلى كل شعرة شعثناء لديها كوسيلة للتعبير عن نفسها فضلًا عن قدرتها على الصبر للحفاظ على الوضعية نفسها وتذكر الوضعية السابقة.

منحته اللحظات التي يرسمها بها نشوة كأنه يتقاسم فيها الحب معها. بدت له جميع المناظر جديدة، وأصبح لكل شيء حوله وجود واضح. شعر أنه أصبح القديس لعازر، وقد خرج يمشي على قدميه من قبره.

في بعض الأحيان، عندما كان التليفزيون يعرض أخبارًا مملة، كان هان-جو يتحدث عن اللحظات غير الحزينة التي يتذكرها من حياته. الحديقة التي ذهب إليها في نزهة في المدرسة الابتدائية، شكل الحارس في زي القرد وهو يحرس مدخل حديقة الحيوانات، رائحة الحيوانات من خلف السور الذي علاه الصدا...

كانت تحكي هي أيضًا عن والدتها ووالدها اللذين توفيا مفا وهي صغيرة، وعن منزل خالها الذي أصبح يرعاها بعد وفاتهما. تحدثت أيضًا عن مشاغبة بنات خالها اللواتي كانت تساعدهن في مذاكرتهن وبسبب ذلك لم تتمكن من حل واجباتها فيعنفها المعلم لذلك.

- لم أستطع فجأة وأنا في الصف الثالث الابتدائي تذكر وجه أمي وأبي. مهما حاولت لم أتمكن من التذكر. وفي تلك اللحظة، شعرت أنني أصبحت ناضجة بالفعل.

عندما قالت له ذلك، تفهمها وكان صوتها هو صوته. - لم أحاول أن أتذكر وجه أبي قط. ليس لأنني لا أستطيع بل لأنني لا أريد. هذا الكلام... لم أرغب في قوله لأحد، لذا لم أستطع أن أتقرب من أي شخص.

برز عرق ضخم برقبة هان-جو. عانى في علاقاته مع الآخرين، وربما كان السبب في ذلك هو المأساة التي تعرض لها وهو صغير أو فقره الشديد. فالتقرب من شخص غريب عنه كان يحتاج إلى مراحل معقدة وبطيئة، وكانت علاقاته تنتهي في الأغلب قبل أن تبدأ حتى. لكنه رغب في أن يفضي بماضيه المؤلم لها فقط. أخرج من صدره حديثًا كان عالقًا به كالدماء.

- كان والدي قاتلاً. قتل شخصًا ما وأنا بالسنة الثانية من المدرسة الثانوية وقاد بنفسه إلى الهلاك أيضًا.

أفضى لها بهدوء عن حذاء والده المطاطي الذي رآه في أول وآخر زيارة قام بها لوالده بعد أن تم إلقاء القبض عليه. حكى لها وقد امتزجت بداخله طوال الوقت مشاعر القلق من أن تنهار علاقته بها ومشاعر التوق لأن تفهمه. وضعت ريموت التليفزيون الذي بيديها على الطاولة أمامها وسألته بعد فترة من الصمت:

- اتظن ذلك أيضًا؟

لم يتمكن هان-جو من أن يفهم غاية سؤالها. هل ترغب في أن تسمع كل تفصيلا كبيرة وصغيرة؟ بأن والده قتل جارتهم الصبية في عمر الثامنة عشرة وألقى بجثتها في السد واستمر في حياته كأن أمرا لم يكن إلى أن تم القبض عليه أمام عيني ابنه؟ أغمض هان-جو عينيه ثم فتحهما وسألها:

- وكيف لي أن أفكر بطريقة أخرى؟

- إنه والدك، أليس كذلك؟ ألم تفكر في أن المجرم قد يكون شخصا آخر ولكن الشرطة أعلنت فقط أنه أبوك... ألم تفكر في هذا مسبقًا؟ ولا مرة واحدة؟

رغب في أن يصدق رأيها، لكن لم يكن بوسعه أن يخضع لرأيها بسهولة. فقد خاف أسئلة أخرى ستهجم عليه بالضرورة إذا كان كلامها حقيقيًا. إذا لم يكن والده فمن هو القاتل إذا؟ أجاب وقد عدل من نبرته:

- لقد اعترف والدي وقدمت النيابة الأدلة وصدر الحكم في حقه. كل النظم الاجتماعية عملت كما يجب. فلماذا تقوم الشرطة بأمر كهذا؟

- الناس سذج. فهم يعتمدون إلى تجاهل الحقائق الواضحة ويخافون من التصريح بها. وما إن تتحدث الشرطة، أو الإعلام، أو السياسة، يصدقون دون ذرة شك. وهكذا أصبح العم بمنزل مالكوم قاتلاً.

كان صوتها وسلوكها طبيعيين. لا شيء سيتغير حتى لو فكر بهذه الطريقة، فلا يمكن إثبات حقيقة

قد انهارت بالفعل، فلا يمكن استعادة الماضي. شعر بأن الجو بالغرفة قد تغير بعد أن أنهى حديثه. قال على الفور:

- العم... العم بمنزل هاورد؟ أقلت لتوك العم بمنزل هاورد؟

تعثر هان-جو في الكلام. برزت العروق الزرقاء من صدرها إلى أعلى رقبتها. ربما برزت عروقها لأنها أرادت أن تكبح رغبتها في البكاء أو ربما لشعورها بالتوتر. تذكر لحظتها أيضًا حديقة منزل هاورد حيث أشعة الشمس اللامعة. العروق برقبة الطفلة البارزة عندما انفجرت في البكاء بعد سقوطها بالشرفة. كعب جي-سو المتسخ باللون الأخضر من العشب المتمزق.

- أنت... أنت هيه-ري؟ لا. لا يمكن. أأست بسو-جين؟

نظر هان-جو إلى الصورة العائلية الموضوعة على البيانو القديم بعينين امتزجت فيهما الدهشة والحيرة. الفتاة الصغيرة في طرف الصورة المبقة والمصفرة. الجبهة المستديرة، الأنف الصغير، الخدود الناعمة والذقن المستقيم. ذلك الوجه الضاحك بلا أسنان أمامية...

فجأة انقشع الضباب بينهما ووضح كل شيء. نظر هان-جو للفتاة الجالسة أمامه. لم تتفاد نظراته، وبعد فترة، قالت:

- تبناي خالي بعد وفاة أمي وأبي. غير خالي اسمي لأنسى صدمة ما حدث سريعًا. لم يكن بالأمر

السيين. كان لقب أمي وليس شخصاً لا أعرفه بالمرّة.
ظن هان-جو أنه ربما يفهم الآن ولو القليل من
حياة تلك الفتاة وجروحها. فبدلاً من أن تنمو تلك
الفتاة بيولوجياً بشكل طبيعي، أصبحت نتاج
حوادث وذكريات مأساوية. كيف له ألا يفهم
ما وصلت إليه بعد أن مرت بكل هذه الأحزان
والمآسي؟ ولما وصل تفكيره إلى هذه النقطة،
رغب في أن ينفجر في البكاء لشعوره بالأسف على
هيه-ري وبالشفقة على سو-جين.

لم يكرها أو يحقدا على بعضهما بسبب تلك
الحادثة. أخذا يسألان بعضهما وتحادثا عما حدث
ذلك الصيف وقد بدا أنهما يرغبان فقط في تجميع
القطع المتناثرة التي فقداها ليصنعا منها شيئاً كاملاً.
قالت له إنه كان هناك كتاب لمسرحية هاملت مفتوح
على صفحة معينة على طاولة أختها الكبرى.

- قرأت تلك الصفحة مئات المرات. وحتى الآن
أتذكر السطور التي تُخبر فيها الملكة بموت أوفيليا.
شجرة الصفصاف تنمو فوق المجرى، فينعكس لونها
الفضي على سطح الماء، أقبلت ومعها عقود من
الزهر جميلة التنسيق، منها ورد الغراب، والحسك
والأقحوان، والأرجوان الطويل، ولكن لم يمض
وقت طويل حتى ثقلت ثيابها من الماء الذي تشربته
وجذبتها من أغنيتها الجميلة إلى قاع من الطين.

أقلت بصوت خفيض سطور الملكة جرتروود. امتلا
جسده بسعادة، فقد ظن أنه تقاسم معها قطعة من
الحياة، وقطعة من الروح. شعور بألفة كأنه التقى

فردًا من أسرته انفصل عنه منذ زمن بعيد. فقد أصبح واثقًا من أنه من الآن فصاعدًا سيتفهم الامها وسيتشارك معها معاناتها.

ظهر القمر معلقًا بالنافذة وكان أحدًا وضعه هناك. بسطت أشجار السرو فروعها السوداء بقوة وأطلقت أوراقها المدبية حفيًا. مز من على عشب الحديقة قط رمادي دون أن يصدر صوتًا.

انعكفا على العمل عادة قرب الساعة الثالثة بعد الظهر. كان صدر هان-جو ممتلئًا بالرغبة في اكتشاف المنحنيات النقية للجسد. لم يكن ضغطًا ملخًا لأن يرسم بل عطشًا خالصًا. فقد بدا له أن ما رسمه من قبل لم يكن رسمًا وأنها اللوحة الأولى والأخيرة في هذا العالم.

وما إن مالت الشمس إلى الغروب، مدد هان-جو بعينين مرهقتين أصابع يديها ومددت هي جسدها المتيبس. تقاسما تناول المكرونة الإسباجيتي المتصلبة والمالحة. أسرهما إدمان حلو المذاق نابع من العزلة الكاملة.

وفي وقت متأخر من مساء أحد الأيام، تساقطت حبات المطر وانخفضت درجة الحرارة كثيرًا. وما إن انهمرت حبات المطر الناعم على الأرض العطشة حتى أطلقت تلك الأخيرة حرارة منها كأنها تتنفس. ارتجف كتفا هيه-ريه بعد أن ظلت لمدة ساعتين تقريبًا بلا حراك. فوضع هان-جو قميصه الذي لا يزال يحمل حرارة جسده على كتفيها.

أصدرت الأريكة المتصلبة كجذع الشجرة المائل

صوت صرير. صب القهوة الساخنة من الإبريق وأعطائها إياها. تصاعد البخار من الفنجان في خيط رفيع. اقترب وجهاهما لدرجة التلامس، فاستشعرا أنفاسهما.

- أحبك.

رغب هان-جو في أن تقول له إنها تحبه، لكن شفيتها ظللتا مطبقتين. خفق قلبه وانتفض الدم في عروقه متركزا في مكان واحد. أجابت هيه-ري بفتور:

- أنا أيضًا أحبك.

لم يعتقد أنها تثير غضبه ولكن في الوقت نفسه لم يبذ أنها صادقة فيما تقول. تخطى حدوده إلى هذه المرحلة نفسها تقريبًا مرتين في السابق. وفي كل مرة لم يكن بمقدوره أن يفهم ما بقلبها. ربما تحتاج للوقت فقط وليس أنها ترفض حبه، ولكن إلى متى؟ لم يرد أن يصبح رجلًا مترددًا أكثر من هذا.

قبل شفيتها، وتحسس كل جرح بجسدها، كعالم عجوز يحاول قراءة كتابات مسمارية. وكأنه سيتمكن من فهم الآلام التي تحملها تلك الجروح، وكان جلدًا جديدًا سينمو على ندبات هذه الجروح. صرخت هيه-ري:

- لحظة. توقف، توقف عن هذا.

تردد فيما إذا كان يجدر به أن يتوقف وهو يفكر في حجة ما، كلمات يداري بها خزيه من الرفض ويطلب بها العفو. في تلك اللحظة، خرجت من فمه

الكلمات. تلك الكلمات الحمقاء التي يقولها الرجال في مثل هذه المواقف.

- أنا أحبك. ألا تحبينني أنت أيضًا؟

بدا لها صوتها المتوسل للحب تهديدًا لا يمكن رفضه. لم تجب هيه-ري، ولم تعرف وقتها أنه تقبل صمتها على أنه تجاهل سلبي منها، أو موافقة صامتة.

يمكن لأي شخص أن يحلم بأن يصبح غنيًا أو أن يجمع ثروة ضخمة. فالتخيل ليس بجريمة. ولكن سرقة مال الآخرين أو السطو على مصرف بالتأكيد جريمة. الأمر نفسه إذا ما ارتكب الشخص فعلًا يجعل الطرف الآخر يكرهه حتى وإن كان يحبه. ولكن في تلك اللحظة، ملأت رغبته في تلك الفتاة جسده وروحه.

- أحبك. أحبك. قولي إنك تحبينني.

لم يكن بوسعها قول أي شيء آخر غير تلك الكلمات. وما رغبت أن يسمعه أيضًا كان تلك الكلمات. ظن أنه سيتمكن من تخطي كل شيء مهما كان القدر قاسيًا، ومهما كان الماضي ملخًا.

دفعته هيه-ري. شعر بالم حاد من آثار أظفارها التي غرزت ب صدره. شعر أن رفضها يشمل وجوده كله، فتصاعد بداخله غضب لم يكن بمقدوره تحمله. لم يكن غضبًا تجاهها بل غضبًا تجاه نفسه التي زفقت. بشكل لا إرادي، دفع بها إلى الأريكة وألقاها عليها وأخذ يتمتم وهو يقف حائرًا:

- لماذا بحق السماء؟

في تلك اللحظة تذكر والده. ظن أنه يعرف لماذا رفضته، فهو ابن قاتل أختها الكبرى. كان هذا هو الثمن والعقاب الذي تعين عليه أن يدفعه. اطمئنانه لتخلصه من الماضي، وتعاطفه معها لأنهما تمكنا من أن يفهما بعضهما، وسعادته لأنها سامحته، كل هذا كان مجرد أوهام.

احتضنها بقوة شعرت معها بالألم. وبعد لحظات، فقد جسدها قواه بعد أن كان متصلبًا للحظات، صار في عينيها وميض استسلام. قُتل جفنيها، شعر أنه يحبها أكثر من أي لحظة عاشها وأكثر من أي شيء آخر.

ندم فيما بعد مئات المرات، بل آلاف المرات، وفكر في أنه كان يجدر به التوقف في تلك اللحظة. وأدرك كم كان تصرفه وقتها أنانيا وعدوانيا. ولكن كل ما كان حقيقيا في تلك اللحظة هو حبه لها.

والآن سيحب هذه الفتاة أكثر لكي يتمكن من نيل الغفران على ما ارتكبه. سيرسمها، تلك المرأة التي أصبحت دليلاً على الحياة من بين كل النساء الأخريات. تلك المرأة التي يدرك العالم من خلال وجودها، كما كانت موناليزا لدافنشي، وكما كانت هيبوتيرن لموديليانى، وكما كانت بيلا لشاغال.

لم يعد يخاف «الكانفس» الفارغ. رسم تلك الفتاة كان سبيله الوحيد للتقرب منها وطريقته في حبها. رغب في أن يعبر عن جمالها، والامها، وتضرعها بصور من الضوء والزهو والحياة. راقبها بحماس

أقرب إلى الهوس، فأخذ يخمن النسب ويحسب التراكيب. وجرب كل من تقنيات فن النحت اليوناني وفن الرسومات الدينية للعصور الوسطى وبورتريهات عصر النهضة، وبحث في خصائص الألوان والزيوت والتأثيرات المختلفة لأدوات الرسم المتنوعة.

عندما انتهت لوحة «أوفيليا: الصيف»، وضعها هان-جو بلا تردد أمام «الكانفس». كانت وجه الفتاة بداخل اللوحة مغطى بحجاب شبه شفاف يكشف ويحجب في الوقت نفسه ما وراءه، الفتاة باللوحة مستلقية بشكل مستقيم ونصف جسدها محتجز أسفل المياه. نمت الأعشاب المائية بالمجرى الضحل ومن خلفه امتدت السماء الزرقاء. ومن خلف الأغصان المتكسرة، كان هناك منزل هاورد، بعيد على التل الأخضر.

كانت المياه هادئة، علت شفتا الفتاة التي أغمضت عينيها في رقة ابتسامة هادئة. تاج مصنوع من الورد، ضمادة غارقة في الماء حيث العشب الطافي، شفتان تتغنيان بأحزانها، الجروح وأثارها موصومة في كل مكان...

شعرت شعورًا غريبًا. فلم تتابها مشاعر الخوف أو الاشمئزاز حتى وهي تنظر إلى هيئتها وهي ميتة. فقد شعرت بالحياة في الحمرة التي تغطي خديها وابتسامتها الخفيفة. لم تكن هذه بأوفيليا الصغيرة والبريئة في هاملت، بل أوفيليا التي وصمت آثار الحياة القاسية على جسدها بأكمله. قال لها

هان-جو:

- أعتقد أنني أعرف ماذا سأرسم الآن. أصبحت أفكارى واضحة وكان طريقًا ما ظهر أمام عيني ولم يكن موجودًا من قبل. سأرسم أوفيليا في الفصول الأربعة، بأشعة شمس الخريف، وتلوج الشتاء، ووحل الربيع.

فأجابته وعيناها مثبتتان على الكانفس:

- أتفكر إذا أنا سنبقى معًا للخريف والشتاء، وكذلك لربيع العام المقبل؟

- بالتأكيد. أليس الحال الوحيد إذا لم نكن معًا هو أن ننفصل؟ سأرسمك وأرسمك مجددًا.

احتضن هان-جو هيه-ري بكل قوته.

انقطعت هيه-ري عن القدوم إلى منزل هاورد بعد أسبوع من ذلك. اختفت كما لو أنه لم يسبق أن كانت في هذا المكان. لم تعد موجودة لا بداخل المنزل حيث اعتادت التحرك به كالهواء، ولا بداخل المرسم حيث كانت ترقد تحت أشعة الشمس. لم يستطع أن يعرف ما حدث ولم يصدق حتى بعد أن عرف. فقد بدت له حقيقة أنه فقدها ككذبة، ولم يعرف ما إذا كان يجدر به أن يغضب أم يحزن.

بحث هان-جو عنها في كل مكان كالمجنون، لكن لم يجد من حوله من يمكن أن يسأله. أدرك هان-جو بعد اختفائها أنه لم يسألها حتى عن رقم هاتفها. كانت دائمًا موجودة حوله، فلم يكن بحاجة إلى أن يتصل بها. كم كان هذا تصرفًا أنانيًا منه.

كانت عاداته من زمن أن يفكر في أي وضع كما يحلو له وأن يتقبله بلا مبالاة. فربما تصبح الأجواء غريبة من حوله لأنه أخذ مزاح الآخرين بجدية، كما أنه سبق ووصف بأنه متعنت لأنه لم يفهم تعبيرًا مجازيًا. شعر باليأس أمام لا مبالاته وسلوكه السيئ حتى مع المرأة التي يحب.

فكر عشرات المرات في سبب هجر هيه-ري له. حاول بقدر استطاعته أن يتذكر كل ما قالته وفعلته قبل أن تتركه، وحاول أن يضيف المعاني لكل تعبير من وجهها ولكل حركة قامت بها. لماذا تركته، وإلى أين اختفت، وإذا كانت تعتزم هجره فلماذا أحبته، وهل أحبته بالفعل...؟

من بين كل الأسئلة، كان أكثر ما يلح عليه هو لماذا تركته دون أن تقول كلمة واحدة. فهي لم تكن بالفتاة الضعيفة التي قد تتردد في إبلاغه بقرارها بالانفصال وجهاً لوجه. كما أنها لم تكن بالشخصية التي قد تخاف من أن يتعلق بها معترفًا بأنه أخطأ ويطلب عفوها.

هل اعتقدت إذاً أن إبلاغه بقرارها بالانفصال كثيرًا عليه؟ أم أن هجرها له من دون كلمة واحدة كان عقابها على جريمته التي لا رجعة فيها؟ أو ربما لم تستطع في النهاية تخطي فكرة أنه ابن قاتل أختها الكبرى. وهكذا أجابته على سؤاله الذي طرحه يومًا ما: لماذا تحبين ابن الرجل الذي دفع بحياتك إلى مستنقع من الوحل؟

«لقد كنت أعتبر سكان منزل مالكوم عائلتي، لذا

لم أشعر تجاه العم بمنزل مالكوم أو تجاهك بغضب أو كراهية حتى بعد تلك الحادثة. لطالما انتظرت عودتك بمنزل هاورد. ظننت أنك ستأتي بالفعل إذا انتظرت. فقد ماتت عائلتي ولكنك ما زلت حيًا».

أحزنته كلمات هيه-ري ولكنه لم يستطع أن يشعر بالمثل. كان يجب أن تكره قاتل أختها وأن تنسى ابنه ولكنها لم تفعل. بالتأكيد كان هذا نابغا من وحدتها وقد تركت بمفردها ومن حينها إلى الماضي.

كانا يجلسان دائمًا إلى جانب بعضهما يتأملان أشعة شمس ما بعد الظهر ووقت غروبها. أحببت وجوده إلى جانبها، فيما كان هو يستشعر وجودها إلى جانبه كالكلب المخلص. قاما كذلك بتحضير الوجبات البسيطة من أجل بعضهما وتقاسماها معًا.

حقيقة عدم وجودها إلى جانبه جعلت منه إنسانًا ضعيفًا. لم يكن بمجرد فقد عاطفي بسيط، بل كانت له أعراض انسحاب مصحوبة بالآلام جسدية؛ صعوبة في الهضم والنوم، شعور بالوهن يصعب معه القيام بالأعمال اليومية. لم يتمكن لعدة أيام من أن يغسل وجهه، وإذا ما جاع، اكتفى بتجرع علبة من البيرة ولم يعبأ بأن يضيء المصباح إذا ما صار المكان مظلمًا.

ظن أنه يتفهم ألامها عندما كان إلى جانبها، ولكن بدا واضحًا الآن أن كل ذلك كان تهيؤات. بدا أنها كانت تنظر إلى فراغ ما، حتى في اللحظات التي نظرا فيها لبعضهما. شعر أكثر من مرة بأنه مطرود

من حياة تلك الفتاة، حتى في اللحظات التي امن فيها أنهما يحبان بعضهما.

وفي النهاية، هو لم يفهم أي شيء عنها. فليس هناك من بوسعه أن يكسب ذاكرة الآخر، لا أحد على الإطلاق. هذا يشبه تمامًا أن لا أحد يستطيع أن يكتسب الحقيقة.

كان ذلك بعد أن غادر هان-جو منزل هاورد بعام كامل. عربة النقل محملة بستة أو سبعة صناديق لنقل الأمتعة ومعها أربع لوحات لأوفيليا. كانت هذه اللوحات عزاءه الوحيد لتحمل الأم غيبة هيه-ري. فحتى وإن كانت هجرته، ما زال عليه أن يرسمها، وما زالت موجودة تمامًا كأوفيليا بالنسبة له.

انتقل إلى غرفة بالإيجار في بدروم بمبنى متهاك في حي ميونجريون، وعمل في عدة وظائف غير ثابتة؛ عامل طلاء في مواقع البناء، ووظيفة جانبية في مكتب لعمل لوحات الإعلانات... ومن ثم انتقل للعمل بمركز لتعليم الرسم كمدير ومحاضر بالإضافة إلى إعطاء بعض الدروس الخاصة ليتمكن من الصمود يوميًا بيوم. كرر على نفسه كلمات الأمل وكأنها حفريات أثرية بداخله اختفت منذ زمن وسط الأيام المتتالية بلا انتظار.

جاءت مقابلته لسو-إين بعد أن انتقل إلى سيول بثلاثة أشهر. كان سو-إين في بدايات عمله بشركة محاماة. دخل سو-إين إلى غرفة العمل الخاصة به بالبدروم وقد حلق ذقنه الخشن وأنام شعره غير المستوي بشكل أنيق بعد أن دهنه ليعطي انطباعًا

جديدًا عنه.

لم يتقابلا تقريبًا من بعد انتهاء دراستهما بالجامعة. فقد عرفا جيدًا دون أن يصرحا لبعضهما أو يتعهدا على ذلك بأنهما مرآة عاكسة للام الآخر، بأنه لا يجدر بهما أن يتذكرا بعضهما، كي يحميا أنفسهما من ذكريات تعيسة. وحتى إذا تقابلا، كانا ينهيان كأسيهما في صمت ومن ثم يفترقان على عجل.

كانا في المرات القليلة التي يتقابلان فيها يشعران بغرابة كتلك التي يشعر بها المرء عندما يقابل أولاد العم والخال مرة كل عدة أعوام. لديهما الكثير ليقولاه عن الماضي، ولكن لم يستطيعا أن يتفوها به ولم يكن لديهما ما يقولانه عما قد يحدث. كانا شديدًا الحرص على ألا يخرجان أيًا من الكلام الذي يحوم بداخل فميهما إلى خارجهما، حتى إذا تحدثا عن أمر آخر، كان يبذلان قصارى جهدهما لأن يتجنبنا أي نوع من الكلمات والتعابير التي قد تجلب تلك الذكريات. كانا يخافان من حقيقة أن الكلام قد يصبح سلاخًا.

وعلى الرغم من ذلك، لطالما كان يحوم الكلام، سؤال ما بداخل فمه بلا انقطاع. سؤال رغب في أن يسأله لأخيه الأكبر منذ تلك الليلة الصيفية ولكن اضطر أن يبتلعه. سر إذا لم يسأله الآن لن يعرفه للأبد. تجرع كوب السوجو الممتلئ ثم قال:

- لماذا... لا أعرف لماذا ولكن أشعر بأنه كان عليّ أن أقول إنني كنت وحدي ذلك اليوم بالمرسم.

جفل سو-إين كمن احترق بالنار. ما لبث أن استرد

هدوءه في الوقت الذي كان هان-جو يملأ له كوبه
بالسوجو حتى قال:

- ولماذا لم تفعل؟

- أنا... إذا كنت قد فعلت ذلك، لقبض المحققون
عليك واستجوبوك حول أين وماذا كنت تفعل
وقتها.

أطلق سو-إين زفرة طويلة، وكأنه بذلك يبعد
الخزي عن جسده، كأنه بذلك بوسعه أن يتعامل
بسهولة مع المشكلة المعقدة أمامه.

- أردت أن تكون بمأمن.

برزت عروق سميقة بصدغي سو-إين. كان يبذل
قصارى جهده ليبدو كلامه صادقًا، لدرجة باتت
نواياه ظاهرة للناظرين. أجابه هان-جو:

- كنت بمأمن.

- لو لم تقل إنك كنت معي لما كنت بمأمن. كنت
صغيرًا وقتها ولم تفهم الوضع بشكل جيد، لأنك
ارتعدت خوفًا.

صرخ هان-جو به:

- حسنًا. كنت وقتها ساذجًا بالفعل، لذا قمت بفعل
أحمق كهذا.

بدا التعب على سو-إين كأنه كبر عشرة أعوام
فجأة، وبهت وجهه كصبي هرب لتوه من تلك الليلة
الصيفية.

- فعل أحمق؟ وماذا فعلنا؟

- ألا تتذكر؟ لقد كذبنا وقلنا إننا كنا معا وسكتنا عن الأمر لعشرة أعوام.

أدرك هان-جو أنه لم يتمكن من تخطي ذلك الحادث ولو بخطوة واحدة، وأنه أيضًا لن يتمكن من الهرب منه فيما بعد. هز سو-إين كتفيه كأنه استسلم وقال:

- حسنًا. لقد كذبت وجعلتك أنت أيضًا تكذب. ما الذي تريده بطرحك للموضوع مجددًا الآن؟
- أنا... لا بد أن أعرف. أين... أين كنت وماذا كنت تفعل وقتها...

ضغط هان-جو على ذراع سو-إين. أراد أن يصدق أخاه، لأنه أراد أن يصدق أن أخاه لم يستخدمه كدرع ليحمي نفسه.

- حسنًا، لقد كنت هناك. أعني بمنزل العطلات القريب من الخزان. ربما لا تصدقني وربما لا ترغب في ذلك.

بعدها أكمل سو-إين وكأنه يتحدث لنفسه، أو وكأنه كان يهمس لنفسه:

- لقد كانت جي-سو تحبني.

شعر هان-جو كأن مجرفة ضخمة اغترفت من صدره وخلفت وراءها حفرة عميقة لديه. خاف من أن يكون ما قاله أخوه هو الحقيقة، حقيقة أن سو-إين هو من كانت جي-سو تحبه منذ البداية وليس هو، من أنه كان مجرد ضحية من أجل الحصول على حب أخيه البارد. سأله هان-جو مرة

أخرى:

- ولكن لماذا جعلتني أكذب وأقول إنني كنت معك؟

بهت وجه سو-إين. ترى ماذا يخيفه؟ قول الحقيقة؟ أن يعرف أخوه الأصغر الحقيقة؟ أم ألا يصدق أخوه الأصغر؟

- كان علي أن أحميك وقتها.

- لم تكن تحميني وقتها بل كل ما في الأمر أنك كنت تحمي نفسك.

- ربما هذا صحيح... لا، ليس كذلك.

أخذ سو-إين يتفوه بحماقات:

- كانت جي-سو تقف لك كعارضة بالمرسم بعد ظهر ذلك اليوم. هذا يعني أنك آخر من شاهد جي-سو. ظننت أنه إذا قلت إنني كنت معك فلن يشك بنا أحد.

شعر هان-جو بالعجز أمام حديث أخيه الهادئ الذي لم يكتف بأن يخدعه ويستخدمه في كذبه وحسب بل وتصرف وكأن كل هذا الوقت الذي مضى مر بلا مشكلة وأن لا علاقة له بنتائج كذبه. جعد الكوب الورقي الفارغ وأخذ ما تبقى بزجاجة السوجو وتجرعه بالكامل. اختطف سو-إين من يده زجاجة السوجو وقال:

- توقف. أترغب في أن تصبح مثل أمنا؟ أترغب في أن تفسد حياتك بإدمان الكحول؟

لم ينظر هان-جو إلى أخيه. بهتت الصورة

المرسومة على «الكانفس». ترك العنان لدموعه المتجمعة في عينيه وقال:

- هل ... أحببت ... جي-سو أنت أيضًا؟

فكر سو-إين للحظات ثم أمسك كتفي هان-جو بيديه. كانت حركته وإن كانت عنيفة إلا أنها ممزوجة بدفء كأنه متردد:

- هل هذا مهم الآن؟

- ألا يهمك أنت؟

- هان-جو، ليس هناك في هذا العالم ما يشرح الحقائق وليس هناك بالحلول السهلة. ربما لا أكون متأكدًا من كل شيء ولكننا لم نرتكب أي جرم ولم نكن بسذج أو غشماء. هذا كل ما في الأمر.

كان صوت سو-إين جازًا وواثقًا ولكن لم يحمل الإجابة التي رغب في سماعها. كان هناك سؤال آخر يحوم بداخل فم هان-جو، لكنه في النهاية لم يتمكن من أن يخرج ذلك السؤال الذي تجمد والتصق بطرف لسانه.

«هل ... هل قتلت جي-سو يا أخي؟»

أنهى هان-جو أربع عشرة لوحة من سلسلة رسوماته لأوفيليا بعد رحيل هيه-ري. كانت جميعها لوحات إضافية صغيرة مقاسها أقل من 72x91 باستثناء الأربع لوحات التي كانت عارضة بها والتي أنهاها بمنزل هاورد. لم تكن باللوحات العظيمة ليفتح بها معرضًا ولم يكن بوضع يسمح له بذلك ولكنه لم يرغب في أن يتخلى عن معرضه الأول.

سيكون من الرائع إذا تمكن من بيع لوحاته، ولكن سيكون لحسن حظه إذا تمكنت لوحاته فقط من شد أنظار العاملين بالمجال.

تمكن من تأجير معرض بالضواحي لم يمض وقت طويل على افتتاحه بعد أن تم رفضه ثماني مرات. كان معرضاً لمدة أسبوعين على طريقة الاستعارة، وهو ما لم يسمح له بأن يتوقع نتائج متفائلة.

كان عدد زوار المعرض يعد على أصابع اليد ولم يتم بيع ولو لوحة واحدة. كان صاحب المعرض سو إين-مون ذا وجه مستدير وممتلئ ويرتدي نظارة بإطار مستدير. وضع للمعرض عنواناً مريباً باسم «الموت والفتاة».

استمر تعنيف سو إين-مون له طوال فترة المعرض على كل صغيرة وكبيرة بصوت حاد لا يلائم جسده الممتلئ كالدمية الدب. وبعد ظهيرة اليوم الأخير من المعرض، صرخ فيه بصوت ملاء الحماس:

- أمر رائع. لقد ظهر شخص سيأخذ الأربع لوحات لأوفيليا.

انقسمت مشاعره لنصفين ما بين نصف يرغب بتصديقه ونصف لم يصدق ما يقول. أهي مزحة سيئة من سو إين-مون وقد شعر بالشفقة لحاله لأنه لم يبيع ولا لوحة واحدة؟ واصل سو إين-مون حديثه وهو يبتسم:

- لا أعرف أنا أيضاً هوية المشتري، ولكن نظرًا لأنه تجراً واقترب من أعمال رسام مبتدئ فلا بد وأن له نظرة بعيدة في رؤية الأعمال المهمة. لا بد وأنه

شخص غني جدًا أو زوجة رجل ينحدر من عائلة غنية أو رجل أعمال لشركة جديدة ستحقق نجاحًا باهزًا في المستقبل.

رغب هان-جو في أن يُسمع هذا الكلام لهيه-ري. بأنها أثارته وأخرجت منه موهبته المستترة، بأنها أمدته بالخط من خلال حبل سري مخفي. كانت تلك اللوحات تعبيرًا عن أهمية تلك المرأة واعترافًا بحبه لها وقد هجرته. فمن خلال هذه اللوحات كان يعترف بإثمه وحبه ويتوسل لعفوها.

- لا سبيل للموت حتى وإن أحاطك من كل جانب. لا بد وأن تتمسك بهذا الشخص للنهاية. فهذه أساسيات العمل بمجال الفن، أعني الثقة المتبادلة بين الفنان والزبائن.

استمرت ثروة سو إين-مون الذي كان قد حصل على إيجار المعرض ونصيبه من وساطة البيع وذكره كم كان هذا المعرض مخاطرة منه، وكم أن بيع أربع لوحات في معرض بالضواحي أمر عظيم.

- ليست هذه سوى البداية، لنوسع الحجم قليلًا في المعرض الثاني. أتفهمني؟

لم يتمكن هان-جو في تلك اللحظة من أن يبعد عن تفكيره بأن هذه اللحظة قد تكون أعظم اللحظات في حياته على الرغم من حماس سو إين-مون. فهو لن يتمكن من أن يرسم ما قد يفوق «أوفيليا» مرة أخرى، وحتى إن رسمها فهو لن يبيعهها.

كان توقعه في محله. فلم يتمكن من تفادي تأخر العمل على الرغم من إلحاح سو إين-مون. لم

يتمكن من الوصول إلى موضوع أو أسلوب فني جديد، فكانت كل من لوحاته مختلفة في الحجم والموضوع والأسلوب.

وبعد الكثير من المحاولات الفاشلة، تمكن أخيرًا من أن يكمل أربع وعشرين لوحة لعرضها في معرضه الثاني وإن بدت جميعها بأعمال كانت على وشك أن تصبح لوحات ولكن ظلت أعمالاً غير كاملة. فظلت الأعمال التي بدت وكأنها قصاصات مرقعة بلون فوق لون كما هي ولم تُبع حتى نهاية المعرض.

حقيقة عدم وجودها إلى جانبه سلبت كل بريق منه. تعين على هان-جو أن يعود مجددًا إلى طور الرسام المغمور على حافة الفن، وأن يعود لعمله كمحاضر بمراكز تعليم الرسم لطلاب الإعدادي والثانوي لامتحان الالتحاق بكليات الفنون. سيتضور جوعًا أكثر وسيغرق في كآبة أعمق وسيصبح أضعف وأضعف. لم يكن بوسعه معرفة كم قد يستغرق من الوقت ليتخلص من هذه الحياة، أو ربما يسجن بها إلى الأبد.

- عزيزي؟ هذا أنا، هيه-ري. لتقابل يوم السبت. سأخبرك بالأمر عندما نتقابل.

شعر بالصوت القادم من سماعة الهاتف بعيدًا وكأنه قادم من وادٍ جوراسي. وضعت السماعة وأنهت المكالمة بعد أن أطلعتته على الوقت والمكان دون أن تستمع لرده.

جلسا متقابلين في شرفة أحد المقاهي وقد انهمر

عليها أشعة شمس الظهيرة بعطلة نهاية الأسبوع. بدت صبية صغيرة، ربما ذلك بسبب قصة شعرها القصيرة، أقصر مما كانت عليه قبل أن ينفصلا. وأصبح أنفها المنبعج حادًا وخداها فجوفين، أعطت عظام وجنتها البارزة انطباعًا مليئًا بالحيوية. وبرزت الغمازة التي بخديها أكثر كلما اتسعت شفتاها. بدا أنها صارت أطول بثلاثة سنتيمترات، أو ربما بدت كذلك بعد أن فقدت بعض الوزن. ما زالت كالمعتاد واثقة من نفسها وإن بدت أكثر رقة عما سبق.

ارتشفت هيه-ري رشفة من «الاييس كوفي» ومدت له ببطاقة عمل مكتوب عليها باللغة الكورية والإنجليزية بلون وردي.

كيم سو-جين. كونست. مدير المحررين

Sujin Kim. Kunst. Senior Editor

كانت «كونست» مجلة فنية ليس لديها الكثير من المتابعين، لكنها وطدت قدمها بالمجال الفني بفضل نظراتها الثاقبة والمميزة.

- عملت محررة بها منذ السنة الرابعة بالجامعة. اعتبرتها في البداية وظيفة جانبية رديئة لكنني كنت محظوظة بما فيه الكفاية لأصبح محررة رسمية بها فيما بعد.

كانت هيه-ري تكلمه بلا تردد وكأنه حبيبها الذي أوصلها إلى المنزل ليلة البارحة ليلتقيا اليوم مجددًا، تمامًا كما لو أنهما في فيلم يسجل حياتهما اقتطعت منه الأوقات التي افترقا فيها ومن ثم واصل من النقطة التي التقيا بها. إذا فكر بما مر به من الألم

والوحدة التي عاناها بعد رحيلها لشعر بالخيانة. لم يتذكر أيًا من الكلمات التي رغب في أن يقولها إذا قابلها، فقال بمرارة:

- أرى أنك بخير وهذا يسعدني. هذا بالفعل ما رحلت من أجله...

ضحكت هيه-ري بشدة. بدا أنها سعيدة ببساطة لأنهما تقابلا. لم تتحدث عما مضى، ولم تذكر لماذا تركته، كما لو أن أمرا كهذا لم يسبق له أن حدث، فلم تسأله عن كيف كان حاله خلال تلك الفترة، وكانت نبرتها توحى بأن لا حاجة لها لتعرف كيف كانت حياته بعد أن انفصلا.

تحدثت عن المقالات التي كتبتها وعن المقابلات التي قامت بها، وكذلك عن السوق الفني المتذبذب فيما بعد الأوضاع الاقتصادية الصعبة. ثم طلبت منه أن تقوم بمقابلة معه دون حتى أن تسأله ما إذا كان لا يزال يرسم. لم تكن بمقابلة مخطط لها وفقًا لما هو متبع عليه، بل قرار مرتجل ومفاجئ منها.

- ما هذا الهراء؟ أنا لست بمشهور ولا أهلية لي لأقوم بمقابلة.

- أنت عزيزي لا تفتقد الأهلية ولكنك تفتقد إلى الاعتزاز بالنفس. ثق بنفسك، لقد قمت ببيع أربع لوحات في معرضك الأول.

- كان هذا حظًا أصابني لأول ولاحر مرة في حياتي. لقد أخفق معرضي الثاني تمامًا، والآن أكسب قوتي من تدريس مهارات الرسم للطلاب الراغبين في الالتحاق بكليات الفنون أو إصلاح

رسوماتهم. ليس لدي الوقت ولا الرغبة ولا حتى
الأموال لشراء الألوان للرسم.

فكر أنه يخضع بالفعل لمقابلة تقوم بها في هذه
اللحظة. قالت له:

- الرسام يظل فنائاً حتى وإن لم يرسم. هل
يمكنني أن أطلب زجاجة من البيرة؟

نادى هان-جو على النادل وطلب زجاجة بيرة ثم
قال:

- لا داعٍ لأن تفعلني ذلك إذا كنت نادمة على هجري
من دون كلمة واحدة. لقد نسيت الأمر حتى وإن كان
مؤلفاً.

لم تكن تلك الحقيقة، بل كذبة ساذجة يغطي بها
على شعوره بالخزي. لكن ردة فعلها كانت مفاجئة.

- نسيت؟ كيف لك ذلك؟ أنا لم أستطع أن أنساك
ولو لحظة...

أمعنت النظر به وقد علا وجهها علامات التعجب،
وكان هان-جو من هجرها وليست هي. لم يستطع
تصديقها لكن في الوقت نفسه لم يرغب في أن
يجزم بذلك.

وضع النادل زجاجة البيرة التي تتساقط منها
قطرات الماء على الطاولة. أدرك هان-جو وهو
يتحدث أن الأوقات التي قضاها في العمل بمنزل
هاورد وفي أثناء التحضير لمعرضه الأول كانت
ذروة حياته. لم يكن لديه ما يقوله عما أتى بعد ذلك
من سقوط مستمر ولم يرغب كذلك في أن يحكي

تحركا من مكانهما بعد أن تخطت الساعة الثامنة مساءً. خلع عنه سترته ووضعها على قميصها. كان لا يزال هناك الكثير من الكلام ليقولاه.

كانت غرفة عمل هان-جو غرفة إستوديو ما بين البدروم والطابق الأول، أكبر بقليل من ستين متراً مربعاً. هناك مرتبة رفيعة مفرودة على الأرض الأقرب إلى لوح ثلج وليس هناك سوى طاولة قديمة يمكن أن يُطلق عليها أثاث بداخل الغرفة. علا ظهر الكرسي الكثير من الملابس، وهناك أربع زجاجات سوجو مبعثرة أمام باب الحمام. جُمع الأشياء المبعثرة هنا وهناك ودفع بها إلى أسفل الطاولة.

- لا داعٍ لأن ترتب الغرفة. أحب أن تكون مهمة، ذلك يجعلني أشعر أنك لا تقدر على فعل شيء من دوني.

تبادلا الحديث وكأنهما بطلا قصص خيالية افترقا لمائة عام. جاء وقع كلمات هيه-ري عليه حية وكأنها بطة تتلو سطورها بمسرحية ما. اندهش كلاهما لأنهما لم يتغيرا، كما كانا يعتبران ذلك أمراً مسلماً به في الوقت نفسه.

اقتربت منه هيه-ري وقبلت شفثيه. أثار شعرها البارد الذي لامس خده ورقبته رغبته في الحكمة. وفي لحظة ما، اقترب جسدهما من بعضهما كما يحفر المحراث بالأرض الموحلة. الدفء والنعومة، الرقة والقوة. استلقيا إلى جانب بعضهما كالأولاد الذين عادوا لتوهم إلى منزلهم بعد غيبة طويلة.

كانت المقالة التي كتبتها هيه-ري والتي نشرت في عدد شهر أكتوبر لمجلة «كونست» خالية من أي مديح مبالغ أو ثناء لا أساس له، بل على العكس، كانت قائمة على النقد الصريح. فتم تقديمه على أنه فنان توقف عن الرسم بعد افتتاحه لمعرضين. وظهر في المقالة على أنه آخر المتبقين من نوع معرض للانقراض تم اصطفاؤه طبيعياً في النظام البيئي القائم على قانون البقاء للأصلح، وكأنه حيوان عاشب مصاب على وشك أن يفترسه أحد اللواحم. على الرغم من ذلك، لم يفت هيه-ري آخر ما تبقى من طبيعته المفترسة. كانت مقالة محكمة بلا مبالغة أو تقييم متمادٍ.

تلك كانت موهبة هيه-ري؛ القدرة على أن تحصل على ما تريد على الرغم من طبيعتها الباردة لدرجة التحجر. كان يتردد عليها الفنانون، وأصحاب المعارض، وتجار الأعمال الفنية بالتتابع، ودائماً ما تراكم على مكتبها كتالوجات المعارض المختلفة. وقد جذبت نظرتها الفنية المميزة وقدرتها على الدفع بالأعمال بطريقة قوية ثقة رؤسائها الكاملة واهتمام العاملين بالمجال.

أدرك هان-جو بشكل واضح أن تلك المرأة هي التي ستنتشله من مكانه المظلم، وأنه لا يمكنه أن يتركها وأنه يرغب في أن يصبح طوع أمرها. كان فخوراً لدرجة يصعب وصفها بالكلمات بأنه كان خيار تلك المرأة التي يرغب فيها الجميع.

وفي ربيع العام التالي، نقل أمتعته إلى شقة من

غرفتين في مبنى سكني تقطنها هيه-ري؛ حزمة من الألحفة وحقيبتي سفر كبيرتين، وطاولة وبعض الكتب، وعشرين «كانفس» مختلف الأحجام ما بين صغير وكبير.

قاما بطلاء الحائط بلون سماوي. كانا ينظران إلى وجهي بعضهما وقد تطاير الطلاء عليهما ويضحكان بصوت عالٍ. كانت بينهما ألفة أقوى مما بين الأشقاء، مودة تفوق الرغبة الجسدية والشغف الفني، فقد فهم كل منهما وضع الآخر وقد خسر كل منهما شخصاً عزيزاً عليه وكانهما مريضان بالعلة نفسها.

كانا يقضيان اليوم بيومه، وكانهما يخطوان فوق حجر لعبور نهر. عبقت الغرفة الصغيرة والمشرقة التي سكنها بالسعادة والبهجة. وتساقطت أشعة الشمس الحلوة كالفاكهة الاستوائية على شرفة منزلهما. استمعا كل منهما لصوت التنفس المنتظم للآخر ونظر كل منهما لوجه الآخر غير المغسول وأخذا يضحكان مفا. كان يواسي جروحها وكأنه يخط خطأ أسفل الجمل التي لا يفهمها.

لكنه لا يزال فناً مغموراً وقد تقدم في العمر لدرجة أنه بدأ يشعر بفرق الأجيال بينهما. لكن لماذا أحبته هيه-ري؟ إذا كان الزواج تجارة فقيم تستثمر؟ وكانت هي من أجابته:

- هناك شيء خفي بك. لا أعرف إن كان موهبة مستترة أم سر مخفي، لكني سأظهره. حتى وإن اضطررت لشق بطنك.

لم يعرف هان-جو ما الذي بداخله. وإذا كان هناك

شيء بالفعل فهو لم يعرف كيف يخرجه. على الرغم من ذلك، فرد جناحيه أمام المرأة التي يحب لا إرادياً.

- ستقتلين الإوزة التي تبيض لك بيضاً ذهبياً؟ لا تفكري في شق بطني أبداً.

أمعنت هيه-ري النظر إلى عيني هان-جو المجعدتين، وشفتيه المائلتين، ويده التي تلامس «الكانفس». كان قليل الكلام وبطيء الحركة وكثيراً ما ينغلق على أفكاره، لكنه لم يكن بالرجل الأحمق أو الكسول. كان رجلاً بداخله شغف ويعتزم شق صدره وإخراج قلبه. قالت:

- سأستغل كل من يمكنني استغلاله وسأتعاون مع تجار الأعمال الفنية وسأطاولع أمزجة الراغبين في الشراء. ستصبح مشهوراً يا عزيزي وسأجمع أنا عوائد ذلك. ما رأيك؟ ألسنت سعيداً؟

- أنا سعيد. وحتى وإن لم أكن سعيداً فسأبذل الجهد لأصبح كذلك...

- انظر إلى خارج النافذة. لقد تغير البرد الناعم إلى ثلج كثيف.

تعجبت وأسرعت باتجاه الباب. أخذ معطفها المبطن الثقيل على عجل وأسرع خلفها. قفزت هيه-ري على الثلج وكأنها طير يعتزم عدم الوقوع في الشباك. تبعها ووضع على كتفيها المعطف واحتضنها كالشباك. بلل الثلج المتطاير كشدرات النيران وجهها وومضت عيناها ببريق لامع. علت الحمرة أذنيها، وظهرت العروق على صدغيها،

فكانت كتلة من السعادة المشعة التي قد تفقد البصر إذا نظرت لها ولو للحظة.

ظن أن صدره سينفطر من السعادة كقطع الخشب التي تتحمل ضربات الفأس. تحولت الحقيقة البسيطة لوجود تلك المرأة أمام عينيه إلى بهجة عجيبة.

هناك أنواع من الحب لديها القوة لإعادة تشكيل الماضي، والقدرة على استعادة الحياة المدمرة. كان قد نسي السعادة منذ زمن، لم يكن بالإمكان إحياء شكلها ولونها وملمسها بنفسه، ولكن في تلك اللحظة فقط اعتقد أن لديه الأحقية في أن يحصل عليها.

اتصل هان-جو بسو-إين قبل موعد الزواج بأسبوعين. لم تكن نبرة صوت سو-إين توحى بانزعاجه لكنه لم يبذُ فرحًا كذلك. سجل سو-إين موعد ومكان الزفاف الذي أطلعه عليه هان-جو وقال:

- مبارك عليك، سأحضر بالتأكيد. لئن المحادثة فأنا مشغول الآن. هناك ضيف في انتظاري...

كان لدى سو-إين الذي تزوج منذ ثلاثة أعوام طفل يبلغ من العمر عامين ويانتظر قدوم طفله الثاني في ربيع العام التالي. كانت أول مرة يرى فيها هان-جو زوجة أخيه على العشاء في إحدى العطلات الأسبوعية قبيل موعد الزفاف بشهر. كانت تعمل مدرسة للرياضيات في إحدى المدارس الإعدادية بسيول. ارتدت قميصًا أبيض وبنطالًا أسود وكانت قليلة الكلام ونادرًا ما تتغير تعابير وجهها. لم تكن

بالطويلة ولا بالقصيرة، ولم تتزين بأي حلق أو عقد. كانت تلك المرأة التي تجذب النظر لكونها عادية جدًا وخيارًا غير متوقع.

كان قد سأله هان-جو بعدما غادرت زوجة أخيه المكان للحظات:

- أتحبها؟

أجاب سو-إين دون أن يتردد للحظة:

- أحبها. لماذا تسأل؟

- أعتقد أنها مختلفة عن الشكل المثالي للمرأة التي كنت ترغب فيه عندما كنت صغيرًا...

أجاب سو-إين وهو يضحك:

- الشكل المثالي الذي كنت أرغب فيه يظل كذلك فقط. فالمرأة الظاهرة للعين بشكل زائد عن الحد لا تلائمني. لكنني أعتقد أن هذه المرأة تلائمني. ربما لأنني أحبها.

كانت نبرة صوت سو-إين شبيهة بتلك التي حدثه بها وهو يجلس على الكرسي أسفل مظلة متجر البقالة ويميل بكوب السوجو. كان ذلك في اليوم الذي رسب فيه في امتحان المهن القانونية وتخلّى عن حلمه بأن يصبح محاميًا.

- سأكتفي بذلك، فالنجاح في امتحان المهن القانونية طمع زائد عن الحد لشخص مثلي.

- لماذا تقول هذا؟ لم يكن الحظ في صفك ليس إلا. ابدأ مجددًا.

حرك سو-إين رأسه رافضاً لكلام هان-جو وقال:

- أعتقد أنني ذكي؟ أنا أيضاً اعتقدت ذلك. أعتقد أن الحظ لم يكن بصفي عندما رسبت للمرة الأولى وفي المرة الثانية لأنني أكثر من الأعمال الجانبية وفي المرة الثالثة لأن الوقت لم يكن كافياً. لقد قدمت الأعذار في كل مرة، لأنني ذهبت للجيش، ولأنني لا أملك المال... ولكنني أدركت في لحظة ما أن المشكلة كانت في أنا.

شعر هان-جو بالسلام المختلج بالحزن في صوت سو-إين المتحشرج لسكره، لكنه عارضه وقال:

- أي مشكلة في شخص ذكي مثلك يا أخي؟

- كوني شخصاً ذكياً هذا حقيقي، لكنني لست ذكياً بما فيه الكفاية لأصبح محامياً. فلست سوى فتى أجاد الدراسة في مدينة صغيرة.

شعر هان-جو بأن قلبه سينفطر أمام أخيه خائر القوى من الفقر والتعاسة. لم يظهر له أخوه هذا الجانب منه من قبل، ولا مرة واحدة. علا صوت هان-جو وهو يقول:

- ألا تعلم؟ أنت فخر عائلتنا وأملها. وكلنا حلمنا بحلمك نفسه...

- أعلم أعلم لكنني سأتحلى عنه. لم يتبق لدي ما يمكن أن أفعله. توفي والدانا واختفى حلمي...

- ماذا ستفعل الآن إذًا؟

- علي أن أكسب المال. سأعمل بمكتب افتتحه أحد الزملاء الأقدم مني بالجامعة، وإذا لم أوفق في هذا

أو ذاك، سأعمل وسيظا... وإذا اجتهدت، قد أصبح موظفًا إداريًا بأحد مكاتب المحاماة.

عكس صوت سو-إين خائر القوى حلمه الذي أصبح كالخيوط الرفيع. كانت نبرته توحى بأنه لا يكثرث لأن يصبح محاميا وأنه سيكون راضيا فقط إذا تمكن من أن يحيا حياة عادية. تألم هان-جو لحلم أخيه المتلاشي، لكنه كان شاكرًا فقد ظن أن أخاه وجد سلامه الداخلي. تمنى هان-جو بصدق أن يتمكن أخوه الأكبر - الذي لم يكن بوسعه التخلص من كونه ابن قاتل، وابن مدمنة على الكحول - من أن ينال سعادة عادية كزوج لامرأة ما.

جمع سو-إين المال بعزم وإصرار بعد أن أصبح يعمل موظفًا إداريًا في مكتب محاماة. كان عمله يشمل مساعدة المحامين بمقابلة العملاء وكتابة العرائض وكذلك جذب العملاء، ولم يتردد في القيام بما هو غير قانوني بإنهاء القضايا بدلًا من المحامين. تسببت قدرته في إنهاء القضايا بطرق غير قانونية أو بالتهرب من القانون في طرده من عمله لثلاث مرات، ولكن في كل مرة كان يجد عملاً جديدًا أفضل مما قبله. لحسن حظه، تمكن من اللوذ بالفرار من دخول السجن في مرتين لخرقه قانون المحاماة وبتهمة النصب. لم يختلف عن المحامين في شيء سوى عدم حصوله على شهادة مزاولة المهنة.

لم يتعرف أحد عليه كابن القاتل الذي أثار جدل الكثيرين منذ فترة طويلة. وحتى إن كان هناك من تعرف عليه، لم يكن ليجرؤ على قول ذلك. وحتى

وإن تجرأ على ذلك فلم يكن ليعبأ بهذا.

كانت اللوحات الأربعة لأوفيليا معلقة على حائط المعرض الذي أصبح فارغاً بعد أن اختلطت مواعيد العرض. ارتدت هيه-ري فستاناً أبيض بلا أكمام مثل الذي ترتديه السيدات للذهاب إلى معرض أو حفل بدلاً من أن ترتدي فستان زفاف. وارتدى هان-جو حلة سوداء جديدة اشتراها وربطة عنق على شكل فراشة. تجمع الحضور في الصالة في هدوء مثل سمك الشبوط الذهبي بحوض السمك.

كانت رئيسة مجلة «كونست» تشوي إين-يونج سيدة في منتصف الأربعينيات ترتدي نظارة بإطار أسود عريض. ربما تبدو باردة للوهلة الأولى ولكن كان هناك دفء يفيض من تجاعيد عينيها المتدليتين قليلاً. وبدا من خصلات شعرها الفضي المتناثرة هنا وهناك ثقة في أنها لا تخاف التقدم في السن وأنها لا تعبأ إن كُشف عمرها. كانت قادرة على جذب الأنظار إليها وعلى أن تسيطر على المكان في لحظة بحركاتها اللبقة.

- لوحة مدهشة. أن أقول هذا لعريس جديد... أمر قد يكون من غير اللائق ولكني عاجزة عن الفهم. أليست هناك لوحات أخرى جيدة بعد رسمك لمثل هذه اللوحة، هل فترت موهبتك؟

مسحت بنظرها لوحة «أوفيليا: الخريف» بدقة ثم استدارت إلى هان-جو وابتسمت له. لم يعرف ما إذا كانت تمدحه أم تنتقده لكنه لم يجد أي نوايا سيئة بتعابير وجهها. شعر بأن لديها القدرة على توجيه

النقد اللاذع دون أن تزعج الآخر. كانت لديها تلك الابتسامة المتحفظة المنمقة والسلطة المحكمة واللتين تراهما كثيرًا في الأشخاص الناجحين.

- لا بأس. سوف يرسم الآن. سأجعله يفعل ذلك.

قالتها سو-جين وهي تمضغ ساليزون بالجبن بصوت عالٍ. بدا له أنها تعنفه أو ربما تواسيه. إدارات إين-يونج وجهها إلى اللوحة وقد بدت كالطفل المستسلم وهي تستمع لعتاب سو-جين. كانت الأجواء المحيطة مع حديثهما وتعايير وجهيهما وهما تتشاحنان تشبه تلك التي بين مشاحنات الأُحبة. شعر هان-جو بالفخر تجاه هيه-ري، ليس فقط لأنها دافعت عنه أمام إين-يونج بل أيضًا لأنه كان لديه الثقة بأنها ستغيره لشخص أقوى. قالت إين-يونج:

- هذا هو إذًا. ما أريده هو عمل ماهر وفنان موهوب، وبذلك نصنع التاريخ. عليك أن تصنعي من زوجك فنانًا وهو سيصنع أعمالًا، وسأجعل تلك الأعمال أكثر إبهازًا فيصنع هو أعمالًا أعظم...

نظرت المرأتان لبعضهما وضحكتا. فقد كانت إين-يونج كلبوة في المجال الفني الذي يحكمه رأس المال وقوة التأثير وبعده النظر وحس المخاطرة. كانت لديها القدرة والمهارة التي مكنتها من اكتشاف فنانيين يعرفهم الجميع الآن. هل سيكون بإمكانه أن يضيف اسمه لهذه القائمة؟

أخذ هان-جو نفسًا عميقًا. لقد حان الوقت ليعلن الحرب على القدر، فهو ليس وحده الآن.

لديه زوجته، وسيواسي كل منهما ماضي الآخر
وسيراكمان تجارب الحياة معًا. وسيرسم، سيرسم
لوحات تثير أمواجًا من الألوان المختلفة وتهيج
المشاعر، لوحات تصبغ أعين الناظر بالألوان التي
ينظر إليها، لوحات كالمرايا تعكس نفسًا بداخل
الواقف أمام اللوحة لم يكن يعرفها.

أراد هان-جو أن يعلن ذلك للعالم أجمع. انظروا، لقد
فلت. لقد تخلصت من حادث القتل المأساوي وحزن
فقد كل من هو عزيز ومن خزي أنني ابن قاتل.

قالت هيه-ري بتصميم كتصميم قسطنطين العظيم
عندما عزم نقل العاصمة إلى القسطنطينية:

- لنعد إلى منزل هاورد. أرغب في العودة إلى هناك
والعيش بسعادة كالماضي. وسترسم أنت مجددًا
كذلك...

كان لديها كل الحق لقول ذلك. فوفقًا لشروط
الاستئمان، آل منزل هاورد إليها بعد أن أصبحت
بالغة.

كان المعنى الخفي من قرارها واضحًا، فقد كان
هان-جو في حاجة إلى دافع بعد فشل معرضه
الثاني وقد وقع في ركود مهني. قبل هان-جو بشكل
تلقائي قرارها، بحكم الواجب المفروض عليه بقبول
كل ما ترغب فيه هيه-ري، وكأنه أمر يقوم به من
أجلها وليس من أجل نفسه.

عادا إلى منزل هاورد كما يعود الابن الضال إلى
بيت والده. ركنا السيارة في الحديقة المتهالكة، وما
إن نزلا منها حتى حكّت الحشائش النامية بطول

ركبهما. كانت الطحالب قد كست القرميد المهيّب والحوائط الضخمة المتهاكّة، وانتشر البعوض والحشرات المزعجة من حولهما، على الرغم من أن الوقت كان لا يزال في منتصف الظهيرة.

صرفت هيه-ري على إصلاح المنزل والمبنى الملحوق به كل ما حصلت عليه من مبلغ تأمين الشقة بسيول. وبعد ثلاثين يومًا على التوالي من أعمال الإصلاح، أظهر القرميد الأسود والحوائط البيضاء المحاطين بالخضار المتلألئ جمالهم البسيط. أصبح المبنى المنفصل - وقد أزيل منه الطابق الأول وتم ضمه مع طابق البدروم - مشرفًا بفضل أشعة الشمس القادمة من النوافذ الطويلة وصار بإمكانه القيام بأعمال ضخمة به بفضل سقفه المرتفع.

لأهمها منزل هاورد تمامًا كحلة صنعها أفضل الخياطين بجد. شعر بأنه سيسترد إمكاناته المعطوبة كما استرد المنزل العتيق صلابته، وبدأ أنه سيتمكن من رسم أي شيء في هذا المكان.

ولكن كان هناك فرق بين اعتقاده بأنه سيتمكن من الرسم وفعل الرسم نفسه. وعلى عكس ما كانت تفعله ثقة هيه-ري به بالدفع بقدراته إلى أعلى، أخذ القلق يقتص منه يومًا بعد يوم. كما افتقر الناس للصبر، فقد أوقفه العملاء، والنقاد، وجامعو الأعمال الفنية من قبل أن يدرك لحظة وقوفه. فلم يكن سوى فنان التفت الناس لحظة ليروا أعماله ثم أداروا له ظهورهم، فأصبح ليس أكثر من مجرد رجل نضبت قواه الجسدية وكذلك النفسية. وخلال ذلك

الوقت، جذبت لوحات الفنانين الجدد أنظار العملاء. ملاً الفراغ مرسمه الفارغ بعد خروج زوجته إلى العمل. كان يشك في قدرته على الرسم، ولم يصدق أن لديه الموهبة لذلك. كذلك لم تكن هناك أي أخبار عن أخيه بعد، وحقيقة أنهما يحبان بعضهما أصبحت ضبابية في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى لم يثق في أنهما يحبان بعضهما على الإطلاق.

انهار هان-جو قبل أن يتمكن حتى من التنعم بالكرم الذي بالكاد من عليه القدر به. كان يتعهد لنفسه بأنه لن يفعل ذلك ولكن ما إن ينقضي الصباح حتى يبحث عن زجاجات الخمر. لم يعد فناناً وأصبح ليس أكثر من سكير. لم يكن الخمر حلاً لمشكلته بل وسيلة لينساها، فكانت طريقته المثلى لحياة مزرية، بل طريقته للموت. وقد كان شاكرًا لتوقف رأس والدته عن العمل قبل أن يفسد بقسوة أكثر عندما توفيت في دار الرعاية بعد أن أصيبت بخرف الكحول.

أخفى هان-جو زجاجات الخمر عند اقتراب موعد عودة زوجته من العمل، وأخذ يعيد طلاء «الكانفس» أمامه دون أي هدف أو توقع.

- كل شيء مقلوب رأسًا على عقب. لا يمكنني أن أرسم أي شيء، ولا أرغب في رسم أي شيء.

صارت عيناه ضبابيتين وقد طاله السكر، وارتعش صوته الممتلئ بكرهه لذاته، لكن هيه-ري لم تكن كذلك. فقد وثقت بهان-جو الفنان وإن لم تثق بهان-جو الإنسان. اعتبرت عدم قدرته وكسله ورضاه

عن ذاته ونزواته جزءًا من طبيعة موهبته.

- ما زلت ترسم كالمعتاد يا عزيزي. أيا كان ما ترسمه، هناك شيء على «الكانفس»، أليس كذلك؟ انظر إلى هذه الألوان وهذا الملمس! إنه مزيج لا يمكن الحصول عليه من دون يأس وألم.

كان هان-جو يشعر بأنه سيصبح شخصًا آخر إذا استمع إلى كلام هيه-ري، كأنه لم تكن هناك لحظة واحدة لم يكن فيها فنانًا عبقريًا يدهش العالم منذ أن وُلد. لم يترك الفرشاة من يده حتى وإن غرق في السكر، فكان بإمكانه الرسم ما دامت هيه-ري تنتظره. بإمكانه ألا يفقد الشغف للرسم حتى وإن لم يستطع الرسم. ضرب بفرشاته في عمق الليل المظلم وحتى تخلل ضوء الفجر السماء. وما إن تبيض النافذة أمامه حتى يفرد جسمه كالسكين إلى جانبها ويفرق في النوم.

راودته فكرة النحت على طبقات الألوان السميقة المطلية فوق بعضها صدفة. فبدلاً من طريقة الرسم التقليدية بطلاء الألوان على «الكانفس»، كانت طريقته تتمثل في طلاء لوح خشبي بسمك كبير وكشط طبقات الألوان بأداة حادة ومن ثم استخدام السنفرة لإبراز الألوان في طبقات. كانت مراحل العمل تتم بأن يأخذ صورًا لتوزيع الألوان في كل طبقة وأن يقارن الصور مع اللوحة أمامه بشكل مفصل ثم يحفر ويكشط.

كان العمل النهائي عبارة عن شكل متجانس ما بين ثقوب مسمارية وأمواج. ومن ناحية التأثير

استحضرت لوحاته تقنية التنقيطية الذي استخدمه سورا ومن ناحية الأسلوب بدت مشابهة للكتابات المسمارية لبلاد الرافدين. برزت الألوان المتبلورة من وسط الشقوق الموجودة في الطبقة الخارجية كالندوب، تتيح الفرصة للتفسيرات المتعددة والمختلفة، وذكرت من يرونها بشيء ما محدد ومفصل. قالت له هيه-ري وهي تهز رأسها على أنغام سوناتا البيانو للموسيقي برامس:

- لا بد وأن نضع اسقا للوحة، اسقا يتذكره أي شخص من الوهلة الأولى. كما تعلم... تعرف أن الناس يحبون أن يضعوا الشروط لكل شيء.

فسألها هان-جو بوجه قاطب:

- أهناك داع لذلك؟

- ما رأيك بلوحات مسمارية؟ ألا تخطر ببالك الكتابات المسمارية للسومريين والتي كانت تُنقش على ألواح طينية؟

- ليست بسيئة.

- انتظر وسترى. سيدعوك الناس يا عزيزي فيما بعد بجهذ اللوحات المسمارية.

كان صوتها هادئا ومتفاخزا في الوقت نفسه، في حين أحاطته هو سعادة مثيرة، فأخذ يقبل جبهتها. شعر أنه أصبح مؤهلا لأن يوفر لها حياة أفضل.

اختيرت أربع عشرة لوحة مسمارية للعرض في معرض «اللوحات المسمارية» الذي سيفتح في «جاليري كونست» في خريف العام التالي.

كانت هناك سلسلة لأربع لوحات يفوق مقاسها 130.3×162.2 سنتيمترًا، أعمال طموحة أعاد فيها تشكيل منزل هاورد من زوايا مختلفة باستخدام أسلوب توزيع الحفر المسمارية غير المتبلورة.

كان «جاليري كونست» مبنى إسمنتيًا مقسّمًا ذا هيكل حاد لدرجة تشعرك بجفائه. سقفه العالي الذي يفوق الأربعة أمتار يعطي إحساسًا بالضخامة، في حين قُسمت صالات العرض الثلاثة به بنعومة على شكل حرف S. علقت هيه-ري اللوحات على «الكونكريت» العاري بدلًا من طلائه أو تثبيت عوارض خشبية عليه، فظهرت ألوان اللوحات بشكل أكثر بروزًا بفضل شكل «الكونكريت» الخشن.

تلقت اللوحات الكثير من الثناء لأسلوبها في إبراز الألوان بكشط الألوان المطلية في طبقات وكذلك لموضوعاتها التي تستدعي الوقت والذاكرة. كان ذلك نتيجة تفوق التوقعات ويرجع الفضل فيها إلى تأثير مجلة «كونست» ومهارات هيه-ري. لكن في الوقت نفسه لم تخلُ من النقد الشديد لكون اللوحات المسمارية أقل من المستوى من الناحية الجمالية وكذلك من ناحية الأسلوب.

كتب أحد النقاد أن أسلوب اللوحات المسمارية ليس سوى نسخ مكرر غير متقن للتعبيرية التجريدية التي مضى رواجها منذ زمن. فقالت هيه-ري لهان-جو الذي ثبتت عزمته إنه من الأفضل أن تُنشر عنه المقالات السيئة بدلًا من الأ

ينشر عنه أي شيء على الإطلاق.

- انتظر وسترى. ستجاهد وتنجو مثل سمك لوتش في بركة أطلق بها سمك السلور.

اقتنع هان-جو بما قالته سواء كان حقيقة أم لا. فما هو جديد كمفهوم يتم تفسيره أكثر مما يتم تقديمه، والتعبيرية التجريدية ليس جديدة في حد ذاتها بل لم يعد ينظر إليها بشكل جديد، وهناك كان طريقه الجديد.

بيعت لوحة «هاورد هاوس 2» التي وصل مقاسها إلى 181.3×227.3 سنتيمترًا بعد أربعة أيام. وانتشرت الشائعات بأن من اشتراها أحد رؤساء مجموعات الأعمال الكبيرة، فجذبت أنظار الهواة أكثر. ومن بعدها مباشرة بيعت لوحتا «هاورد هاوس» وجاءه ثلاث طلبات للوحات ضخمة لم يرسمها بعد.

- لقد ارتكبت خطأ.

قالتها بعد انتهاء المعرض بأسبوعين وكأنها تذكرت شيئًا فجأة.

- أي خطأ؟

- كان يجب أن أسفر أعمالك يا عزيزي بسعر أعلى... ظننت أنك فنان بارع لكنك لست كذلك. فأنت يا عزيزي ستصبح فنانًا عظيمًا.

كانت رائحة زوجته حلوة كتلك التي بعصير فاكهة غصرت لتوها. أخذت زوجته تضحك في مرح وهي تنبرم بحديث عن ضرورة إلحاق مساعد له يتولى

اتبع هان-جو نصيحتها وبدأ في توسيع حجم أعماله بتعميق أسلوب وموضوعات «اللوحات المسمارية». وفي الوقت الذي انخرط فيه في العمل، قامت هيه-ري بالتحضير للمعرض القادم الذي سيفتتح بعد عامين. أرسلت الدعوات إلى من تم اختيارهم بعناية من قائمة متابعي مجلة «كونست»، وكبار المنتجين السينمائيين، ورجال الأعمال من أصحاب السيولة الميسرة، ومحبي الفن. فلم تكتف بدعوة العاملين بالمجال الفني فقط بل دعت كذلك البارزين في مجال صناعة الأفلام وصيحات الموضة وعملت على إبراز أعماله لكل منهم حسب اهتماماته.

بيعت أعماله بضعف السعر الذي بيعت به في المعرض السابق. كان من المقرر تعليق الأربع لوحات الضخمة التي بيعت مسبقًا لأحد فروع الشركات الكبرى في صالة استقبال المبنى الجديد قيد الإنشاء.

وعندما جاءه عرض بالظهور في برنامج تسجيل رحلات الفنانين من إحدى المحطات التلفزيونية، وافقت هيه-ري دون أخذ رأيه. شجعتة على ذلك وقد كان مندهشًا من الأمر، قالت له إن فنان هذا العصر الحقيقي هو من يتحاور مع العامة وليس من يبدع الأعمال الفنية.

جلبت له أنشطته التلفزيونية شهرة واسعة ذات مستوى مختلف عن نجاحه كفنان. فقد عرف من

لم يكن لهم اهتمام بالفن من هو لي هان-جو. كما تسارع الشباب غير المهتم بالفن لشراء أعماله الفنية المطبوعة وأبدع أحد مصممي الأزياء بإبداع تصميم مستوحى من الألوان بلوحاته. واستقطبته إحدى كليات الفنون للعمل كأستاذ بها. تهافت عليه صانعو المحتوى وأصحاب المعارض واحتشد حوله جموع من الصحفيين ومخرجي البرامج التليفزيونية والطلاب. أعترف بموهبته وأعطيت ما تستحق من مقابل وأصبح معروفًا لدى العامة جميعًا.

كان سوق الأعمال الفنية الذي يسيطر عليه المفهوم التجاري سرابًا جميلًا يحكمه المال والطموح. النقد اللاذع حول العمل الواحد ودفاع الفنانين المكرر عن أعمالهم، أسعار الأعمال الصاعدة والهابطة كسوق تداول الأسهم، حملات البيع الكمي الهجومية وصناعة النجوم...

على قدر رغبته في الهروب من هذا النظام الطبيعي الأجوف، كان هان-جو يرغب في البقاء به. لذلك دأب على حضور الحفلات التي لم تزق له. كان أغلبها جلسات لشرب الخمر طغى عليها الفخر الذاتي الخفي أو المعلن، أو المبالغة في إبراز كبرياء مصحوب بالتواضع.

وبمجرد أن عاد إلى المنزل، شعر بألم يكتسح جسمه وكأنه تلقى ضربات عنيفة، على الرغم من أنه لم يفعل شيئًا. لم يفارق أذنيه أي من الأصوات التي سمعها؛ أصوات الكؤوس المتخبطة، وأصوات الأحاديث الهامسة... تذكر حديث هامسا قاله أحد

جامعي الأعمال الفنية في الأربعينات من عمره
لكبير صناع المحتوى بأحد المعارض الفنية الضخمة
وهو يتحسس كأس الشامبانيا خاصته في إحدى
الحفلات.

- كيف لهما أن يعيشا معا من دون مشكلات وهما
لا يليقان ببعضهما؟ أيجدر أن نعتبر ذلك مزيجا من
رأس المال والموهبة الفنية؟

أجابه صانع المحتوى بشيء ما لم يسمعه، فقال
جامع الأعمال الفنية:

- هناك كلام حول أن كيم سو-جين والرئيسة
تشوي بينهما علاقة مما تعرفه. صدق أو لا تصدق،
هناك إشاعة تقول إنها عشيقتهما.

- من يصدق مثل هذا الحديث؟ ولكن المؤكد هو
أن الأعمال المسمارية مزيج يجمع بين قوة تأثير
الرئيسة تشوي ومهارات كيم سو-جين وموهبة لي
هان-جو.

فك ربطة عنقه ودفع بها بجيبه وغادر المكان
هاربا. لم تكن تلك المرة الأولى التي يسمع فيها
الأصوات الهامسة الخسيسة حول زوجته. تلك
اللحظات التي تتغير فيها أجواء الغرفة ما إن
يدخلها والتي يشعر فيها الناس الذين كانوا
مشغولين بأحاديث شيقة بعدم الراحة ما إن يلقوا
التحية عليه.

- يتهامس الناس عنا لأنهم يحسدوننا. فهم
يصطنعون الأحاديث ويضخمونها، فلتتركهم يفعلوا
ذلك. الحقيقة في النهاية هي أنه ليس هناك من لديه

موهبتك وأنه لا يمكن لأحد أن يحبك بقدر ما أحبك.
بدأت هيه-ري كمعلمة في المدرسة الابتدائية
توآسي طفلاً يتعرض للتنمر. تذكر هان-جو
راستينياك وجوليان سوريل؛ أبطال الروايات
الفرنسية. شابان أحققا انتهى أمرهما بعد أن جريا
وراء النجاح تحت رعاية الأرملة الغنية. قرر أن
يتجاهل النعوت غير اللطيفة بأنه «سندريلا الرجل».
فعلى أي حال، تلك كانت الحقيقة.

جلسا في صباح يوم السبت على كرسي الحديقة
جنباً إلى جنب. بسط أمامهما جريدة أسبوعية
اشترتها هيه-ري من كشك الصحف. نظر هان-جو
بعينين حائرتين إلى صورته باللقاء التي نشرت
بالجريدة، شعره الأشعث وشفته الملتويتان.
تذكر المقالة الرئيسية بالصفحة الأولى للجريدة
الصباحية لليوم التالي بعد إلقاء القبض على والده.
كانت هناك صورة لرجل أسفل العنوان المكتوب
بالخط العريض «إلقاء القبض على قاتل الطالبة».
الشعر الأشعث المتشابك، ومقلتا العين المتورمتان،
الشفتان المطبقتان بشدة، والعيان الناظرتان إلى
الأمام، وجه القاتل القلق وقد بدأت عليه محاولاته
للتماسك.

شعر بغرابة نحو صورة والده التي يراها خارج
المنزل. كان بالمقال مزيج من الحقائق التي يعرفها
هان-جو والتي لا يعرفها، كالقبض على المجرم في
قضية قتل الطالبة بمجرى بوريم، وأن المجرم هو
لي جين-مان مسؤول الصيانة بمدرسة هيميل، وأن

المجرم سبق وقضى عامًا ونصف العام في السجن لخرقه قانون استخدام العنف، وأنه تم العثور على العديد من صور الضحية في غرفة العمل الخاصة بالمجرم، وأن الشرطة تبحث عن الدافع وراء قتل الضحية... لم يعرف أيًا من هذا الحقيقة وأيًا منه كذب ولكن كان للصحف قوة تجعلك تصدق أي شيء حتى وإن كان كذبًا.

سأل هان-جو أخاه الأكبر وهو يحملق بالخارج ساهيًا:

- الكلام حول أن والدنا قضى فترة في السجن من قبل أن نولد... هل سمعته من قبل؟

أجابه سو-إين بلا اكترات بهزة من رأسه، فسأله هان-جو مجددًا:

- هل هذا حقيقي؟ وإن لم يكن كذلك فهل يعني هذا أن والدنا كذب علينا؟

- ليس كذبًا. هو فقط لم يخبرنا، أليس كذلك؟

- بل كذب، فهو لم يخبرنا بكل شيء. بعض ما سكت عنه...

حاول تذكر ما قاله بعد ذلك، لكن هيه-ري جذبت كتفه. لم يستطع أن يجد أي أثر للظل على وجهها في تلك اللحظة. قالت هيه-ري:

- صورة اللقاء جيدة. لم تظهر فقط بهيئة حسنة بل بدوت فنائًا بلا شك.

أضفت عليه الصورة التي كان ينظر فيها إلى الأمام بشكل غير مباشر مظهر الرجل الذي لم يكن بحاجة

للحظ الجيد، لذا بدا كالخارج عن كل ما هو معتاد في عصره، أو بالأحرى كفر د وحيد بعيد عن قوانين العالم. شعر بغرابة وخجل من صورته التي في الجريدة.

- ابدو غاويًا، وطفوليًا كذلك. هذا ليس أنا، بل ما يرغب أن يراه الآخرين في.

- وماذا في ذلك؟ نحن في عصر تحدد فيه صورتك حقيقتك، أليس كذلك؟ هناك ما يجذب الآخرون إليك. أيمكن أن نقول إنك عصري بعض الشيء؟ أو إنك مواكب للعصر؟ ذوق الناس هذه الأيام يميل إلى الأشخاص الذين يحافظون على المسافات بينهم وبين الآخرين وفي الوقت نفسه لا يفقدون كيانهم.

قربت هيه-ري الصورة من شفيتها وقبلتها. بدا أن شخصيته في الواقع ليست سوى قشرة وأنها تحب أكثر الصورة التي بذلت الكثير من قدراتها ووقتها لتخلقها. ثار بنفسه الفضول لمعرفة ما إذا كانت زوجته تحاول إثارة الخزي بنفسه. قالت:

- بالمناسبة يا عزيزي، لا بد وأن تفقد بعض الوزن. عليك أن تعيش طويلًا بسعادة كبيكاسو.

كان بالفعل قد ازداد حجمه بشكل ملحوظ خلال الأشهر الماضية. فاستدار ذقنه الحاد وأخذت أطراف قميصه في التوسع شيئًا فشيئًا. كان يحاول أن يواسي نفسه بأنه لا يزال كما لو أنه في الثلاثينات من العمر ولكن دائمًا ما توتره حقيقة أنه تخطى الأربعين.

أجابها هان-جو وهو يزيل بواقى العشب عن ظهر روسكو الذي أخذ يتدحرج دون اهتمام على العشب أمامهم.

- يبدو أنك تقولين إنني أصبحت عجوزًا.

- أقول فقط إنك لم تعد شابًا.

برزت الغمازات بالقرب من شفتي هيه-ري. كان فخورًا وقلقًا من زوجته الناجحة البارزة كالجمعة البيضاء بين رؤساء المعارض الكبرى وصناع المحتوى، وتجار الأعمال الفنية، وكذلك جامعيتها ذوي النظرات الثاقبة. فقد كان كثيرًا ما ينتابه القلق بأنها قد تهجره يومًا ما فجأة كما فعلت في السابق.

ماذا لو كان لديهما طفل؟ كان يسأل نفسه هذا السؤال دائمًا في الأوقات التي بها منحنيات قد تغير حياته وحينما يحين موعد اتخاذ قرارات هامة. كان بذلك فقط يمكنه اختيار الطريق الصحيح، كما كان يمكنه ذلك من تبرير قراراته. ربما قد يكون أقل قلقًا إذا كان لديهما طفل ولكن سيصبح أكثر تشوشًا. لن يفكر فيما يشغل باله الآن ولكن لا بد وأن يظهر له ما يقلقه أكثر فيما بعد.

لم يرزقا بطفل حتى بعد مرور ثلاثة أعوام من زواجهما. وعلى الرغم من ذلك لم يقوما بأي محاولات متعمدة من أجل الحمل. فقد كانا يفكران أنهما سيتمكنان من أن يحصلوا على طفل في وقت قد يرغبان فيه بذلك. الطفل موجود بالفعل في مخيلتهما، وفي أحاديثهما، وفي حبهما. رغبًا في معرفة ما إذا كان سيصبح صبيًا أم فتاة، ومن

سيشبه منهما، وفكرا في تمنع بم سيسميانه، وماذا سيهديانه في عيد ميلاده، وهل سيكون موهوبًا في الرسم أم لا، وهل سيمنعانه أم يتركانه إذا رغب في أن يصبح رسامًا.

قررنا أن يتعاملا كطفلين لكل منهما بدلًا من الشعور بالخواء. ولذلك كانا يتصرفان بصبيانية أمام بعضهما ويطلب كل منهما الآخر بمطالب سخيقة فيواسيان بعضهما ويرضيان نفسيهما.

لم تخل الفرص أمامه تمامًا من أن يصبح أبًا. فقد أبلغته هيه-ري بحملها في هدوء في أثناء قضائهما لإجازة الصيف في إحدى جزر تايلاند خلال العام الثالث من زواجهما. كيف تمكنت من أن تخبره بشيء مهم هكذا دون اكتراث...؟ لم يتوقع منها غريزة أمومة قوية ولكن أحزنه عدم مبالاتها.

كان يحبها ويبجلها كالسيدة مريم العذراء طوال فترة الحمل. ولكن بعد ستة أشهر، ترك الطفل جسدها وغادر. ترك شعور الفقد لخسارته ذلك الطفل الذي لم يره فراغًا عميقًا في قلبه. سمع صوت بكاء الطفل الذي لم يولد في أعماق صدره. قال لها وهو يحاول أن يصرف آلامه:

- يمكننا أن نحصل على طفل مرة أخرى.

فأجابته:

- لا. لن يمكننا ذلك.

ومنذ ذلك الحين، كرر هان-جو السؤال نفسه في كل لحظات الحياة. ماذا لو كان ذلك الطفل حيًا؟

ربما كان قد بدأ الكلام وأخذ يحبو ولعاد إلى المنزل وقد جرحت ركبته في أثناء لعب كرة القدم وكان سيذهب إلى المدرسة الابتدائية. ولكن ذلك الطفل لم يبق إلى جواره. وفي اليوم الذي أدرك فيه تلك الحقيقة، قال لها بصوت حازم كجندي في طريقه إلى ساحة القتال:

- لا بد وأن أرسوم. لوحات أفضل. لوحات أروع.

- تفكير جيد. تفكير ضروري كذلك.

ألقى رقبتة على وجهها الرطب كأنها غسلته لتوها. تشابكت منحنيات وجهيهما معًا كما لو أنهما قطعتان من أحجيات الصور المقطعة.

- لا أهتم إن لم تصبح بيكاسو. فقط كن نفسك يا عزيزي.

شعر بأنها قررت أن تجعل حياته أكثر أعمالها نجاحًا. وقد كان طموحها الصريح بأنها بإمكانها أن تلوث يديها من أجل النجاح، منبع طاقتها الجامحة. قدمت هيه-ري استقالتها في ذلك الوقت تقريبًا. أثارت استقالتها المفاجئة وقد كانت الأكثر شغفًا بعملها الشائعات المختلفة داخل وخارج المجلة.

- هناك الكثير من الكلام عنك. يقولون إنك قد تلقيت دعماً من رجل أعمال لإدارة مشروع كبير وهناك أقوال أخرى بأنك ستتفرغين لإدارة أعمال.

كان سؤالاً يحمل في طياته استياء لتركها العمل من دون استشارته ولو بكلمة واحدة وكذلك راوده الفضول عن خططها لما بعد. هزت هيه-ري رأسها

وقالت:

- لا أعرف لماذا هذا الاهتمام الكبير بحياة الآخرين... إذا عاشوا حياتهم بجد هكذا لجمعوا المال وأصبحوا أغنياء.

أخبرها مرة أخرى:

- أنا أيضًا ينتابني الفضول لأعرف.

لمعت عينا هيه-ري كطفل يحضر لحفلة مفاجئة
وقالت:

- أعتقد أن الوقت قد حان لأقوم بما أرغب فيه.
هناك ما علي أن أفعله كذلك...

لم يسألها هان-جو عن ذلك أكثر، فقد كان واثقًا أنه أيا كان ذلك الشيء، فإن زوجته ستبرز فيه أفكارها ومواهبها. كان لديها حس عالٍ لإدراك الفن ولديها كذلك بعد النظر القوي الذي تتعرف به على المواهب. كما كان لديها أيضًا رسوخ ذهني يجعلها تفهم الوضع بموضوعية فلا تتصرف بانفعالية أو تفصل بين الأمور بطريقة مزدوجة ساذجة. وعلى الرغم من ذلك، لم يتمكن من أن يبعد عن رأسه فكرة أن زوجته تخفي شيئًا عنه وبسبب هذا جرحت مشاعره.

قضت زوجته أغلب اليوم في غرفة المكتب بالطابق الثاني. وأصبح الكرسي البني الذي اعتادت الجلوس عليه بمرسم المبنى المنفصل فارغًا طوال اليوم وما كان للجلد الذي تغير لونه من وضعية رأسها سوى أن يذكره فقط بالماضي. كانت تجلس

على ذلك الكرسي قديما وتراقبه وهو يعمل لساعات في صمت، وكأنها صبية تؤمن بأن لوحاته تتحسن فقط إن جلست هناك أمامه.

كان يسمع صوت دقات لوحة مفاتيح الكمبيوتر بشكل واضح ما إن يعود إلى المنزل الرئيسي بعد غروب الشمس. لم تتوقف أصوات نقر الأصابع على لوحة المفاتيح في الليل كذلك. كان هان-جو ينام في النهاية وهو ينتظر زوجته التي لم تعد إلى غرفة النوم. شعر أن زوجته تدفع به إلى خارج حياتها.

كذلك كان يشعر بغياب زوجته إذا ما استيقظ في منتصف الليل كجرف عميق بعيد عنه. لم يكن ليخل عليها بالتشجيع والمساعدة في أي عمل تنكب عليه ولكنه لم يتمكن من التخلص من قلقه حيال تراجع اهتمامها به. خشي أنها ربما سئمت من موهبته أو تعتقد بأنها نضبت.

لاحقه القلق من أن النجاح الذي حققه بعد طول عناد وتصميم قد يختفي فجأة كالسراب. فلا شيء يضمن أن يكون الغد مماثلاً إذا كان اليوم وأمس متشابهين. فالناس يخسرون وظائفهم، ويطردون من بيوتهم، وقد يقتلون كذلك ما بين ليلة وضحاها. مع ذلك، كان يواسي نفسه دائماً بأن له الحق في الحصول على ما لديه الآن.

كانا يجلسان جنباً إلى جنب في إحدى العطلات الأسبوعية على كرسي بالقرب من ضفة النهر بممشى التنزه. ارتدت هيه-ري بنطالاً بنياً واسع القدم وقميصاً سماوي اللون منقوشاً عليه ورود

زرقاء. التصق طرف البنطال الواسع بقدمها ما إن هبت الرياح. ضحكت هيه-ري وهي تراقب روسكو وهو يلعب غير عابئ بهما.

- أفكر في بعض الأوقات أن روسكو ناضج عنك. فهو يواسي قلبي ويختفي كذلك في هدوء عندما أرغب في البقاء وحدي...

نظر روسكو لهما ما إن سمع اسمه. أظهر أنيابه الحادة ولكن تعابير وجهه كانت ضاحكة. هل يجدر به أن يشعر بغيرة ولو طفيفة؟ أخذ يربت على روسكو الذي يهز رأسه كصبي ناضج عن عمره.

- لماذا أنتِ منشغلة كثيرًا هذه الأيام؟

حرص على ألا يظهر في صوته نفاذ صبره. أجابته زوجته بهدوء كما لو أنها كانت تنتظر سؤاله لفترة طويلة:

- أكتب شيئًا، شيئًا شخصيًا. أتمنى أن يتم نشره.

- شيئًا شخصيًا؟ عن ماذا مثلًا؟

أجابته بسؤال آخر:

- ألا تعرف أن حياتي الشخصية إذا حذفك منها لن يتبقى لي شيء؟

كما قالت، وجوده في حياتها الشخصية كان أساسيًا. لم يفكر في الأمر مسبقًا ولكن إذا كان هناك من سيكتب شيئًا عنه فلا بد أن تكون زوجته وليس شخصًا آخر.

هي زوجته وحبيبته ومحاميته وحارس سجنه وكذلك مدونة أعماله الرزينة. كتبت عنه في

«كونست» وكتبت مقدمة عنه في الكتيبات الفنية، وكذلك كتبت عنه الكثير في مختلف الوسائط الإعلامية. ومن بين ذلك كانت هناك تقييمات محايدة، وكذلك تصريحات لطيفة عن حياته الشخصية. اعتراه الفضول حول كيف سترسم شخصيته.

- وماذا ستكتبينه عني مثلاً؟

- عن نفسك التي لا تعرفها، وعن نفسي التي لا تعرفها... يمكنك القول إنها سيرة ذاتية أو مقال لاجيالي أو رواية أو ربما لا شيء على الإطلاق...

انتاب هان-جو الفضول مجددًا حول الشيء الذي لا يعرفه، والذي تعتقد زوجته أنه لا يعرفه.

- في بعض الأحيان لا أستطيع فهم أي شيء مما تقولينه. هل أنا أحقق لهذه الدرجة؟ لا، بل أنت ذكية جدًا. على أي حال سأكون أنا أول قارئ، أليس كذلك؟

مسحت هيه-ري بيديها الباردتين على خده بدلاً من أن تجيبه. تصاعد صوت خشن وهي تمرر بيدها على بشرته الجافة.

- بالتأكيد، فأنا أكتب لتكون كذلك.

تراخى صوتها في هدوء. بدا جسدها النحيل والطويل مائلًا كما لو أنه ينظر إليها بداخل حوض سمك ضخم والناس يمرون من خلفها في بطء كالسمك. تباطأت سرعة المناظر من حوله إلى ما لا نهاية.

وعلى خفة النهر الغاربة، نذر كل منهما للاخر،
كأنهما ينذران إلى مرقاة. فوجد كل منهما ما ضيعه،
والامه، وذاكرته في وجهه المنعكس على الاخر.
ووسط انشغالهما بذلك، لم يدركا حلول الليل.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الفصل الثالث

لم يفد طلب إصدار أمر قضائي بمنع النشر في شيء. رُضت «أكاديك عني» في رفوف قسم الروايات بمتاجر بيع الكتب الكبرى. وقامت بعض الوسائط الإعلامية بتقديم القصة في قسم المطبوعات الجديدة كما بدأت الرواية في تحقيق مبيعات متزايدة. أخذ هان-جو، الذي سيطر عليه القلق، هاتفه وصرخ به.

- الك... الكتاب منتشر في متاجر بيع الكتب. أتعرف ما الذي كُتب في الإعلان؟ «لقد... لقد كنت في الثامنة عشرة وقتها. وكان هو في الأربعين من عمره». إنها تلمح علانية إلى علاقة اغتصاب رسمية من الناحية القانونية. قلت إنك ستبذل ما بوسعك. قلت بكل ثقة إنك ستبعث بشهادة إثبات للمحتوى وترفع دعاوى قضائية وإنك ستتحشد الصحافة لصفنا، ولكن ماذا فعلت؟

شعر سو-إين أنه يتفهم ياس هان-جو الملح. أخذ نفساً ثم قال في روية:

- اهدأ واستمع إلي. كما قلت، يمكننا أن نرسل شهادة إثبات المحتوى إلى دار النشر ونحذرهم من أننا قد نتخذ إجراء قضائياً في حالة قاموا بالنشر لوجود خطر بالتشهير أو نقدم طلب أمر قضائي لمنع النشر.

- ولكن لماذا لم تفعل أي شيء؟

- المسألة ليست أنني لم أفعل شيئاً بل كنت أراقب

الوضع عن كتب. فكر جيدًا، هل تظن أنهم سيتخلون عن النشر فقط بشهادة إثبات محتوى من صفحتين؟ سيستغلون ذلك للتسويق الكبير وكانهم ينتظرونه فقط ليثيروا اهتمام القراء بشكل أكبر. لن تقبل المحكمة طلب إصدار أمر قضائي بمنع النشر ما لم تكن هناك أسباب واضحة وقاطعة وضرورية. أليست جمهورية كوريا دولة ديمقراطية لا تزال حرية التعبير وحرية النشر حية بها؟

- أتعني أنك خدعتني يا أخي بعد أن وثقت فيك وذهبت إليك طلبًا للمساعدة؟

صرخ هان-جو كمريض روماتيزم لم يعد يطيق ألامه، بينما اخترق صدر سو-إين ألم لم يعرف مصدره كإبرة حادة، فأطلق صفيًا منخفضًا وقال:

- لم أخدعك، فقط قمت بطمانتك. الوضع ليس سيئًا كما تظن، ولم يحدث أي ضرر بعد. فالرواية ليست سوى قصة لا أكثر وليس هناك كثير من القراء ممن قد يصدقون أنها حقيقية. ولكن إذا وقع ضرر، سنبدأ القتال. وإن لم يكن هناك ضرر فهذا لحسن حظنا.

أذعن هان-جو لحقيقة أن أخاه رجل يتعامل مع القانون وأن للمحكمة لغتها الخاصة. وقد كان سو-إين مختصًا في وضع الإستراتيجيات والتخطيط للقضايا سواء كان موكله جانيًا أو مجنيًا عليه. وكان عليه ضبط الأوضاع بحيث يقلل الضرر في الصراعات التي لم يكن بالإمكان الفوز بها.

- وإذا... وإذا كنت أنت المعني فهل كنت ستتحدث

هكذا؟ ماذا ستفعل الآن؟ أنتتظر دون فعل شيء إلى أن يشم الصحفيون الخبر ويتهافتون لنقله؟ أم... أم ماذا...؟

تلعلم هان-جو في الحديث، فقاطعه سو-إين قائلاً:
- أنا مشغول الآن. هناك ضيف ينتظرني في غرفة الاستشارات، لتتقابل وتحدث، اليوم بعد انتهاء دوام العمل. لا بل الغد، أو بعد غد... سأذهب إلى منزل بعد خروجي من العمل. سأصل قرابة الساعة الثامنة والنصف.

قطع سو-إين المكالمة. فهو لم يكن بالشخص الذي ينتظر أن يقطع الطرف الآخر المكالمة أولاً. كان يعتقد أن ذلك شيء عملي أكثر من أن يكون متأزماً من سوء الفهم الذي قد يجلبه ذلك بأن يظهر كشخص عديم الذوق. ظن كذلك أنه من المثير أن يجعل الآخرين يستسلمون ولا يتوقعون منه شيئاً، لأن ذلك يؤكد له حقيقة أنه في منزلة تفوق الآخرين.

كان فقيزاً، لكنه ذكي وذو عزيمة قوية. لديه القدرة على قراءة كيفية سير العالم وكذلك القدرة على تحليل مخططات الحياة المعقدة. صار بوسعه إحياء أشخاص عاديين حتى وإن لم يكن محامياً، كان ذلك حلمه، أن يصبح رجلاً عادياً ويحيي الأشخاص العاديين.

ما إن يقرع جرس منزله حتى يسرع طفلاه وزوجته إلى الباب. كان حلم ابنه الأكبر يتغير كل بضعة أيام من راند فضاء إلى مزارع يوسفي، أما

ابنه الأصغر فكان يتحدث دائمًا عن رغبته في أن يصبح جرّوا يأكل طوال اليوم في البيت كما يرغب. شعر سو-إين أن هذه اللحظات هي ما تمنّاها دومًا. لم يكن واضحًا له لماذا يرغب بذلك لهذه الدرجة ولكن ما هو واضح أنه حصل لنفسه على سعادة مرضية وسلام تام. ومع ذلك، كثيرًا ما يؤرقه شعور بالشك في أن سعادته الآن ليست بنصيبه العادل. لم يستطع أن يبعد عن تفكيره القلق من أن الإنارة الدافئة والطعام الوفير وعائلته المحبة وضحكات أطفاله في كل وقت ومكان إرث سرقه من شخص ما.

ربما لا تكون هذه سعادة، وإن كانت كذلك بالفعل فهي ليست سوى سعادة كاذبة حصل عليها مقابل إخفاء الحقيقة. كثيرًا ما طفت عليه أصوات متعالية صارخة بـ«أن لا حق له في الحصول على مثل هذه السعادة».

تجرع سو-إين كأس الويسكي الممتلئة وهو يستند بجسمه على خزانة الزينة. احترق حلقه وانتشر دماء الكحول المثير بجسده. تذكر اليوم الذي فقد فيه أخاه وهو في السابعة أو الثامنة من العمر. فقد تبعه هان-جو عنوة إلى المكتبة مع أنه لم يكن يجيد القراءة بعد. غرق في الكتب بعد أن نبه على أخيه الصغير عدة مرات ألا يتحرك من مكانه إذا أضع الطريق.

أدرك ضياع أخيه الصغير بعد أن حل المساء. بحث في صالات المطالعة وفي الممرات وطاف

في الشوارع إلى أن غربت الشمس وحل الظلام. وبعد ساعة كاملة، عثر على أخيه واقفاً وشارداً أمام متجر لبيع الألبومات الموسيقية. لم يكن هان-جو يبكي بل نظر إليها بعينين واسعتين.

- لنذهب إلى البيت. الجو بارد هنا.

سار هان-جو إلى المنزل مذعناً وكأنه نسي حقيقة أنه أضاع الطريق. في حين ثار فضول سو-إين ليعرف كيف تمكن أخوه الأصغر من أن يتصرف بهدوء هكذا.

- ألم تكن خائفاً؟

- كنت خائفاً.

- ولكن لماذا لم تبك؟

- عرفت أنك ستأتي. قلت لي أظل في مكاني حتى لو ضلت الطريق وإنك ستأتي إلي.

فكر سو-إين في أخيه الذي ينتظره في غرفة العمل الفارغة. أخوه الأصغر وهو يقف شارداً وسط أدوات الرسم المبعثرة واللوحات التي توقف عن استكمال رسمها، ذلك الطفل الأضخم منه. ملاً كأسه مجدداً مع أنه كان يفكر في أنه يتعين عليه أن يتوقف عن الشرب.

- هان-جو، ابق هناك ولا تتحرك. أخوك قادم إليك.

كانت القصة التي تتكون من خمسة فصول تحكي عن الخيانة والانتقام من جريمة قتل ما. ومع الكشف عن كل طبقة من طبقات الحكاية، أصبحت مذكرة قضائية تحيل بهان-جو إلى محكمة الرأي

أبرز الفصل الأول قصة لقاء وانفصال الرسام والفتاة البطلين. كان من السهل اعتبار تصرف الرسام باستدراج الفتاة بحكم سلطته وإغرائها بمثابة اغتصاب بالخداع.

في حين كان الفصل الثاني يحكي عن جريمة قتل مر عليها عشرون عامًا، وعلى الرغم من أنه لم يتخط العشرين صفحة، فإنه شكل تطورًا مهمًا بالقصة. كان هناك من ثلاثة إلى أربعة رجال متهمين بقتل أخت البطلة، من بينهم الرسام وهو في صباه. أشارت أصابع الاتهام في تحقيقات الشرطة إلى حطاب كان يعيش بالغابة المواجهة للقرية، ولكن القصة استمرت على أساس أن المجرم الحقيقي شخص آخر.

واستكمل الفصل الثالث والرابع حكاية عودة لقاء الرسام بالفتاة بعد أن صارت بالغة. أثارت لوحات الفنان التي برزت في المعارض بعد أن تزوج الفتاة ضجة كبيرة لتكوينها وأسلوبها الفذين. كان ذلك بفضل تخطيط زوجته للوحات ورسمها لأجزاء كبيرة من اللوحات التي كانت تُعرض باسمه.

استمر بطل الرواية في طلب لوحات أكثر وأضخم من زوجته ونجح في أن يصبح فنانًا مشهورًا. صاحبته زوجته إلى معارض ورافقتها كالزينة، وقد سكت تمامًا عن موهبتها ودورها. أدرك دور زوجته كمساعدة مخلصه له لكنه تجاهل وجودها بالكامل كفنانة مشاركة في اللوحات.

لم تستطع البطلة التخلص من زوجها على الرغم من شعورها بالأسى من تجاهله للحقيقة وحياتها التي أصبحت كذبة كبيرة. فقد كونت شخصيتها من خلال زوجها ولم ترغب في أن تهدم ما حققته ولذلك لم يكن بوسعها سوى أن ترضى بحياتها في الظل. ولكن في أثناء ذلك، دعا الرسام فتاة صغيرة في العشرين من عمرها إلى مرسومه. وفي النهاية شرعت الزوجة في تدمير القاتل الفنان الوقح بعد أن صارت ممتلئة بالخيانة والرغبة في الانتقام.

أما القاتل فقد ظهر في الفصل الخامس. أكتشف أن الرسام نفسه هو القاتل بعد مطاردات المحقق المسؤول له بعزم وتصميم. قتل أخت البطلة بعدما لم يتمكن من تحمل غضبه وغيرته لوقوعها في حب الحطاب وقد كان يكن لها حبًا عميقًا دون أن يعرف أحد منذ أن كان صغيرًا.

كان من الصعب أن يستحضر أبطال القصة في المخيلة أشخاصًا في الواقع بعينهم بعد أن طغى على صفاتهم الكثير من التعديل والتغيير. انطبق ذلك أيضًا على الحياة الزوجية لهما المنعكسة بشكل طفيف في الخيانة والصراع داخل الرواية. ربما تعكس الرواية الواقع لكنها لا يمكنها أن تحل محله.

لكن الرواية كانت بالنسبة له وليس لأحد آخر حاسمة وواقعية أكثر من الواقع نفسه. حتى ولم يدرك الآخرون فهو يعرف. إذا تجاهل الأمر قد يصبح لا شيء، ولكن لم يكن بوسع هان-جو أن يفعل ذلك.

جعلت زوجته ثلاثة أشياء واضحة في القصة؛ أن الرسام محتال تعدى على قاصر دون موافقة منها، وأنه سارق سلب موهبة زوجته من أجل الحصول على الشهرة، وأنه قاتل أزهرق حياة ابنة جيرانه وهو في العقد الثاني من عمره. وقد قالت البطلة في مونولوج بعد أن سمعت كلام المحقق الذي شك في مكان تواجده قبل أن يكشف عن أنه المجرم الحقيقي:

لم أفكر في أنه هو من قتل أختي ولا أظن أن بإمكانه ذلك. وإذا كان ذلك صحيحًا فأنا التي لن يكون بمقدورها التحمل وليس هو. قبل كل شيء، لن أتحمل أن يكون هو من قتل أختي الكبرى. وثانيًا، لن أقدر على مسامحة نفسي التي أحبت شخصًا مثله. وأخيرًا، أنا خائفة من نفسي بالأستطيع أن أكرهه رغم كل هذا.

لم يعرف هان-جو كيف يمكن أن يعارض رأيها الفارغ، وتحريفاتها التي لا أساس لها من صحة. هل تعتقد زوجته حقًا أنه القاتل؟ وإذا كانت تعتقد ذلك فمنذ متى؟ وعلى الرغم من ذلك، كيف لها أن تصبح زوجة قاتل؟

هناك أمور في هذا العالم لا يمكن شرحها ولا يوجد تفسير لها. فالناس قد يتناولون الطعام مع أفراد عائلاتهم، ويزرعون الأشجار في الحديقة، ويقابلون أصدقاءهم ويشربون الخمر معًا، وفجأة يتعرضون لحادث سيارة أو ينتحرون أو قد يسقطون عن السلالم ويموتون. أي سبب قد يكون هناك لأي من

لقد انطلق والده صباح ذلك اليوم مبكراً إلى العمل وقد سيطر عليه القلق من ألا يتمكن من إنهاء أعمال تغيير الأنابيب في القاعة الكبيرة، وكان ينقل الأنابيب ويحفر في الأرض مع العمال طوال اليوم. وتفقد المواد والأدوات التي ستستخدم في عمل اليوم التالي بعد أن أنهى عمله. ومن بعدها أخذ جي-سو وذهب بها إلى الخزان، أو أنه استدعاها إلى هناك ومن ثم قتلها؟ كان ذلك غير منطقي مهما فكر فيه.

ولكن لم يكن لديه الثقة لأن يرمي بعرض الحائط تحقيقات السلطات المبنية على الأدلة العلمية والاعتراف البين. لم يكن بوسع تقديم سبب لماذا لا يمكن لوالده أن يكون قاتلاً، كما لم يكن لديه دليل ليفترض على أساسه أن المجرم شخص آخر إذا لم يكن والده. بدال له من الأسهل أن يتقبل ألم الاعتراف بأن والده قاتل على أن يتقبل الاضطراب والنقد الذي لا بد أن يتحملها برفضه تلك الحقيقة.

ولذلك استبعد احتمالات ألا يكون والده القاتل الواحد تلو الآخر. فلم يشك بأي مما ذكر في تحقيقات الحادث الرسمية وسجلات المحكمة، وتقبل في خنوع كل الأدلة المنطقية والحكم القانوني بأن والده هو المجرم. ابتلع الشكوك الكثيرة ودفع بها إلى ما بعد حلقه، مثل السبب الذي جعل جي-سو تتبع والده ذلك اليوم، أو لماذا ظل والده صامئاً حول ما حدث مساء ذلك اليوم، أو

لماذا أقر بجريمته هكذا بسهولة...

ذهب مع أخيه إلى قسم الشرطة بعد أن تم إلقاء القبض على والده. اصطحبتهما نام بو-را إلى غرفة وضعت بها طاولة طويلة وأحيط بها عشرة كراس قابلة للطّي. وكانا قد عبرا قبل ذلك ممرا معتقا علقت على حوائطه لافتات مكتوب عليها قسم التحقيقات، قسم التحقيقات الجنائية، قسم دعم الشئون الإدارية. شعر بأنه ارتكب جريمة لا يمكن اغتفارها وهو جالس إلى أحد تلك الكراسي الصلبة. دخل والده من الباب بالجهة المقابلة. قطب والده بحاجبيه بقوة وكأنه فأر خرج لتوه من كهف مظلم، فربما قد تكون الإضاءة القوية أزعجت عينيه. وبدا أنه قد أصبح عجوزًا خلال بضعة أيام فقط. صرخ والده فجأة:

- لماذا أتيتما إلى هنا؟

كان شعره أشعث وعيناه منتفختين وكأنه لم يتمكن من النوم. ذكره بوجه أحد الأبطال بأفلام الغرب الأمريكي. ليس البطل القناص سريع البديهة والذي يتحكم في الوضع من حوله ولكنه الفلاح الساذج البسيط الذي يحتاج إلى حماية. قال سو-اين:

- كنا سنأتي مع أمي ولكننا لم نستطع أن نوقظها من النوم. لقد شربت الكثير من الخمر.

بدا أنه يتعمد أن يؤذي مشاعر والدهما. كان هان-جو يرغب في أن يسأل والدهما الكثير من الأسئلة. هل قتل جي-سو؟ وإذا فعل ذلك فلماذا

قتلها؟ وإن لم يفعل، لماذا هو في هذا المكان؟ ولكنه سأله شيئاً آخر:

- أي شيء؟ أحتاج شيئاً ما؟ سنحضره المرة القادمة عندما تأتي. هل أحضر لك جوارب إذا كنت تشعر بالبرد ليلاً؟

لم يجبه والدهما، وبدلاً من ذلك، أمسك بيديه المتورمتين والجريحتين يدي ولديه. تفاجأ من القوة الخشنة والحيوية الصلبة في يدي ولديه وعظام عقلات أصابعهما على عكس توقعاته.

- تعرفان أنني أحبكما، أليس كذلك؟

تفقد الوالد ولديه بدقة كما لو أنه يحمل بيده مطرقة ويقيس حجم مسمار ليضعه بالزاوية والمكان المطلوب بالضبط. لم يعرف هان-جو لماذا ولكنه شعر بأنه لن يتمكن من رؤية والدهما مرة أخرى.

- نعم، نعرف.

- هذا يكفي إذن. فلا داعي لأن تحباني بالمقابل... يمكنكما أن تذهبا الآن. لا تعودا مجدداً.

لم يزر سو-إين والده بعد تلك المرة. في حين ذهب هان-جو لزيارة والده مرتين بعد أن صدر الحكم بحقه. كانت مرة في العطلة الأسبوعية السابقة لدخوله الجيش والمرة الأخرى في عطلة نهاية الأسبوع بعد انتهاء فترة التجنيد الإجباري. وفي كلتا المرتين، هطل المطر ولم يتمكن من رؤية والده. أخبره حارس السجن الأربعيني ذو اللحية الطويلة

بأن والده يرفض أي زيارات وأنه من الأفضل ألا يأتي مجددًا. قال له أيضًا إن والده بصحة جيدة وسأله إذا كان هناك ما يرغب في أن يقوله له، فأجابه هان-جو بأنه ليس هناك شيء ليقوله. كان يتفهم تصرف والده، لكنه لم يتمكن من إبعاد فكرة أنه رفضه.

كان المطر يهطل عندما خرج من بوابة السجن. تعالت أصوات نعيق طيور سوداء قادمة من أعلى فروع شجرة الدلب البعيدة. غرق الجدار الأسمنتي الحالك بمياه المطر، وكان برج المراقبة واقفًا هناك في ثبات. فكر أنه من حسن الحظ أن جدران السجن عالية، فقد شعر أن هذه الجدران العالية لا تحتجز والده خلفها وإنما تحميه من العالم بالخارج. العالم يسير على هواه وقايس جدًا لأن يعيش به والده. خلف هذه الجدران سيكون والده بالتأكيد آمنًا.

فكر في أثناء عودته بالحافلة إلى سيول سبب رفض والده لزيارته. هل كان والده خائفًا؟ خائفًا من أن ينطق بالحقيقة وكان من الصعب أن يتحمل هذا وحده لأنه لم يرغب في أن يشعر بالخزي أمام ابنه الذي أتى لزيارة بعد مدة طويلة؟ وحينها هل سيتسبب بذلك في جعل ابنه يشعر بالاضطراب والتشوش أكثر؟

رغب في أن ينسى والده، أن ينسى تلك الحادثة بنسيان والده. كما لو أن هذا الأمر لا يعنيه وأنه ماضي شخص آخر. لذلك، مسح شكل والده من

رأسه؛ رموشه التي تهتز كلما ضحك، يديه اللتين تشبهان الخطاف كلما مررهما على شعره تحت أشعة الشمس اللافحة، رائحة العرق ورائحة التراب التي فاحت منه عندما كان يضمه له، كل شيء عنه.

تقبل بنفسه مع مرور الزمن هويته كابن قاتل. فبدلاً من أن يضيع حياته في البحث عن الحقيقة، قرر أن يختار تلك الكذبة التي أثبتت. أما الحقيقة... فهي ليست سوى مجرد عبء زائد بالحياة.

فتح هان-جو عينيه صباح اليوم التالي وقت الظهيرة تقريباً. تصارع ليلة الأمس بأكملها مع كتاب زوجته وهو يتجرع كؤوس الخمر وبالكاد تمكن من النوم عند حلول الفجر.

تمكن في النهاية من تحريك جسده المتيبس بإصرار من صوت جرس الهاتف الصاخب العنيد، ولكنه شعر بجفاف شديد في حلقه وكان لسانه خشناً كأنه ابتلع رماً. ترنح جسده إلى أن وصل إلى سماعة الهاتف والتقطها.

كان المتصل صحفياً معنياً بالأخبار الفنية بإحدى الصحف اليومية سبق وقابله عدة مرات. فاجأه بأسئلة متتالية عن كتاب زوجته دون أن يلقي التحية حتى. وبدا أنه يتعمد ألا يعطيه الوقت ليفكر.

وكما هو متوقع، قال له إنه أنهى لقاءه مع الكاتبة، وإنه ليس من الصعب التكهن بهوية البطل وإن هناك قراء بالفعل يخمنون من هو. فأجابه هان-جو بأنه سيتخذ إجراءات قضائية ضد أي تكهنات

واهية. كان تصرفاً مندفعاً مخالفاً لنصيحة سو-إين بأن يضبط كل ردود أفعاله أمام الإعلام. قال له الصحفي إنه قد لا يكون على علم بالتفاصيل ونصحه بأنه قد يوصم بأنه محتال حقير إن لم يعالج الأمر بشكل مناسب. أخبره هان-جو بأنه يستطيع أن يؤكد أن لا علاقة له بما ورد في الرواية وشكره وهو ينهي المكالمة.

وبعد أن سكنت الأجواء فجأة، تصاعدت من على بعد أصوات أبواق السيارات وآلات الحفر وأصوات الصفارات وتزاحمت من حوله.

ظهرت أول مقالة عن الأمر فيما بعد الساعة الرابعة بعد الظهر بقليل على الإنترنت. «هل بطل «أكاذيبك عني» شخصية حقيقية؟».

أوحت المقالة بغموض عن هوية المحتال الذي استغل صبية في التاسعة عشرة من عمرها. وبدا أنها وضعت بعين الاعتبار أي صراعات مستقبلية محتملة حول التشهير.

تبع ذلك العشرات من التعليقات على المقالة. وانتشر على الفور اسمه على صفحات المدونات الشخصية ذات الصلة بالفن وعلى مختلف وسائل التواصل الاجتماعي. فضلات مشاعر بشرية مليئة بالسباب الدنيء والتنديد.

ومن بعدها تواصل رنين هاتفه المحمول وهاتف المنزل بالتتابع أو معاً في اللحظة نفسها. وشعر هان-جو بأنه أصبح جندياً يقف شارداً في وسط ساحة القتال والقذائف تنهال عليه. خبراته، وأعماله،

وسمعته، وزوجته، وسعادته. كل ما كان له تحول إلى شظايا وتطاير مبتعدًا عنه.

إذا كانت زوجته إلى جانبه... كانت لتقول له ماذا يجب أن يفعل. «لا تخف. إنهم يفارون منك فقط».

بالفعل، فلم يكن هناك أروع من حفل زفافه على الرغم من الأحاديث التي كانت تدور خلف ظهرهما. أحب هان-جو زوجته كالراعي الذي يحب إلهة الجمال. واشتاق كثيرًا لكل يوم كانا يقضيانه معًا، وللحظات التي كانا يضحكان فيها بهدوء ويتسامران فيها معًا بصوت منخفض، واشتاق لكل تلك الأحاديث التي لم تكن شيئًا وقتها.

كان من النادر أن تفرق زوجته في السكر، ولم تكن تبكي بسهولة. لكنه تمنى أن تكون زوجته غارقة في السكر وهي تبكي في هذه اللحظة بالذات. بالتأكيد لن تكون زوجته تفكر فيه الآن. ربما لم يسبق وأن خانته زوجته، فهي لم تثق به ولو لحظة واحدة.

أفرغ كأس الخمر وتجرعه مرة واحدة. اهتز هاتفه المحمول على الطاولة، وظهر على الشاشة «أخي الأكبر».

- هان-جو؟ هل أنت بخير؟

كيف يمكنه أن يفكر أنه بخير؟ لكنه لم يرغب في أن يلوم أخاه الأكبر. فالسبب فيما آل إليه الوضع هو نفسه وليس أخاه. كان لا يزال يعاني بعضًا من سكر الخمر، ولكنه على وعي بتلك الحقيقة.

- نعم بخير. رأسي يؤلمني، يبدو أنني شربت كثيرًا.

- ظننت أنك لن ترد على الهاتف. عليك ذلك. أغلق الهاتف من هذه اللحظة وغادر المنزل، ولا تقابل أحداً.

لم يصل إلى مسامعه صوت ثرثرة سو-إين. وتذكر عندما كان جالساً على حافة سطح المدرسة يراقب والده وهو يتم القبض عليه. تذكر لمعان الحديد الملتف حول يديه. هل ضحك والده لحظتها؟ هل تألم؟ هل كان ينظر إليه؟ صرخ فيه سو-إين مجدداً:

- لا تعرف متى سيهجم عليك الصحفيون فاغلق هاتفك حالاً وغادر المنزل. اذهب إلى مكان آخر مؤقتاً هذه الأيام. كل شيئاً واسترد وعيك. ها؟ إذا فهمتني رد عليّ.

لمح الأشياء التي تركتها زوجته خلفها؛ السترة التي خلعتها وألقت بها على ظهر الكرسي، الكوب الذي يظهر عليه آثار شفيتها، ورواية موباسون التي وضعت بها فاصل كتاب من فروع الشجر... كل تلك الأشياء جعلته يدرك غياب زوجته.

- يا أخي. ليس لدي مكان أذهب إليه.

تفاجأ من اليأس الذي سمعه بصوته. بدت له أن تلك العينين الخاويتين والصدغ الغائر المنعكسين على النافذة الزجاجية تعود لشخص آخر. فكر أنه يتلقى العقاب، وكانت جريمته كذبة سخيفة قالها دون أن يخمن قدره. سمع صوت سو-إين المتعجل من سماعه الهاتف.

- ماذا تقول؟

- يا إلهي! أقول لك لا أعرف إلى أين أذهب.

الفصل الرابع

هيه-ري

عندما قال هي-جيه إنه سوف يشتري منزل هاورد، لم تتمكن سون-أو من أن تصدقه أو تكذبه. فلم تكن لافتة مدينة إيسان الواقفة في ثبات على أعلى التل المطل على المدينة بأكملها بالشيء الذي قد تعود ملكيته لشخص واحد. وإذا امتلك شخص واحد فقط منزل هاورد فهو بذلك يسرق المنزل الذي احتفظ جميع السكان المحليين بحبه في قلوبهم، كما أنه يسرق تاريخ المدينة منهم.

ترك الدكتور هاورد وصية، بعد أن اشتد عليه المرض وبدا أنه سيخسر معركته معه، بأن يتم بيع المنزل للمساعدة في دعم الموارد المالية للمؤسسة. فبالإضافة إلى السعر المرتفع، لم يكن من السهل العثور على مشتري يستطيع تحمل ضخامة حجم العقار بالإضافة إلى المباني المتصلة به والأرض المحيطة به والتي تفوق مساحتها الثلاثة آلاف متر مربع. حتى أن الشركات العقارية التي كانت ترغب في إعادة بناء المنزل إلى مبنى متعدد الطوابق تراجعت عن خطتها بسبب الشرط الذي ينص على أنه يجب أن تتم المحافظة على شكل المنزل الحالي.

كان هي-جيه هو الشخص الوحيد الذي أقبل على منزل هاورد الذي ترك بلا صاحب لأربعة أعوام. كان هي-جيه الابن الثاني لمالك فندق بوسط المدينة ويحترم والده رجل الأعمال الناجح ولكن يبغضه

في الوقت نفسه. كان في وضع مقارنة دائمة مع أخيه الأكبر، ودأب على أن يثبت لوالده أنه ليس بالطالب الراسب الأحق ولكن تكرر فشله في ذلك باستمرار.

وبعد انتهاء فترة التجنيد الإجبارية، قرر هي-جيه أن يبدأ في جمع المال بدلاً من أن يذهب إلى الجامعة. فبدأ عملاً بسيارة مستعملة اشتراها بأموال اقترضها من المصرف بدلاً من والده، وكان يؤجرها للضيوف النازلين بفندق والده. عمل عليها سائقاً وكذلك ميكانيكياً معتمداً على موهبته الفطرية في التعامل مع الناس ودمائه. وخلال خمسة أعوام، زاد عدد السيارات لديه ليصبح اثنتي عشرة سيارة.

وبعد ثبات عمله في مجال تأجير السيارات، أسس محلاً لتصليحها. فكان الناس الذين أقبلوا على شراء السيارات في موجتها الأولى بجنون على غير دراية بها وحوادث السيارات على الطرق غير الجيدة لا تنقطع. فاستمرت أعماله في النجاح أكثر كجربان الماء بالنهر.

وأصبح وهو على وشك تخطي الأربعين لتوه رجل أعمال محلياً معروفاً. ولكن على الرغم من مهاراته، لم يكن منزل هاورد بالشيء الذي يمكن أن يضع يده عليه بسهولة. فقال لزوجته وقد علا وجهه تعابير القلق:

- عندما كنت صغيراً، لم يكن بمدينة إيسان مبنى له أكثر من خمسة طوابق. وكان منزل هاورد على التل هو المبنى الوحيد الأعلى من فندق والدي.

رغبت في أن أحصل على هذه الحجارة التذكارية التي يمكن رؤيتها من أي مكان بالمدينة. فقط عندها كنت لأشعر بأنني تفوقت على والدي.

لم يسبق لسون-أو أن رأت زوجها مصمفا هكذا، لدرجة أنها شعرت أنه لا بد وأن تجيبه بأنها رغبت في العيش بذلك المنزل منذ زمن.

كان هناك سبب آخر لم يخبر زوجته به. فقد وضع في حساباته أن منزل هاورد الذي يعقب بتاريخ المدينة لمائة عام تقريبا والثقة والألفة اللتين تحيطان به قد تصحان عاملاً مهماً في تحقيق حلمه السياسي. فبإصلاحه المنزل العتيق الذي هُجر وتزيينه، سيجعل الأمر من اسمه موضوعاً شيقاً للأخبار بالإعلام المحلي بالمدينة.

أعلن هي-جيه أمام عائلته بأن منزل هاورد أصبح «منزلنا» في اليوم الذي دفع فيه الثمن المطلوب وكأنه يقدم هدية مفاجئة لهم. وبدأ بعدها في عملية إصلاح وترميم كبرى لكل جزء به تقريبا وحافظ فيها فقط على الأعمدة التي تبقى على الشكل الأصلي للمنزل. فغير القرميد الذي بهت لونه بأخر جديد ووضع دعائم لجدران المنزل وغير النوافذ ذات الطراز القديم إلى زجاج عازل للحرارة. وبنى السور المتهالك وقلم فروع شجر السرو التي غطت السقف بشكل مرتب. تمكن منزل هاورد، الذي كان أقرب لقلعة حصينة ترمز للثروة والشرف منه إلى منزل، من الحصول على جمال أضفاه عليه الزمن.

ارتدوا جميعهم ملابس بيضاء في اليوم الذي

انتقلوا فيه إلى المنزل. وما إن تخطت السيارة مطلع التل حتى ظهر أمامهم السقف بقرميده الأنيق والجدران الخارجية الحمراء. سرق مهابة المنزل الضخم الشبيه بقلعة في إحدى الحكايات الخيالية قلب بناته.

كانت غرفتا ابنتيه الاثنتين مواجهتين لبعضهما في الممر بالطابق الثاني. اقتربت جي-سو من غرفتها دون أن يقودها أحد إليها وكأنها منجذبة إلى شيء ما. وضع بالغرفة سريزًا وطاولة جديدين. اقتربت من النافذة ودفعت بها لينبسط أمام عينيها فجأة منظر الحديقة والمبنى المنفصل وبأسفل التل قبعت المدرسة وشوارع المدينة. جرت هيه-ري التي مלאها الحماس نحو الغرفة وصرخت قائلة:

- يا أختي! هذا المنزل... أعتقد أننا سنقضي وقتنا ممتعًا به.

وكما قالت هيه-ري بالفعل، كانت هناك أحداث مثيرة كل يوم بمنزل هاورد كما لو أنهم في مدينة ملاهي. فكان به الكثير من الأماكن للاختباء، والاستكشاف، والتجول. الصوت الصادر من منزل مر على بنائه وقت طويل، الشقوق الصغيرة بين الحجارة، عدد سلالم الدرج المفضي إلى انحدار غرفة البدر، والمساحة الخفية خلف الغرفة الصغيرة الملحقة والفاصل الخشبي الرفيع، ورائحة شجر السرو المتسللة من النافذة ما إن يستيقظوا... وما إن جاءت العطلة الأسبوعية حتى أخذ العم بمنزل مالكوم يلتقط صورهم وصنعت لهم العمة

طعامًا خفيفًا طيب المذاق. رسم هان-جو طوال اليوم منزل هاورد بدفتر الرسم. لم يكن بيدي غضبًا قط مهما استمرت هيه-ري في إزعاجه، وبدا على وجهيهما تعابير مازحة لا يعرفها سواهما.

رغبت هيه-ري ألا تغادر أبدًا مدينة الملاهي الممتعة تلك.

في ذلك اليوم، شعرت هيه-ري أنها تلعب لعبة غريبة عنها لم تفعلها مسبقًا. جعلتها أمها تفكر هكذا بأن أختها الكبرى لن يصيبها مكروه وأنها ستعود كما كانت تفعل عندما تلعب لعبة الغميضة.

فكرت أن هناك شيئًا ما تغير عندما حملت والدتها كتاب الحكايات وأتت لسريها بدلًا من أختها الكبرى. كانت القصة التي قرأتها لها والدتها هي «البجعات البرية». ولكن ما اعتادت أن تقرأه لها أختها من قصص شيرلوك هولمز والأنسة ماربل كان ممتعًا أكثر...

لم تتمكن هيه-ري من الغط في النوم بسهولة حتى بعد أن أغلقت والدتها القصة وربتت على شعرها. لم تكن أختها قد عادت بعد. قالت لها والدتها بعد أن نهضت من السرير وأطفأت المصباح:

- هيه-ري، تأخرت أختك، ولكنها ستكون قد عادت عندما تستيقظين غداً في الصباح.

لكن أمها كذبت عليها. فأختها لم تعد في اليوم التالي أيضًا. كان كل شيء على حاله، ولكن المنزل تحول إلى مكان غريب. فأصبحت عينا أبيها محتقتين بالدماء وشعره ملتصقًا ببعضه بعد أن

كان مهندماً دائماً. وجسد أمها كان مرتيمياً على الأريكة ككومة من الغسيل المتراكم. أصبح المنزل بأكمله كالة فقدت مساميرها وتحطمت عجلاتها.

دخلت سيارة الشرطة على الممر الأمامي المفروش بالحصى. نظرت هيه-ري من النافذة إلى الشرطي الذي ارتدى معطفاً رمادياً ثقيلاً والشرطية التي ترتدي الزي الرسمي وهما يترجلان من السيارة. بدا الشرطي ذو القامة القصيرة والجسد القوي كالبطل البطيء الذي دائماً ما يعنفه رئيسه العجوز بأحد المسلسلات البوليسية. اعترى هيه-ري الفضول فيما إذا كان المحققون سيستطيعون إلقاء القبض على المجرم خلال خمسين دقيقة كما في المسلسلات التي تسير على النمط نفسه في كل حلقة.

سيفتشون غرفة أختها الكبرى ما إن يدخلوا المنزل، كما هو في المسلسلات. وسيعثرون على العلبة التي تضع فيها أختها كتبها وعلبة أدوات التجميل خاصتها التي تضع فيها أحمر الشفاه بألوانه الثلاثة وطقم بكر الشعر. ولن يهدأ لهم بال حتى يكتشفوا سر أختها الذي تحتويه تلك الأشياء.

لم ترغب هيه-ري في تركهم يفعلون ذلك. فهذه الأشياء أسرار لا يعرفها أحد سواها وأختها. ودون أن تدرك، عبرت الممر إلى غرفة أختها. أخذت العلبتين المصنوعتين من الورق المقوى من دولاب أختها وأخفتها أسفل سريرها.

لن يعرفوا الآن بأن أختها كانت ترمي حقيبة كتبها ما إن تدخل إلى غرفتها وكأنها تكره رؤيتها، بأنها

كانت تجلس إلى المكتب للتزین وهي تنظر إلى المرأة وليس لتذاكر، وأنها كانت في بعض الأحيان تنبطح عليه وتنتحب بصوت منخفض.

أسندت هیه-ري ذقنها على طرف النافذة ونظرت إلى الحديقة الهادئة. لم تكن هذه المرة الأولى التي تختفي فيها أختها. فقد أحبت لعبة الغمضة وكانت ماهرة في إخفاء جسدها. وإذا ما اختبأت فلا تظهر إلا بعد مدة من انتهاء اللعبة وتكون قد فقدت الأمل في العثور عليها. وعندما تسألها أين كانت، كانت أختها تجيبها بأنها كانت مختبئة.

- كذب. وممن تختبئين وليس هناك من يطارذك؟

- من الناس.

- أي ناس؟ الناس السيئون؟

- لا، فقط... من الناس.

كانت هیه-ري فضولية لتعرف من هؤلاء الناس. أو ربما كانت أختها ترغب في أن تختبئ من كل الناس؟ من أمها، وأبيها، ومعلميها، وأصدقائها، وربما أيضًا من نفسها.

تخيلت هیه-ري أن أختها تلعب لعبة غمضة طويلة جدًا، ربما لا نهاية لها. وبذلك لن تسمع مجددًا قصص أختها التي تزويها لها وهي إلى جانبها بالسرير، ولن تراقب ظهر أختها المحني وهي تبكي مجددًا.

غير غياب جي-سو من الأجواء في المدينة بشكل غريب. فقد شعر الناس أنه ما إن تنتهي مراسم

الدفن ويتم إلقاء القبض على المجرم، فإن ذلك بشكل أو بآخر سيرد لهم الهدوء بمنزلهم أيضًا. قد يكون أمرا مريحا وقد يكون قاسيا في الوقت نفسه، ولكن الحياة تستمر في النهاية. لكن منزلهم لم يسترد هدوءه قط. فبالنسبة لهم، عدم وجود العائلة بالكامل لا يعني نقصها وحسب وإنما عدم وجودها على الإطلاق. ولم تكن جي-سو بفرد واحد من أفراد العائلة الأربعة، بل كانت العائلة بأكملها.

قضى هي-جيه أيامه ولياليه في مكتب إدارة الانتخابات بالعام التالي خلال فترة الانتخابات. فقد سرق منه المنزل الذي لم تعد به جي-سو جزءا من حياته ومعناها. وعلى الرغم من أن الناس كانوا يتعاطفون معه، لم يعطوه أصواتهم. وقيمه أحد مقدمي البرامج التليفزيونية بأنه نafs بقوة على الرغم من المأساة الشخصية التي تعرض لها بمقتل ابنته، ولكنه على الرغم من ذلك لم يتمكن من تخطي المحافظ الحالي.

استشعرت هيه-ري التناقص الملحوظ في كلام أبيها وأمها. وزادت الكلمات الممنوع عليها قولها إذا ما حدث وتبادلت الأحاديث معهما. كلمات مثل الموت، الشرطة، أختي الكبرى، والمحققين. فإذا ما أرادت الحديث عن الموت، تعين عليها البحث عن كلمة أخرى بدلاً من «موت». وإذا لم تتمكن من العثور عليها، فكان من الأفضل التخلي عن فكرة الحديث نفسها.

انتشرت الكلمات الممنوعة بالمنزل كمرض معد.

وأصبح من غير الممكن استخدام كلمات مثل سلطة الذرة التي كانت تحبها جي-سو، و«إيفا ماريا» التي اعتادت أن تغنيها جي-سو كثيرًا، والغمضة، ومجرى بوريم المائي، والسد وغيرها. وفي النهاية فقدوا جميعهم الكلام.

كانت هناك أصوات تصل إلى مسامعها وهي نائمة ليلاً، صوت أبيها المستمر المتعالي والعصبي كصوت أكل الفئران الجائعة للظلمة، وصوت أمها المنهار أو المنخفض كالمسمار المعوج.

- لقد أتى الديانون نهارًا. وظل اثنان من الفتوة بغرفة المعيشة لأكثر من ثلاث ساعات وكأنه منزلهما. وظردنا أنا وهيه-ري إلى المطبخ وغرف الطابق الثاني.

جاء صوت أمها مكتومًا وكان هناك قطعة من القماش على فمها. فيما أطلق والدها صوت حشرجة في الظلام.

- الأوغاد. ألم يكونوا يتبعوني وقد علت أكتافهم الشارات والأحزمة والآن يرغبون في نهش جثتي؟

انزعج الناس من حادثة مقتل الفتاة ولم يرغبوا في أن تكبر القضية أكثر ورغبوا في أن ينسى الموضوع سريعًا. كانوا يفكرون في أنفسهم على أنهم ضحايا لرغبتهم في الخلاص من المسؤوليات المتلاحقة عن الحادثة المأساوية. كان الجاني في ذلك هو عائلة الفتاة. تهامسوا فيما بينهم أن هي-جيه انتقل إلى منزل هاورد من أجل الانتخابات وأنه جلب المأساة لنفسه بتركه لابنته كما يحلو لها

لتقع في يدي القاتل.

بدأ أباهما في شرب الخمر. كان يبلغ مرحلة السكر حتى قبل أن يحل الظلام ويتشاجر مع الآخرين كذلك. أمسك به أكثر من مرة تحت تأثير الكحوليات، ولكن بفضل تجاهل شرطي كان يعرفه للأمر، بالكاد تمكن من النجاة من دخول السجن.

كانت كل الأمور على ما يرام ما لم يشرب أبوها الخمر. كان حنوناً ومراعياً ويضحك كثيرًا ويحب عائلته بصدق. ولكن ما إن يسطه الخمر، كان يعاني صعوبات في التحكم في مشاعره. فيعلو صوت الحائط عندما يضرب رأسه به وقد غرق في أحزانه. وفي لحظة ما بعد ذلك، يعلو صوت آخر ثقيل كأنفجار بالون ماء. كان صوت صفعات أبيها على وجه أمها.

كانت هيه-ري تخنق صوتها بسريرها ما إن يحل الليل، وقد تزايدت في نفسها الكراهية والخوف في الظلام. لدرجة شعرت معها بطعم حزن لاذع كالخل ومالح كالأجاج على لسانها. وصلت إلى مسامعها الأصوات من الطابق السفلي. أصوات احتكاك ثقيلة وتمزق، وأصوات صرخات مكتومة وتأوهات. ومن بعدها، سمعت صوت والدها وهو يبكي قائلاً:

- عزيزتي. هل أنت بخير؟ الدماء تسيل من أنفك. يا إلهي. خذي المناديل... لا، ارفعي رأسك.

لم تصدق حقيقة أن والدها يبكي. ولم تتمكن من أن تعرف مما إذا كان بكاؤه على أختها التي لم تعد أم على أمها المنهارة أم على نفسه وقد أصبح

كالوحوش.

إن الكبار الراشدين ضعفاء لأقصى حد أمام المعاناة. كان يقتل ويحطم كل منهم الآخر وسط الظلام بشكل مثير للسخرية، وما إن ينالهم التعب حتى يفرقوا في نوم قصير.

لم ترغب هيه-ري في أن تفكر في أي منهم. اكتفت بأن تأخذ قلمها الرصاص التي برت سنه بحدة ونغزت به ذراعها. كحيوان صغير ضعيف، لعقت الدماء السائلة عن جرحها وغطت في النوم.

وعندما تستيقظ في الصباح، كانت تبرز علامة اليد الحمراء على خد أمها. علامة متورمة مستديرة كالقمر على عظام صدغها ذات لون مصفر باهت. كانت أمها تنظر للعالم أمامها بعينين باردتين، وما إن تجدها هيه-ري، حتى تتصنع ابتسامة متعمدة. كانت ابتسامة أمها الجامدة غريبة عليها، كابتسامة شخص لا تعرفه.

- أمي، ألا يمكن أن نهرب إلى مكان لا يمكن لأبي أن يلحقنا فيه؟

نظرت أمها إليها شاردة كمريض بالهذيان. بدا أنها كانت تفكر للحظات فيمن هي هذه الطفلة. وبعدها فتحت ذراعها في صمت.

لم ترغب هيه-ري في أن تحتضنها أمها. فأمها التي مدت لها بذراعها ليست بأمها الكاملة. إنها أمها التي فقدت من تحب، أمها التي فقدت نصف جسدها، لم تعد أما تستطيع أن تحتضن هيه-ري وتحميها.

لم تثق هيه-ري في الكبار الراشدين. فلم تعد أختها الكبرى التي قال لها الجميع إنها ستعود، ولم تصبح الأمور على ما يرام وقد قالوا لها إنها ستكون على ما يرام. لم تستطع أن تثق بكلام أبيها وهو يتحسسها بذقنه الخشنة غير الحليقة ويقول لها: «أحبك».

وعلى الرغم من ذلك، تمت هيه-ري أن تخطئ أفكارها. رغبت في أن تصدق أن أمها لم تنسها للحظة وأنها لا تزال تحبها كما كانت.

لم يسبق لأفراد عائلتهم أن عاشوا منفصلين عن بعضهم مطلقًا. حتى في المصيف كانوا يغادرون معًا ويعودون معًا. وبعدها رحلت عنهم جي-سو، تفاجأوا عندما أدركوا للمرة الأولى أنهم قد ينفصلون عن بعضهم في لحظة.

وفي صباح أحد الأيام، سمعت طرقًا على الباب. ظنت في البداية أنه حلم ولكن صوت الطرق على الباب كان متواصلًا ومصرا إلى حد الإزعاج. فتحت عينيها وشعرت بجو الغرفة الخانق والحرارة اللافتة بها.

كان خارج الباب سيدة اعتقدت أنها تعرفها، أو قد لا تعرفها. كانت زوجة خالها التي قابلتها عدة مرات وهي أصغر. طلبت منها زوجة خالها أن تغسل وجهها وأخبرتها أنهما سيذهبان لمكان ما ومن ثم ذهبت إلى المطبخ. وبعد أن اغتسلت هيه-ري، أخذت تمضع رقائق الذرة الموضوعة على طاولة المطبخ بصوت رتيب، ثم سألت:

- أين أمي وأبي؟

توجهت زوجة خالها إلى حوض المطبخ وغسلت الطبق الذي أفرغته هيه-ري عدة مرات تحت الماء الجاري في صمت. وبعد أن جففت الطبق من بواقي المياه، تكلمت أخيرًا:

- هيه-ري، لقد توفي أبوك وأمك.

كذب! كل البالغين يكذبون. قال لها العم بمنزل مالكوم إنه سوف يعثر على جي-سو ولم يفعل، وقالت لها أمها إن أختها الكبرى لم تمت ولكن لم يكن ذلك حقيقيًا. لا بد وأن زوجة خالها تكذب أيضًا.

- لنذهب. يجب أن تسلمي على والديك لمرّة أخيرة. عليك أن تختاري ملابس جميلة لترتيديها.

رغبت هيه-ري في أن تسألها أسئلة كثيرة، ولكنها رأت أنه لا يجدر أن تفعل ذلك الآن. كانت أول مرة تتعرض فيها لموقف كهذا، فظنت أنه عليها أن تتصرف كطفل مطيع. لذلك أخرجت من دولاب ملابسها الفستان الوردى والمعطف الباركا اللذين أهداهما لها أبوها في عيد ميلادها الماضي وارتدتتهما.

كان المستشفى الذي ذهبا إليه مبنى من ثلاثة طوابق من الطوب الأحمر يقع في وسط المدينة. هناك حوالي عشر سيارات تقف في موقف السيارات. كتب على سيارة الإسعاف بالخط الأحمر «نقل المرضى العاجلين» إلى جانب علامة الصليب. ما إن قالت زوجة خالها اسم أبيها حتى وجهها الموظف الاستقبال ذو ربطة العنق السوداء إلى

طابق البدروم بالمبنى الذي على اليمين.

كان السقف أبيض والجدران والأرض باردة وما حولها من معدن فاض بلون فضي لامع. أزال الرجل الذي يرتدي كمامة بيضاء ملاءتين واحدة تلو الأخرى. بدا لها أبوها وشعره المصفف بعناية كالنائم، أو ربما كان غارقًا في أفكاره.

كان وجه أمها نظيفًا بلا نقطة دم واحدة، تعلوه ابتسامة باهتة تكاد لا تظهر. ارتسم على وجهها تعابير كتلك التي كانت تعلوه وهي تستمع للحركة الثانية من سيمفونية برامس الرابعة. بدت أجمل مما كانت عليه وهي حية. هل لأن ظل الألم غادر وجهها؟ تمت هيه-ري ألا تشعر أمها وأبوها بالألم وأمنت بأنهما أصبحا كذلك. قال الشرطي الذي كان ينتظر بالقرب من الباب في زيه الرسمي بعد أن اقترب منهما:

- آسف على الاتصال بك في الصباح الباكر. كما قلت لك، لقد تعرض الزوجان جانغ هي-جيه وكيم سون-أو لحادث سيارة في أثناء عودتهما إلى المنزل. سقطت السيارة في النهر بعد أن اصطدمت بحافة السور عندما كانت تلتف من طريق ضفة النهر لتصعد الجسر. ويبدو أن العجلات انزلقت على الأسفلت المغطى بالجليد. كلاهما فارق الحياة عندما وصلت سيارة الإسعاف.

فقلت زوجة خالها:

- هيه-ري. هل هناك ما تودين قوله لأمك وأبيك؟

كان لدى هيه-ري ما تقوله، بأن أختها الكبرى

كانت تبدو جميلة وهي تضع مساحيق التجميل على وجهها، وأنها كانت تلعب الغمضة بمفردها بالحديقة، وأنها رغبت في الهرب من منزلهم الذي سئمت منه. ورغبت هيه-ري أيضًا أن تريهما شيئًا ما؛ مساحيق التجميل المتبقية من أختها، والكتب أسفل السرير التي اعتادت أن تقرأها لها أختها... ولكن كل هذا الكلام سيظل سزا بينها وبين أختها الكبرى.

فكرت هيه-ري في الكلام الذي كان يجب أن تقوله لأمها وأبيها، الكلام الذي كان من الأفضل أن يعرفاه ولكنها لم تتمكن من قوله، بأنها كانت تخاف من والدها وقد سطله السكر ولكنها أحبته، أنها كانت تبغض أمها التي لا تعتني بها لكنها تشتاق إليها، وأن أختها تلعب الغمضة في مكان ما، ولكن الروح لا يمكنها أن تسمع. لذلك قالت هيه-ري في النهاية:
- وداغا أبي. وداغا أمي.

نظرت زوجة الخال لهيه-ري بعينين مندهشتين وكأنها تلقت صفة على وجهها.

كان خالها يدير مصنعًا صغيرًا لثني المعادن في المنطقة الصناعية الغربية من المدينة. كان بالاسم فقط مصنعًا لكنه في الحقيقة مشغل حرفي صغير خالها هو صاحبه والعامل به. وكانت زوجة خالها أيضًا عاملة هناك بالإضافة إلى توليها مهام الحسابات.

بدأ الخال في إجراءات التبني وتغيير الاسم بعد أن اصطحب هيه-ري إلى منزله وقد شركت قبلها في

منزل هاورد كالجرو المنبوذ. وقد أقنع زوجته التي رفضت ذلك بالثروة التي ستؤول إلى هيه-ري. لكن تلك الثروة أغلبها ذهب لتغطية الأموال التي صرفت على الانتخابات والمتبقي منها ليس سوى حفنة صغيرة في وديعة بالبنك. لكن كان لا يزال لديهما نفقة صغيرة تُدفع كل شهر وفقًا لشروط الاستئمان إلى أن تبلغ هيه-ري السن القانونية.

لم تكن هناك طريقة يمكن بها بيع منزل هاورد لكونه ثروة استثنائية. وحتى إن حاولوا بيعه فلم يكن هناك مشترٍ. فلم يتمكن الناس من أن يمحو من رؤوسهم أن منزل هاورد أصبح موقع جريمة نكراء ومحل مآسي عائلتهم. ذفنت رفات كل من هي-جيه وسون-أو في المقبرة العائلية نفسها التي ارتاح بها جسد جي-سو. شعرت هيه-ري بالفضول لتعرف إذا ما كانت الأرواح تشعر بالوحدة. آمنت أنها لا تفعل ذلك، فعلى الأقل هم الثلاثة معًا.

كان لدى خالها طفلتان أصغر منها بعامين وأربعة أعوام. لم يحمل الزوجان لهيه-ري عاطفة جمّة لكنهما لم يبديا امتعاضهما منها، وقد كانت ترعى لهما ابنتيهما. هي نفسها قامت بغسل دماغها لتقتنع بأنها ابنة خالها الكبرى كيم سو-جين.

همس خالها في أذن زوجته:

- كان الانتقال إلى ذلك المنزل منذ البداية أمرًا خاطئًا. حاولنا جميعًا أن نمنعهم من ذلك لكنهم لم يستمعوا لنا فانظر ما صار إليه حالهم. لقد دمر ذلك الحقيير بمنزل مالكوم كل شيء.

لكن هيه-ري لم ترغب في أن تصدق كلام خالها بأن العم بمنزل مالكوم هو من قتل أختها. قضت في ذاكرتها على الوقائع التفصيلية ومحت كل الأشخاص المتعلقين بالأمر. فقد كانت تخاف من الحقيقة التي ستظهر أمامها في اللحظة التي ستحدد فيها وقائع الحادث بشكل واضح. موت لم يرث له، حقيقة دفنت، مفاهيم وعلاقات متداخلة، أنانية، نفاق وجرائم مخفية.

كان يصعب عليها فتح عينيها المتورمتين صباح كل يوم. وبدا أنه أحاطها حزن في أحلامها لم تعرف سببه فكانت تبكي طوال الليل. لم تتذكر ما سبب ذلك الحزن.

لم يفرق سلوكها الاندفاعي بسبب التغيير الحاد في مشاعرها بين رجال ونساء أو كبار وصغار، ولم يكن معلموها وأصدقائها استثناء من هذه القاعدة. فكانت تلکم وترکل، وإذا لم يزل عنها الغضب، تخربش وتعض وتقذف بالحجارة. ومنذ أن أصبحت طالبة في المرحلة الإعدادية، تكررت استدعاءات ولي الأمر، والإنذارات والفصل المؤقت والدائم عليها بسبب الغياب غير المبرر واستخدام العنف، وإهانة المعلمين والهروب من المنزل.

كانت هيه-ري تحب متجر البقالة المنير الساطع. رأسها يستقيم بشدة كالسهم فقط ما إن عبأته بأماكن وأسعار البضائع المرصوفة على الأرفف.

وبداية من أحد الأيام، كانت تجد في جيوبها أشياء لا تعرفها تمر بها من أمام الخزينة دون أن

تدفع ثمنها، أشياء صغيرة لا تحتاجها جعلتها دائمة في حيرة لماذا أخذتها معها. فتحول إحساس الذنب لديها بأنها سرقت ما ليس لها إلى شعور مثير بالرضا. وعلى الرغم من أنها لم تعرف من هو بالضبط، فقد انتابها شعور بأنها عاقبت شخصاً ما وأنها حصلت على مكافأة لذلك.

وما إن تصل إلى المنزل حتى تشعر بأنفاسها تختنق من الغضب وتأنيب الضمير. اعتقدت أنها تلوث بشيء ما وشعرت بجرائمها تتقيح بداخلها. كانت ترغب في أن تنقي نفسها ولكنها لم تعرف كيف تفعل ذلك. رغبت في أن يكون هناك أحد ما يصفعها على وجهها ولكن لم يكن هناك من يعنفها أو يعاقبها، كانت الطريقة الوحيدة لذلك هو أن تعاقب نفسها بنفسها.

كانت تفرز بطرف قلم الرصاص المدبب فخذها. ينتشر ألم حاد في جسدها فتغيم عيناها. تعض حينها هيه-ري على أسنانها وتثني القلم الرصاص وتكسره. يتوغل الألم إلى جسدها كالمسامير ويترد الأحزان التي بداخله، فقد حل الألم الجسدي محل الألم النفسي الذي لم تكن تطيقه.

تعددت الأدوات تدريجياً، ما بين الحاد واللامع والمدبب... وأصبحت الجروح على ذراعيها وفخذيها أكبر وأعمق مع الوقت وتأخر التئامها تدريجياً. فالجروح التي لم تعالج بشكل مناسب كانت تتلوث وتزداد حدة ندوب الجدره.

تركزت الأنظار الباردة عليها بالمدرسة. فكان

الطلاب الذين يتجمعون ويتهايمسون في زاوية الفصل في فترة الاستراحة يتوقفون عن الحديث ما إن تقترب منهم وينظرون إلى بعضهم بعضاً.

وقبل أسبوع من بداية العطلة الصيفية للصف الثالث الإعدادي، كانت هناك مجموعة من الطلبة الذكور في الممر يثرثرون معاً. سمعت هيه-ري التي كانت تجلس إلى جانب النافذة الزجاجية المطلة على الممر محادثتهم.

- ماذا ستفعل في العطلة الصيفية؟

- لندخل منزل هاورد.

- وماذا نفعل هناك؟

- يقال إن شبخا يعيش هناك.

- كذب. كيف تصدق هذا؟

- لذلك دعنا نذهب ونتحقق بأنفسنا.

اضطرب بطن هيه-ري وشعرت بحرقة به. أتزال أرواح عائلتها تقيم في منزل هاورد ولم تتمكن من تركه؟ أيجلس أبوها على الأريكة الجلدية بنية اللون ويقراً الصحيفة الصباحية؟ أستوقفها رائحة القهوة التي تعدها والدتها من خمول النوم في الصباح؟ أستقرأ لها أختها الكبرى القصص الخيالية عندما يحل الليل؟

تمنت هيه-ري أن يحدث ذلك. رغبت في أن تصدقه. وفكرت أنه لا يمكنها أن تترك منزل هاورد لوطء أقدام هؤلاء الأولاد العدوانية. كان عليها حماية منزل هاورد من أولئك الذين يجهلون وجود

أمها وأبيها وأختها وموتهم، وحياتهم المستمرة بعد الموت.

كانت العطة الصيفية تقترب ولم يتبق سوى أسبوع واحد.

كانت الشجيرات الصغيرة غير المستوية منتشرة بحديقة منزل هاورد المهجورة خلف السور الحديدي الصدئ وقد بالغت الأعشاب في النمو بشكل زائد عن الحد. هناك دراجة صدئة وعلاقة ملابس مهملة ملقيان وسط الأعشاب الجافة. وأسفل ظل الشجيرات الكثيفة، كانت هناك عظام متحللة لشيء ما. بدا أنها هيكل عظمي لحيوان صغير.

تذكرت هيه-ري القطة الميتة التي رأتها في طرف الحديقة وهي طفلة في السابعة من عمرها. كانت أطراف القطة المستلقية على جانبها متصلبة والتفت الحشرات حول طرف أنفها. وبدا الجزء الرفيع الظاهر أسفل عينيها المغلقتين يصرخ مناجيًا باستماتة.

كان جسد القطة وحيذاً وقد استمر في التحلل لفترة. أخذ يتجمد ويسيل خلال الشتاء عدة مرات، وشعرت هيه-ري وهي تراقب جسد القطة البائد بأنها ترتكب ذنباً ما. وفي يوم من الأيام، اختفت القطة. في تلك الليلة، قالت لها أختها الكبرى وهي مستلقية على السرير إنها دفن القطة أسفل شجرة التنوب بالحديقة.

اخترقت هيه-ري الحديقة ووصلت إلى المنزل. استمرت قدمها في الانزلاق بداخل الحفر التي

صنعتها الأخلاق. كانت هناك سلسلة ضخمة وقفل
علاهما الصدا على الباب الرئيسي. نافذة الطابق
الأول مثبتة بمسامير سميكة. لم يكن لديها مفتاح
ولكن لم يهتما الأمر. استدارت إلى ناحية طرف
المنزل فظهرت لها غرفة الخزانات المحاطة بمصارع
خشبية ومغطاة بسقف بسيط.

قامت هيه-ري بتقليص جسدها كالقطة وولجت
إلى داخل المنزل من وسط الفتحات بين الألواح
الخشبية. كان الباب الخشبي الموصل بين غرفة
الخزانات وبدروم المنزل هو الممر السري لهيه-ري
الطفلة عندما كانت تعيش بمنزل هاورد. كانت
تفاجئ أختها في أثناء لعب الغمضة معاً بأن تخرج
من الباب الرئيسي وتعود سراً من خلال ذلك الباب
لتختبئ بداخل المنزل.

وفي نهاية السلم الممتد على طول جدران
البدروم، ظهر لها شعاع مضيء من فتحة الباب
المائل. ما إن دفعت به حتى عادت الحياة للمناظر
التي أمام عينيها؛ السقف المرتفع البعيد والجدران
المستقيمة والنقوش على الأرضية الخشبية اللامعة
والأريكة الضخمة وخزانة الكتب التي غطت
الحائط. كان الأثاث مغطى بملاءات بيضاء وكأنه
منزل ذهب أصحابه في رحلة ما وسيعودون قريباً.

مرت لحظة صمت قصيرة. لثانية؟ أو ربما عشر
ثوانٍ؟ ورأت من الوميض المرتعش القادم من فتحة
الستائر شيئاً ما. لم تكن متأكدة من هيبته بالضبط.
ربما يكون شعوراً خاضاً بها هي فقط أكثر من كونه

شيئا حقيقيا، نوعا من الدفاء والألفة، شيئا فيه حلاوة ومرحبة به، ووجوها تختصر فيها كتلة من كل هذه المشاعر.

كان أبوها وأمها وأختها هناك عند أعلى إفريز السقف، بجانب الدرج، وعلى حواف الشرفة. شعرت بوجودهم بوضوح حتى وإن لم تتمكن من التحدث معهم ولمسهم.

ما إن دفعت بباب غرفة المكتب حتى أصدرت مفصلات الباب الصدئة صوت صرير صاخب. كان هناك كرسي جلدي بني موضوع باتجاه النافذة، كرسي أبيها المفضل، وقد نُحتت كريمة العنب على ظهره الطويل الذي قد يخفي رأس الشخص الجالس عليه. اختفى اللون وبهت على مسند الكرسي الذي كان يلامس مرفق ذراع أبيها، ولا تزال آثار دهنية غامقة تعلو ظهره. قالت هيه-ري لأبيها من خلف الكرسي:

- لماذا فعلت ذلك؟ لماذا ذهبتم جميعا وتركتموني وحدي؟

كان المنزل هادئا ولم يسمع سوى صوت أنفاسها المنتظمة. مررت يدها على الورود ونقوش العنب المحفورة على الكرسي المغطى بالتراب.

لم تخف هيه-ري حتى بعد أن حل الظلام بالخارج. فقد كان منزل هاورد الذي به أفراد عائلتها الأموات أكثر ألفة من بيت خالها الذي على قيد الحياة. كان هناك شمع وعلبة كبريت اشترتهم والدتها ووضعتهم بالخزانة السفلية بالمطبخ تحسبا لانقطاع الكهرباء.

أشعلت الشمع وصعدت إلى الطابق الثاني. كانت
ظلال الشمعة المرتعشة أشبه بأصوات سير الأموات.
لقد كبرت كثيرًا يا هيه-ري. لماذا أتيت متأخرة
هكذا؟ نحن بخير هنا.

لا بد وأن الأولاد سيسرعون بالهرب من هنا ما إن
يروا ظل الشموع المنعكس على النافذة. لن يجروا
أي شخص على الاقتراب من منزل هاورد الذي
تتحرك به ظلال العفاريت.

أخرجت هيه-ري صندوقًا من أسفل السرير بغرفتها
بالطابق الثاني. تصاعد من الصندوق رائحة شاي
سيلاني خفيفة ما إن فتحته. كانت أشياء أختها لا
تزال هناك كما هي؛ أحمر الشفاه ومساحيق التجميل
الجافة، نظارة الشمس ذات الإطار المقشر، الكتب
ذات الجوانب المثنية... بدا لها أنه من غير المنطقي
أن تظل أشياء أختها هناك ولم تعد أختها موجودة.
تذكرت أختها وهي تضحك وقد طلت شفتيها بأحمر
شفاه بلون الخوخ.

- هل أبدو جميلة؟

كان وجه أختها وهي تفرك شفتيها الברاقنتين
ببعضهما حيًا أمامها. كانت أمها أيضًا تضع مساحيق
التجميل، لكن أختها مختلفة. فقد ظلت أمها حتى
بعد أن وضعت مساحيق التجميل على وجهها أمها،
أكثر وضوحًا وجمالًا وحسب. أما أختها بعد أن
وضعت مساحيق التجميل، لم تعد بأختها.

- أكره ذلك لأنك جميلة. لا تبدين كأختي.

نقرت هيه-ري أحمر الشفاه الجاف بإصبعها وطلت

به شفيتها. شعرت بحلاوة طفيفة. هل كانت أختها تضع مساحيق التجميل لتصبح شخصاً آخر؟ شخصاً آخر له أسرار بدلاً من أختها المطيعة المجتهدة في دراستها، شخصاً هي فقط من تعرفه وليس ابنة أمها وأبيها. هل كانت أختها تتزين لأنها رغبت في أن تري ذلك لنفسها وليس لشخص آخر؟

كان في أسفل الصندوق مفكرة بسلك معدني اصفر لونها. إنه دفتر رسم هان-جو. كان وصف منزل هاورد الذي رسمه خشناً وركيك التظليل، وعلى الرغم من ذلك، كان واضحاً ويفيض بالحياة من ذاكرتها. الزخارف البرونزية الصدئة بحواف النافذة وأسراب الطيور المحلقة فوق السقف ومناقير الطيور اللامعة والأعين الصفراء، أفرع شجر السرو القوية والقطط المتسكعة، الأوجه المرححة المازحة التي تستدعي التعاطف...

توقفت يد هيه-ري عند إحدى صفحات دفتر الرسم. جذب انتباهها وجه كان مألوفاً وغريباً عنها في الوقت نفسه. ذكرتها الذقن الرفيعة والشفتان المرتعشتان بأختها. بدت منحنيات الجسد المرسومة بخطوط سريعة كخطوات أختها وكأنها ترقص، أختها التي تنظر إلى خارج النافذة غير عابئة بشيء، أختها التي تقرأ الكتب، وأختها التي تبتسم في وجه من يرسمها وهي تنظر إليه...

كانت الرسومات الحية في كل صفحة تفتحها مرسومة في وضع عري كامل. اشتعلت الإثارة برأسها وكان ضغطاً عالياً مر به. هل رسمها من

خياله؟ أم أنه رسمها وهو ينظر إلى جسد أختها العاري بالفعل؟

تراكم الشمع السائل في شكل مسامير. تحولت حقيقة رحيل أختها إلى سؤال جديد. وقررت وهي تبتعد عن النافذة أن تفهم هذا الأمر المحير، بأن تكتشف لماذا لم تعد أختها، ومن هو السبب في ذلك؟

أخرجت هيه-ري من دولاب أختها ملابس وارتدتها في ظهيرة أحد الأيام الممطرة. كان الفستان ذو اللون السماوي المنقط بالأبيض مهلهلاً ومتأخرًا كثيرًا عن الملابس الرائجة وقتها. كان مقاس الخصر والكتف مناسبين وكأنها ملابس مصنوعة خصيصًا لمقاسها، لكن مؤخرته ضيقة وأكمامه قصيرة. وعلى الرغم من ذلك، لم تنزع هيه-ري تلك الملابس القديمة عنها. فعندما ترتدي ملابس شخص ميت، يمكن أن تغرق في وهم متعمد بأنها كيان حي يتحرك دون أن تعرف أنها ميتة.

توقف المطر، لكن السماء لا تزال متشعبة بالسحب وبواقي مياه المطر المختلطة بالطين تتخلل أقدامها. اتجهت نحو الحمام العام على ضفة النهر وقد بدا وأنها قررت شيئًا ما. أغلقت باب الحمام بإحكام وأخرجت من حقيبتها سكين تقليم القلم الرصاص. تتابعت عليها الآلام والشعور بالغيثان.

عثرت عليها عاملة النظافة بعد أن فتحت الباب المغلق قسرًا. تم إبلاغ الشرطي المسؤول عن حماية القصر والعنف المنزلي بأنه تم العثور على طالبة

تعاني جروحاً شديدة بالقرب من ضفة النهر. كانت نام بو-را قد قضت خمسة أعوام في قسم شرطة المرور بعد حادثة منزل هاورد وانتقلت من بعدها إلى قسم شرطة حماية المرأة والقصر وأنهت لتوها زيارة لموقع حادث عنف منزلي بمنطقتها.

كانت هناك سيدة جاثمة على الأرض تحتضن طفلاً وهي ترضعه في موقع البلاغ. لم يكن الزوج بالمنزل، في حين حملق بها طفل بدا في الخامسة أو السادسة من عمره بعينين مذعورتين. أنكرت السيدة عنف زوجها على الرغم من تورم صدغها وآثار الكدمات على ذراعيها الواضحة.

ومهما سألتها ما الأمر، كررت السيدة أنه لم يحدث شيء وهمهمت بكلمة «فقط...» ولا شيء آخر. وقد كانت لغة السيدات اللواتي يتعرضن للعنف باستمرار الصمت والكذب. لطالما أرق نام بو-را شعورها بالخزي لعجزها عن عقاب مفتعلي العنف أو حماية الضحايا منه.

أسرعت وتحركت بسيارتها باتجاه المستشفى، وعندما وصلت كانت الفتاة نائمة ولم يصل ولي أمرها بعد. علت وجه الطبيب المختص الذي يرتدي نظارته - وبدا عليه أنه في منتصف الثلاثينيات من عمره - تعابير جدية وهو يقول لها إنها أوشكت أن تصبح في خطر شديد إذا ما تأخر العثور عليها قليلاً.

- جرحت نفسها في فخذيها جرحاً عميقاً. كان من حظها أنها لم تقطع أي أوردة. وربما ظلت

تحت المطر كثيرًا مساء اليوم، فقد كانت حرارتها منخفضة جدًا ونزفت كثيرًا. لحسن الحظ استقرت حالتها الآن. ليس من المعتاد أن تكون علامات إيذاء النفس عميقة هكذا ويبدو أنها استمرت تفعل ذلك لفترة طويلة. لا بد وأن المشاعر السلبية بداخلها تراكمت لفترة طويلة لتصل إلى مثل هذه الحالة.

قطبت الفتاة النائمة حاجبها وقد ارتعشت شفتها في حركة غير واضحة. أتحلم حلماً سيئاً؟ فتحت نام بورا حقيبة الظهر الموضوعة على الطاولة بجانب سرير المريضة لتتحقق من رقم الهاتف. كانت هناك بضعة مذكرات دراسية وكتاب خارجي، ورواية «الإخوة كارامازوف» طويت عدة صفحات متفرقة منها، بالإضافة إلى مقلمة ملونة من القماش.

فتحت عند فاصل الكتاب فظهرت لها صورة عائلية بداخله. تفقدت نام بورا الشخصيات الموجودة بالصورة بتمعن. كانت تعرفهم جميعاً. كانوا سكان منزل هاورد ومنهم من قُتل وآخرين ماتوا في عذاب ونسى الناس حكايتهم. تشككت نام بورا فيما إذا كان بإمكانها وصف هذه الصورة بصورة عائلية الآن. سمعت صرير حركة السرير من خلف ظهرها. بدا أن الفتاة قد استيقظت. استدارت نام بورا وتحدثت إليها بأقصى لطف ممكن.

- مرحباً؟ أنا الرقيب نام بورا من قسم حماية المرأة والقصر بقسم الشرطة المركزي.

لم تجبها الفتاة وتفادت النظر إليها. رغبت نام بورا في أن تعرف ما إذا كانت الفتاة تتذكرها، وإن كانت

تذكرها فأني نوع من الأشخاص تتذكرها به.

- أتعرفيني؟ لقد سبق وتقابلنا مرة عندما كنت صغيرة.

نظرت خلسة إليها ثم أخفضت بصرها. عاهدت نام بو-را نفسها ألا تسأل الفتاة لماذا جرحت نفسها، وألا تخيفها بأنه كان من الممكن أن تموت. فلا بد أن هذه الفتاة قد سمعت لمدة طويلة مثل هذا الكلام كثيرًا.

- الأنتك شرطية فقط بوسعك أن تأخذي صور الآخرين ولا تعيدينها؟ قلت إنك ستعيدين صورة أختي عندما أخذتها.

اختلجت مشاعر العداة نظرات الفتاة. عداة لا يحمل كرها أو غضبًا غير مبرر وإنما دعوة مستميتة للمساعدة. في تلك اللحظة، تذكرت نام بو-را أنها نسيت تمامًا أن تعيد الصورة التي استخدموها لعمل النشرة الإعلانية بعد أن انتهت القضية وخل فريق التحقيق. لا تزال تلك الصورة قابعة بصندوق ملفات التحقيق في أرشيف قسم الشرطة.

- أنا أسفة. تعالي إلي بعد أن تلتئم جروحك. سأبحث عن صورة أختك وأعيدها لك بالتأكيد.

مررت نام بو-را لها بطاقة عملها التي كتب عليها مكان عملها ورقم هاتفها. أدارت الفتاة رأسها على الوسادة إلى الجانب الآخر وهي مستلقية على السرير.

- قلت وقتها أيضًا إنك ستعيديها سريعًا. لقد سمعت كل شيء من الطابق الثاني.

لم تنس تلك الفتاة - التي لا يزال ما حدث وقتها حيا في ذاكرتها - موت أختها قط، بل وتعيش تلك اللحظات إلى الآن.

- أسفة. فكانت تلك أول مرة لي وكنت حمقاء غير متقنة لعملتي. لكنني عرفت خطأي ويمكنني أن أستدركه على الفور.

جلست نام بو-را على حافة السرير ولمست جبهة هيه-ري. كانت لديها يد ناعمة ساخنة كالحصى الذي لفحته الشمس، يد أشعرتها بأن أمرا جيدا سيحدث. قالت هيه-ري:

- ما زلت لا أستطيع أن أفهم ما حدث لأختي الآن أيضا. أشعر بأن هناك شيئا خاطئا بالأمر لكنني لا أعرف ما هو.

لم تظن نام بو-را أن لديها الثقة بالنفس لشرح تلك القضية بطريقة قد تدعن لها هيه-ري. فلم يكن هناك شيء تقوم به وقتها وهي مبتدئة سوى الأعمال البسيطة التافهة. فقالت بصوت منخفض وكأنها تحدث نفسها:

- حتى وإن لم تفهمي كل شيء، يمكنك إعادة ترتيب ما حدث، بعدما يمر الوقت وتصلين إلى سن يمكنك معها فهم الأمور بشكل أوضح.

كان ينتاب نام بو-را الشك في هذا حتى وهي تقوله لها. فمهما مر الوقت، لن تتمكن تلك الفتاة من فهم ما حدث. وحتى وإن فهمت، فلن يتعدى ذلك كونه شرحا لما حدث وليس الحقيقة.

لكن هذه الفتاة في حاجة إلى معرفة الحقيقة، حقيقة لا يمكن أن تنكرها حتى وإن كانت قاسية لدرجة لا تستطيع تقبلها. وربما قد لا توجد تلك الحقيقة على الإطلاق.

في الأخبار كانت هناك حقائق وأكاذيب، وكذلك أشياء أخرى ليست بأي منهما، تم التكتم على الكثير، وأغلب الأحاديث الخلفية والإشاعات لم تكن سوى قليل من الهراء.

بحثت هيه-ري في الدور الثالث بالمكتبة الأهلية في كل الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية، وحتى مجلات الفضائح الصفراء بتمعن وأمعنت النظر كذلك في الميكروفيلم بتواريخ الحادث. بحثت في كل ما يخص نشأة منزل هاورد وتاريخه، جمال عمارته وتحليلها، المحتويات المتعلقة بالحادث وتحقيقات الشرطة، المحاكمة، وجميع المقالات ذات الصلة وغير ذلك.

بحثت كذلك عن جيرانها وقتها وأصدقاء أختها، ومعلميها، والشهود ومن لهم صلة بالحادث. كان هناك من توفي ومنهم من لا يزال على قيد الحياة. ومنهم من رفض الحديث ومنهم من لم يتذكر شيئًا. قرأت هيه-ري الأخبار وقابلت الناس وبذلت أقصى جهدها لتتذكر كل ألوان ورائحة وأصوات ذلك اليوم. قرأت ورتبت القصصات حتى ما ليس له علاقة بالحادث وكذلك التثرثرات الخرقاء. فكل هذا يخصها وحدها فقط وكان لديها الحق في أن تحصل على نصيبها من الحقيقة.

جمعت كل القطع من ذاكرتها التي لم تتمكن من أن تفهم لها موضعًا وأضفت عليها المعاني وأعدت ترتيب الحقائق. من المؤكد أنها لن تتمكن من العودة إلى ما قبل وقوع الحادثة حتى وإن كشفت الحقائق المتشابكة عن وجهها، إلا أنها ستتمكن من استرداد مجرى حياتها الذي خرج عن الطريق.

تركت هيه-ري المدرسة وهي في الصف الثاني من المرحلة الثانوية. في ذلك الوقت كانت تكرر الغياب كثيرًا، حيث كانت تذهب لتأمل حديقة منزل هاورد الثالثة وتتسكع بداخل المنزل المتهالك وتعود إلى منزل خالها بعد أن يحل الليل. وكأنها آخر حراس قلعة مهجورة، آخر جنود جيوش المقاومة الذي يصارع العدو بعد أن مات رفاقه، آخر من بقي على قيد الحياة في ساحة معركة دموية.

انتشرت بين الأولاد حكايات مرعبة حول الأنوار المنتشرة بنوافذ منزل هاورد وحول الشبح الذي يتجول بالحديقة الممتلئة بالحشائش النامية. كانت هراءات ولكنها لم تكن بأكاذيب بالضبط، فهي نفسها كانت شبحًا. لقد ماتت ذلك الصيف ولم تكن على قيد الحياة ولو لحظة من بعده.

لم يكن هنا أي شيء غير قانوني أو به مفارقة في قرار المؤسسة بتعيين هان-جو مسؤول صيانة لمنزل هاورد. ترددت هيه-ري حول ما إذا كان يجدر بها أن تسعد للقاءه مجددًا أم تغضب. كان عليها أن تكرهه لأنه ابن القاتل، لكنها لم تفعل.

عودة هان-جو تعني عودة ذاكرته. كان الشخص

الوحيد الذي يمكن أن يحدثها عن موت أختها. وقد رغبت في نفض التراب عن ذاكرته المشوشة وأن توفق القطع المتناثرة معا وتعيد ترتيب كل لحظات ذلك الصيف. اعتقدت أنها حتى وإن لم تتمكن من فعل ذلك، على الأقل سيتمكن كل منهما من أن يفهم الأم الآخر وأن يعالجا جروحهما بتبادل الذكريات معا.

كانت هيه-ري تنظر إلى منزل مالكوم من نافذة الطابق الثاني بمنزل هاورد في الليلة التي عاد فيها هان-جو. رغبت في أن تثبت له أن منزل هاورد ليس بخرابة متهالكة، بأن هذا المنزل ليس منزلاً فارغاً وأنه لا يزال هناك صاحب له وأنها هي صاحبتة.

لم يتعرف عليها هان-جو. اعتقدت أن ذلك أمر جيد. فقد تتلف ذاكرته أو تحرف بشكل أو بآخر لو أنه تعرف عليها، لأنه لن يخبرها بما يرغب في إخفائه أو يتمنى ألا تعرفه.

تأملًا صورة عائلية كانت موضوعة على البيانو وهما يجلسان جنبًا إلى جنب على الأريكة في وقت بعد الظهر بأحد الأيام. كانت التجعيدة المستقيمة ظاهرة على بنطال الحلة السوداء التي ارتداها هي-جيه المبتسم، والدانتيل الأبيض ظاهرًا بوضوح على فستان سون-أو. ظلت آثار المشط على شعر جي-سو القصير، وإلى جانب هيه-ري، وهي تضحك كاشفة عن حفرة بأسنانها وقد فقدت أحدها، جرو صغير من نوع مختلط.

- نوفمبر...

نادت هيه-ري باسم الجرو وكأنها تحدث نفسها.
أخبرها هان-جو بأن ذلك الكلب قد استخدم في
عملية البحث عن جي-سو.

- لأن نوفمبر كان يتذكر رائحة جي-سو أفضل من
كلاب البحث البوليسية.

لم تتذكر هيه-ري ذلك الأمر ولكنها شعرت بوخزة
شديدة في صدرها لسماع اسم نوفمبر. كان شعورًا
بالراحة يثبت أن ماضيها ليس بوهم وأن ذاكرتها
ليست بكذبة.

كان كلاهما رفيق الآخر في آلامه التي يختزنها
بذاكرته، كان رفيقي روح الذاكرة. فبالنسبة للذاكرة،
كانا حيوانين يحملان الخطوط نفسها، وبالنسبة
للألم، هما طفلان ولدا من البطن نفسه، كأنها توأم
متطابق عاشا حياتهما بأكملها معًا، لدرجة لم تفهم
فيها كيف افترقا كل ذلك الوقت وكانا بعيدين عن
بعضهما ولم يتقابلا سوى الآن.

بدت عائلتها بالصورة سعيدة كأنها تُظهر بوضوح
أن الابتسامة الثابتة على وجوههم لن تختفي أبدًا.
لكن هيه-ري فكرت في أنهم لم يكونوا سعداء وأنهم
تصنعوا تلك التعبيرات الباسمة فقط.

لم تقل هيه-ري لأمها وأبيها عندما رأتهما لآخر
مرة سوى كلمة «وداعًا». لقد كانت ترغب في أن
تقول لهما الكثير ولكنها لم تفعل. لم تعرف أيًا من
مشاعرها المعقدة يجدر بها أن تظهره وما يجدر
بها أن تخفيه، ولم تتمكن من الفصل بين الحقائق
والمفارقات، ولا أن تميز بين الخداع وسوء الفهم.

أصبحت الأكاذيب والأسرار واضحة بعدما مز الوقت وركدت الرواسب. لم تف أختها بوعد لها وكذبت أمها عليها. وخدع والده الجميع بالموت.

خلصت الشرطة إلى أن حادث موت والديها - وقد انقلبت بهم السيارة في أثناء عودتهما من زيارة المقبرة حيث ذفنت أختها - يعود إلى القيادة غير المتمكنة على الأسفلت المغطى بالجليد، ولكنها كانت تعرف أن الكبار الراشدين ماهرون في الكذب وأنه لا يمكن الثقة في كلامهم.

لم يكن هناك سبب يدعوها للذهاب لزيارة أختها، لأنهما اعتقدا أن أختها لا تزال باقية بمنزل هاورد. لم يذهبا لأختها ولكنهما ذهبا ليعثرا على الأسفلت المغطى بالجليد.

في أحد الأيام التي سطعت فيها الشمس أكثر من المعتاد، أطلع هان-جو هيه-ري على حلمه.

- أرسم، ومهما أغرقت الفرشاة في الألوان، تظل جافة، ومهما ضربت بها على «الكانفس»، ظل فارغًا. أنا خائف، خائف من ألا أتمكن من الرسم مجددًا كما يحدث في أحلامي.

كان يتوسل لها لتساعده، لتخرجه من المستنقع الواقع به. تأثرت هيه-ري كثيرًا لتضرعه واعترافه الصريح بغض النظر عما إذا كان بإمكانها فعل ذلك. شعرت بأنها هي وحدها من تعرف أي شخص هو وأنها الدليل الوحيد الذي قد يتمكن من إثبات أنه على قيد الحياة.

رغبت هيه-ري في أن تجعل هان-جو يحبها من

كل قلبه ويكرهها ويخافها ويتذلل لها. رغبت في أن تجعله يحبها بعمق أكثر مما كان يحب أختها. أمنت بأنه إذا ما حصلت موهبته على الخلاص فإنه سينجو أيضًا، وأنها هي أيضًا ستتمكن من النفاذ من الظلمة التي لا مخرج لها.

- أنت يا عزيزي لست بغير قادر على الرسم، فقط لم تجد ما ترسمه. وإذا ما وجدته فإنك سترسم أعمالاً عظيمة.

أراحت هيه-ري ذراعها على قماش «الكانفس» الأبيض المفروش على الأرض وانحنت ونظرت إلى هان-جو بتمعن، كأنها تسأله: لِمَ لا ترسم هذا؟ انظر إليّ بعيني حداة سوداء محلقة عاليًا في السماء، مثل اليعاسيب ذات آلاف الأعين. انظر إليّ كالأسد الذي يلاحق فريسته حتى في الليل، كما ينظر المعماري لمخطط معقد، انظر لي أنا فقط كما ينظر عالم الجغرافيا إلى خط «الكنطور».

من الآن أصبح له طريقة خاصة في النظر إلى الأشياء. سيرسمها بطريقة لم يشهدها أحد من قبل. وليفعل ذلك، لن يتوقف عن النظر إليها، وكأنه يستطيع أن يفعل ذلك إلى الأبد.

فكرت هيه-ري أن ذلك الأمر الذي لم يجب أن يحدث، والذي لا يمكن أن يصبح شيئًا لم يحدث، سينسى مع الوقت. ولكن ذلك الشيء ترك جرحًا بداخلها وحدد العلاقة بينهما للأبد وأصبح وصمة فيما بينهما.

لقد ماتت تلك الفتاة التي اشتاقت لهان-جو

وأحبته لزمّن، فهو قتل جزءًا بها. في لحظة، سرق منها الاطمئنان والسعادة اللذين قدمهما لها.

لم ترغب في علاقة جسدية معه. على الأقل ليس في ذلك الوقت، ولا ذلك المكان، ولا بهذه الطريقة، ليس لأنها لم تحبه. لقد أحبت هان-جو، ولكن لم تستطع أن تسمح له بذلك وهو متلهف بشدة. كانت مشاعرها مختلطة ما بين شعورها بالندم لبقائها على قيد الحياة بمفردها وافتقادها لعائلتها، وشعورها بالقلق من حبها ابن قاتل أختها.

ومنذ ذلك اليوم كررت هيه-ري على نفسها سؤالًا واحدًا: لماذا لم يتوقف؟

قال لها هان-جو إنه بسبب الحب، قال لها إنه لم يتمكن من التوقف لأنه يحبها. ولكن كيف يمكن لحب يتجاهل الثقة أن يكون حبًا؟ فليس هناك ثقة مقسومة إلى ثقة بنسبة 51% وعدم ثقة بنسبة 49%. إذا لم تكن هناك ثقة بنسبة 100% فلا وجود لها على الإطلاق. وحتى إذا كان حبه حقيقيًا، فمن المؤكد أيضًا أنه ارتكب جريمة فادحة لا يمكن تجاهلها.

ظنت هيه-ري أن ما حدث كان بسبب وهم وسوء تفاهم، ولامت نفسها على تسببها في وهمه وسوء فهمه. ولكن إذا كان ذلك وهمًا، كيف تكون هي المخطئة وليس هو الذي توهم؟

فجأة تذكرت رسومات هان-جو العارية لأختها التي اكتشفتها بداخل الصندوق. لقد أرضى رغباته الجسدية أكثر من حبه لأختها. ولم يكن يفهمها، بل

اكتفى باتباع أطماعه الفنية فقط. انفجرت غضبا بداخلها من أنانيته التي استغل بسببها الشخص الذي يحبه في أعماله وتحول حبه له إلى اشمزاز.

لكن هيه-ري لم تتمكن من لوم هان-جو. فلو كان إنسانا سيئا لتمكنت من أن تكرهه، لكنه يحبها وهي تحبه، وتلك الحقيقة عذبتها بشدة.

فكرت في اللجوء إلى القضاء. ولكنها كانت قد اختبرت في سن صغيرة حقيقة أن العالم لا يرثو الضحايا ولا يحمي المجني عليهم. فقد تعاطف الناس في البداية مع أختها التي قُتلت، ومع والديها اللذين ثوفيا في حادث، ومعها وقد أصبحت يتيمة، ولكن ما لبثوا أن ضجروا منهم ونسوهم.

لم تقف الشرطة والقانون والمحاميون كذلك في صف الضحايا. وما يثبت ذلك سجلات المحاكم ونصوص الأحكام، وأحكام النيابة وتوجهاتها المنتهية بعدم كفاية الأدلة، والصلح، وتعليق الحكم، ووقف الحكم وعدم ثبوت تهمة. وفي الوقت الذي يتصالح فيه الجناة ويقدمون الالتماسات ويحصلون على العفو، يشير الناس أصابع الاتهام للمجني عليهم ويطردهون من منازلهم وأعمالهم ويعانون ويزهقون أرواحهم بأنفسهم.

ستثار الأسئلة كافة حولها بدلا منه إذا طرأت حادثة عنف. لماذا ذهبت فتاة صغيرة إلى منزل رجل بمفردها؟ لماذا تخلع ملابسها وهي بمفردها مع رجل؟ لماذا لم تصرخ؟ وستتحول الأسئلة إلى اتهامات ومن ثم تتحول إلى ازدراء، لأنها فتاة بلا

والدين طردت من المدرسة وتصرفاتها سيئة.

وستتلخص مناوشات المحامي والنائب العام، التي يسألان فيها عن كل تفصييلة صغيرة، في سؤال القاضي الأخير: «هل أحبت المدعية المدعي عليه؟» ولن تتمكن من أن تجيب بغير أنها فعلت. سيستاء القاضي ويسألها مجددًا: «ولكن لماذا تقاضين المدعي عليه إذا؟».

حينها لن تتمكن أبدًا من تقبل تلك المحاكمة المستندة إلى وجهة نظر مكشوفة ومزرية بشكل لا مثيل له.

تعرفت نام بو-را التي كانت تكتب تقريرًا في قسم حماية المرأة والقصر في قسم الشرطة المركزي على هيه-ري على الفور. أغلقت نام بو-را الملف الذي كانت تعمل عليه وأخرجت من درج مكتبها ظرف أوراق بني اللون.

تركنا المبنى وخرجنا من باب جانبي بقسم الشرطة إلى الحديقة المجاورة. بدا أن نام بو-را قد زادت وزنًا بعض الشيء وهي تراها الآن أسفل أشعة الشمس عما رأتها عندما زارتها في المستشفى. جلسنا على كرسي بالحديقة جنبًا إلى جنب أسفل شجرة الزلكوفا.

مررت لها نام بو-را ظرف الأوراق الذي كانت تحمله. كانت هناك صورة باهتة بالظرف. بدت جي-سو بالصورة التي تحللت المواد الكيماوية بها فبهتت أطرافها، وكأنها غاضبة أو ربما كانت تضحك. بدا لها كذلك أنها تراقب تعابير وجه هيه-ري بعد أن

أقلت عليها سؤالاً يصعب إجابته. نظرت هيه-ري
بتمعن في صورة أختها الكبرى ثم قالت:

- أرغب في سماع قصة منزل هاورد. ليس المنزل
بالتحديد، بل كل شيء عن حادثة قتل أختي التي
عاشت بمنزل هاورد.

بدا لنام بو-را أنها سمعت هذا السؤال عشرات
المرات وشعرت بأنها تألف هذا الموقف كما لو
أنها تعرضت له كثيرًا. إنه ذلك الموقف الذي يهرع
فيه إليهم عائلات الضحايا فجأة منددين بنتائج
التحقيقات غير المحكمة ويطالبون فيه بالحقيقة.
شعرت بأن الضياع الذي تعانيه تلك الفتاة وهي
تبحث عن سجلات التحقيقات والمحاكمة بسببها،
لأن أمرًا مثل هذا لم يكن ليحدث لو أنها أتقنت
عملها وقتئذ.

- كانت تلك أول قضية لي، كما أنها أكثر قضية
لا أزال أحتفظ بها في قلبي. كنت عضوًا في فريق
التحقيق وقتها، ولكن لم أقم سوى بتحضير القهوة
للآخرين، لأنني امرأة، ولأنني مبتدئة، ولأنني لست
خبيرة في التحقيقات الجنائية... كل ذلك لا يبدو
أكثر من مجرد أعذار، أليس كذلك؟

بالكاد انتهت نام بو-را من حديثها ثم وضعت يدها
على شفتيها وقضمت الزوائد الجلدية بهما. أجابتها
هيه-ري:

- لا آتي الآن لألقي اللوم على أحد. حتى وإن فعلت
فلن يغير ذلك شيئًا ولن يرضي أي أحد.

- لماذا أتيت إذن؟

- فقط... أرغب في أن أعرف... أين يقع الخطأ بالضبط؟

كانت نام بو-را تحتاج إلى الوقت لتقبل حقيقة أنه لا يمكن تجاهل تلك القضية ولا يجب أن تفعل ذلك. بالنظر للأمر من الخارج، كانت التحقيقات في تلك القضية ناجحة بشكل كافٍ. فقد تلقوا الحوافز بعد أن انتهت التحقيقات وحصل أعضاء الفريق كذلك على ترقية. كما حصلت هي أيضًا على معاملة خاصة في الترقيات والتحقيقات الرسمية. ولكن ذلك لم يبعد عن رأسها إلى الآن فكرة أن هناك شيئًا خاطئًا.

- أرغب في أن أطلعك على كل شيء ولكني لا أعرف ماذا أقول. ولست متأكدة مما ترغبين في معرفته، وإذا ما كان لديّ الإجابة لذلك...

- أخبريني عن العم بمنزل مالكوم. كيف عرفتم أن العم هو المجرم؟

رتبت نام بو-را أفكارها للحظات. لكم تغيرت الآن حياة الكثير إذا عُرضت جريمة لي جين-مان بشكل واضح ودون أي مجال للشك. فالحقائق لم تتضح حول من تسبب في قتل سكان منزل هاورد وسكان منزل مالكوم وطردهم وتدميرهم، ظل سؤالاً بلا إجابة. أخذت نفسًا عميقًا كفواص يستعد لنزول الماء ثم قالت:

- عندما ضيقنا شبكة البحث، تبقى رجال منزل مالكوم فقط. كان الولدان مقربين من جي-سو ولكن هناك حجة غياب لهما. مع أنه لا يمكن الوثوق

بهما تمام الثقة، لكن الأخوين كانا معًا وقت حدوث الجريمة. أما حجة غياب لي جين-مان لم تكن محكمة وأكتشف أن لديه سابقة جنائية وهو شاب، فانتقل التركيز في التحقيقات عليه. ثبتت عليه الاتهامات أكثر بعدما عثر على قصاصات الجرائد المتعلقة بالحادثة وصور جي-سو كذلك بغرفة العمل الخاصة به... ونتائج تحليل السائل الذي عثر عليه بداخل جسد الضحية كانت هي الفيصل.

سألت هيه-ري باقتضاب:

- ولمن كانت؟

في حين أدارت نام بو-را رأسها ببطء وأجابت:

- لم يكن ممكناً الحصول على بيانات دقيقة بتقنيات ذلك الوقت. كانت كمية السائل كذلك ضئيلة ومر عليها وقت كبير ففقدت أهليتها كدليل... لكنها كانت مؤثرة في الحصول على اعتراف المتهم. فقد اعترف لي جين-مان بكل شيء حتى قبل مواجهته بتحليل فصيلة الدم التي تم التحقق منها بالسائل. اعترف بكل شيء في هوادة بأنه تبع الضحية إلى مكان بالقرب من السد اعتاد أن تذهب إليه وأنه اعتدى عليها وقتلها وتخلص من الجثة برميها بالخزان. كان لا يزال هناك بعض النقاط المشكوك بها ولكن...

- اعترف المجرم فما الذي بقي للشك فيه؟

- سأل لي جين-مان إذا كان اعترافه سينهي القضية، وما إن أكد له رئيس فريق التحقيق ذلك حتى قال إنه سوف يعترف بارتكابه الجريمة بأكملها

على ألا نقترّب من أولاده. أمر غريب، أليس كذلك؟
أليس طلبًا مفاجئًا لا داعي له إذا كان هو مرتكب
الجريمة بالفعل؟

لم تتمكن نام بو-را من التخلص من عادة إنهاء
كلامها بصيغة الاستفهام. أدركت هيه-ري لحظتها أن
حياتها بأكملها مبنية على أسس من الأكاذيب.

- لم تكن هناك أي أدلة سوى اعترافه، إذا لماذا
أحيل إلى المحاكمة؟

- تصديق الأكاذيب لا يعتمد على مدى إحكامها
ولكن على مدى ما يرغب الناس أن يصدقوه. فوقتها
عانى فريق التحقيق ضغطًا من أعلى وكذلك من
ضغط الإعلام بضرورة سرعة العثور على القاتل.
وكان الوضع أقرب إلى أمر بتنفيذ ذلك حتى ولو
بابتكار المجرم.

قالت هيه-ري وكأنها تلومها:

- حتى لو سينتهي الأمر بضبط مجرم مطابق
للأوصاف فقط أكثر منه نتاج تحقيق؟

أخفضت نام بو-را رأسها. شعرت بالرياح التي
تلامس بشرتها وكأنها إبر.

- لسنا بألهة، من نحن لننقذ الناس من قاتل متعمد؟
وكيف لنا أن نكشف عن حقيقة القضايا كافة؟
نحن فقط نفكر ونعيد التفكير مرارًا فيما لا نعرفه
بناء على ما توصلنا له. نخمن ونضع الفرضيات
ونستنتج، بل ونتوهم أيضًا. هذا هو فقط ما يمكن
أن نفعله، فالمنطق والأدلة هما لغة التحقيق.

جادلتها هيه-ري:

- ولماذا لم تفعلوا ذلك وقتها؟

اضطربت نام بو-را وأخذت تعدد أعذارًا ليست بأعذار.

- كان من المؤكد أن لي جين-مان هو القاتل بناءً على المنطق والأدلة. فقد تطابقت فصيلة دمه مع السائل المستخرج من جسد الضحية. لم يخل الأمر من الشك ولكن تلك الشكوك لم تكن كافية لتكون أهم من اعترافه. وكان من المنطقي أكثر أن يكون القاتل هو وقد كانت له سابقة جنائية عن أولاده الصغار... قد يبدو ذلك كله أعذارًا، لكن رئيس فريق التحقيق في ذلك الوقت كانت له ثلاثة مبادئ للتحقيق. الأول أنه يجب أن تكون حقيقة يمكن إثباتها. فلو لم تكن الحقيقة، على الأقل يجب أن تكون الأقرب إليها. والثاني أنه يجب أن نفكر في موقف الجاني والمجني عليه في الوقت نفسه. والأخير أن تكون هناك أشياء يستدل بها يتقبلها المجتمع. لم تخرج التحقيقات في تلك القضية عن هذه المبادئ، وليس بوسعي أن أفعل شيئًا تجاه شعوري بثقل في قلبي كلما فكرت فيها. فقد وفقنا قطع الأحجية معًا، لكن الصورة لم تظهر.

كان اعتراف نام بو-را بتقصيرها مبهمًا وغير مقنع، لكنه بدا صادقًا. قالت هيه-ري:

- ما هو أقرب للحقيقة ليس الحقيقة. فماء البئر يصبح سقا إذا نُفِثت به قطرة سم واحدة.

استدارت هيه-ري وسارت بعيدًا. كان واضحًا أنه

لا يمكن تصديق إفادة الأخوين بأنهما كانا معا وقت الحادثة. لماذا كذبا؟ لا بد أن ذلك لحماية أحدهما. من هو إذا؟

تحول تخمين هيه-ري بأن العم بمنزل مالكوم قد لا يكون المجرم مع مرور الوقت إلى يقين بأنه لا يمكن أن يكون قد قتل أختها. فقد كان العم بمنزل مالكوم شخصية لا يمكن أن تخطط لجريمة قتل أو أن ترتكبها، كما لم يكن لديه القدرة على ترتيب الأمور فيما بعد الجريمة. قد يفقد قدرته على ضبط النفس للحظات بعد أن يعميه الغضب ولكنه لم يكن شخصا متقلب العواطف أو متهورا لدرجة أن يقتل إنسانا. أصبح العم قاتلا ليس لأنه ارتكب جريمة قتل بل لأنه اعترف بها. لم يكن هناك شك في اعترافه ولكن فعلة القتل نفسها كانت تملأها علامات الاستفهام.

وإذا كان العم هو من قتل أختها فهل كانت جريمة مخططة؟ أم أنها عرضية؟ هل فكر أنه يمكن أن يحيا حياة طبيعية بعد أن قتل إنسانا؟ وهل كان سيقتل شخصا آخر إذا لم يتم القبض عليه؟ وإذا لم يكن العم هو القاتل فلماذا قام باعتراف أحق كهذا؟ خلصت التساؤلات كافة في النهاية إلى سؤال واحد. من بحق السماء قتل أختها؟

تحدثت هيه-ري مع هان-جو عن مقتل أختها دائما. كانت تسأله بشكل مباشر، كما كانت تفتح الموضوع بشكل مفاجئ في نهاية حديث لا علاقة له بالأمر. كان يتعثر في الحديث وتبرز العروق بعنقه عندما يتحدث عن والده. بدا عليه الندم كذلك وهو

يتحدث.

وفي يوم ما بعد الظهر، كانا يجلسان جنبًا إلى جنب على الضفة وأمامهما النهر بممشى التنزه. فاضت مياه النهر وقد وصلت لأعلى مستوى لها بسبب الأمطار التي تساقطت منذ عدة أيام. كانت ضفة الخزان تظهر عند نهاية ممشى التنزه الضيق، في حين لمعت أنوار سيارات الشرطة التفقدية التي أخذت تتجول ببطء حول المكان.

كان هان-جو يجلس في هذا المكان عندما تم العثور على جثة جي-سو. عادت الحياة للمناظر التي شاهدها ذلك اليوم في ذاكرته. الخط الأحمر المكتوب على الشريط الأصفر، ممنوع الاقتراب، زي المدرسة المبتل، الناس الذي يهرعون إلى ضفة النهر، أنوار السيارات اللامعة، صوت الصفارات الصاخب، صوت الطائرة الهيلوكوبتر المزعج...

فكر هان-جو إذا كان قد بكى وقتها، لكنه لم يستطع التذكر. قالت هيه-ري:

- لقد تعاهدت أنا وأختي صباح ذلك اليوم بأنها ستقرأ لي الجزء الأخير من «كلب آل باسكرفيل» قبل النوم. لكن الشمس غربت ولم تعد أختي. توجهت إلى الخارج واستندت إلى السور الخشبي وانتظرت أختي، وهناك رأيت ثلاثة أشخاص.

شعر هان-جو أنها خططت لهذا الحديث بروية منذ زمن. وربما قد تكون آلت أجزاء منه في وسط الحديث لتثيره. فقال بصوت متشكك:

- من هم؟

- العم بمنزل مالكوم وأختي. وكان هناك شخص آخر.

أكملت هيه-ري حديثها في هدوء:

- كان العم يجلس على الكرسي الهزاز بالشرفة ويشرب الجعة. في تلك اللحظة جاءت أختي مسرعة فجأة من جهة الدرج المؤدي للبدروم بالمبنى المنفصل حيث المرسم. جرت أختي إلى أعلى باتجاه التل ولم ترني. ظننت أنها تبكي لأنها كانت تحتضن وجهها بين يديها. كنت سعيدة لرؤيتها وأوشكت أن أناديها عندما صعد شخص آخر الدرج وتبع أختي. أسرع ذلك الشخص يلاحق أختي التي ركبت الدراجة واختفت خلف التل. كانت تلك آخر مرة رأيت فيها أختي.

نظر هان-جو إلى قاع النهر الصلب الذي تجري به المياه في هدوء. تذكر الحصى الثقيل وشكل الماء، السمك العائم بالماء ببطء وسط الأضواء المتحركة والأعشاب المائية المتراقصة، تلك الأشياء التي غاصت إلى عمق ذاكرته. لم يكن هناك شيء بوسعه فعله وسط كل ذلك سوى النظر إليه والشعور بالأسى العميق. أجبر نفسه على إخراج الكلمات من صدره.

- ومن كان هذا؟

سلطت الشمس المعلقة بغرب السماء أشعة صفراء كجرح متقيح، في حين هزت الرياح المحملة برائحة شجر الصنوبر القادمة من الغابة شجيراتنا ومرت. أجابت هيه-ري:

- لا أعرف. لم أر وجهه بوضوح في الظلام.

لم يسأل هان-جو أكثر، فاطمأنت هيه-ري. كانت خائفة من أن تتذكر ذلك الوجه إذا سأل وأن تقول اسمه. وعلى الرغم من أنها كانت تتمنى تذكر كل ما نسيته، أملت في أن تبقى تلك الذكريات مبهمه. يمكنهما بذلك أن يحتفظا بالذكريات التي يحتاجانها فقط ولا يخوضا في الأم الماضي المدفون.

في ذلك اليوم، نزلت هيه-ري التل وهي تبكي وكان العم بمنزل مالكوم يشرب الجعة في الشرفة. كانت تتذكر بوضوح صرير الألواح الخشبية أسفل قدميه. أراح العم ركبتيه على الحشائش النامية كما يحلو لها واحتضنها بين ذراعيه. تصاعدت من العم رائحة الجعة اللاذعة ومن الحشائش المسحوقة رائحة مزة. أخبرته أن أختها رحلت عنها وكأنها لم ترها، وأنها قد وعدتها بأنها ستقرأ لها قصة لكنها هربت إلى أعلى التل.

- هل افتعلت أختك أمرا لتهرب؟ أم كان أحد يطاردها؟

لم تتمكن من أن تقول من رآته بالضبط. فقد اعتقدت أن أختها لن يصيبها شيء إذا لم تخرج ذلك الاسم من فمها.

- ولد ما.

ارتعش حاجبا العم الكثيفان. فكر للحظات ثم أمسك بيد هيه-ري واصطحبها إلى المنزل. توقف العم أمام باب المنزل وقال لها:

- انتظري بالبيت. سأبحث عن أختك، وسأمسك بذلك الولد وأعنفه.

لكن العم لم يجد أختها ولم يتمكن من الإمساك بذلك الولد أيضًا. كذلك لم تعد أختها في تلك الليلة. لقد كذب العم عليها. ولكن لا يمكن القول قطعًا بأن العم قد ارتكب جريمة القتل. قال هان-جو:

- لماذا لم تقولي شيئًا وقتها؟ ربما إذا قلت ذلك وقتها لما أصبح والدي قاتلاً.

تسللت إلى أنفيهما رائحة عوادم السيارات المسرعة على الطريق بفعل الرياح الدافئة. لم تتمكن هيه-ري من تحمل الصداع والغثيان اللذين شعرت بهما.

- لم يسألني أحد. ولم أعرف معنى ما رأيت وقتها ولم أعرف إذا ما كان يجدر بي قوله أم لا. أدركت بشكل مبهم أهمية ذلك كدليل بعد أن أصبحت طالبة في المرحلة الإعدادية. تذكرت فجأة في يوم ما ولكن ماذا كان بوسعي أن أفعل؟

- ولكن لماذا بعد كل هذا الوقت تقولين إنه ليس أبي؟

لوى هان-جو شفتيه. شعرت هيه-ري بألم يعتصر صدرها وكأن معاناته تخصها هي. أسرعت إليه كورق الشجر الجاف الذي يسقط على أنابيب الصرف. كان وجهها الذي التصق برقبتة باردًا وجامدًا كقطعة ثلج. سألتها هان-جو:

- من هو إذا؟

لم تجب هيه-ري، ليس لأنها لا تريد ولكنها لم تتمكن من ذلك. الإجابة قد تستغرق أيامًا للعثور عليها وربما العمر بأكمله. طارت الحشرات في سماجة وسط هواء الليل العابق بالضباب. والتقت الطيور الحشرات الصغيرة الطائرة بمناقيرها اللامعة بسرعة.

اعتري هان-جو الفضول حول ما إذا كانت هيه-ري تتجنب الإجابة على الرغم من معرفته أنها لا تستطيع ذلك لجهلها بالإجابة.

نظرت هيه-ري إلى هان-جو. في تلك الليلة، خرجت أختها مسرعة من المرسوم ولم ترها وركبت الدراجة وصعدت التل. وجرى ذلك الشخص الذي صعد الدرج خلف أختها بلا وعي إلى خلف التل حيث اختفت. كان ذلك الطريق الجبلي متصلًا بمجرى بوريم المائي الذي يتصل بالخزان والسد في النهاية.

لم تتمكن هيه-ري من معرفة كيف تربط هاتين الحقيقتين معًا، إلى أن رأت لوحة «أوفيليا: الصيف» التي رسمها هان-جو فاعتقدت لحظتها أنها قد تفهم موت أختها بإشارة إبهام.

كانت المرأة مستلقية في الماء وقد غطى وجهها حجاب شبه شفاف رفيع. كما كان التل المليء بالعشب منبسًا خلف المستنقع الأسود حيث تنمو الأعشاب البحرية البنية، ظهر هناك منزل هاورد. كانت نافذة الغرفة بالجانب الأيمن بالطابق الثاني مفتوحة؛ منظرًا حزينًا... تكتنفه مشاعر قلق غير

بدأت المرأة حببسة الماء لنصفها وقد علا رأسها تاج من الورد الضعيفة. كان جسدها الممتلئ بالجروح هنا وهناك هزيلًا وباهتًا. قال لها إنه عبر عن شكل أوفيليا الأسطوري من خلالها كعارضة ولكن ذلك كان شكلاً لم يسبق أن فكرت فيه هي نفسها بصفتها المعنية بالأمر. لا شك أنها كانت تنظر إلى وجهها، لكنها فكرت في شخص آخر.

وفي لحظة ما، تيقنت أن المرأة بلوحة «أوفيليا» ليست هي وإنما أختها. لماذا رسم أختها؟ هل رأى أختها وهي تغرق في الماء؟ هل ابتسمت أختها كما المرأة باللوحة وهي تغرق في الماء؟ فيمن فكر ليرسمه من بينهما: هي أم أختها؟

جعلتها حقيقة أن أختها الميتة تأسره بقوة أمام عينيه أكثر منها وهي حية تشعر بالتشوش. لكن الحقائق التي عثرت عليها فيما بعد كانت منظمة وردت ذاكرتها المبعثرة إلى مكانها.

لطالما رسم هان-جو أختها ولطالما لاحقتها عيناه. لم تتقبل أختها حبه ولكنها استمتعت بذلك الموقف. كانت تتردد أختها على مرسمه دون معرفة والديهما وجعلته يرسمها، والدليل على ذلك الرسومات العارية لها بالدفتر الذي كان بصندوق أسرارها.

كانت قد خبرت من قبل ميل هان-جو للعنف الذي لم يسلم منه الأشخاص الذين يحبهم. أليس السبب في هروب أختها من المرسم وهي تبكي لأنها كانت تهرب من إجباره لها؟ وإذا كانت تلك الحقيقة، فذلك

يفسر السائل الذي وُجد بداخل جسد أختها.

قلب الاعتراف الكاذب والحكم الخاطى الحقيقة. وتجاهل جميع سكان منزل هاورد الحقيقة وهربوا من الواقع. فلم يستطيعوا مواجهة مقتل ابنتهم ومات الوالدان بعدما اختبأ خلف أوجه حزينة أو غرقا في شرب الخمر والاكثئاب. لقد انتهت المدة القانونية للقضية، وسيكون من المحال أن تتم إعادة التحقيق أو المحاكمة، ولن يكون هناك أي معنى حتى وإن كُشف عن المجرم الحقيقي. فأصبحت مهمة إدانة المجرم من نصيب هيه-ري.

أكثر الطرق الكلاسيكية لإدانة المجرمين هي إيقاع العقاب عليهم. العين بالعين والسن بالسن. والسبل لذلك لا حصر لها. مسدس أو سكين، سم أو كهرباء، السيارة أو الدواء... يمكن أن تقتله بنفسها، أو تعهد لأحد بذلك. ولكن أليس الموت السريع في لحظة قصيرة بعقاب رحيم على القاتل؟ فربما لا يدرك القاتل جريمته في لحظة موته، وحتى إن أدركها فسوف يتحرر بسرعة كبيرة من الشعور بالذنب والألم.

رغبت هيه-ري في أن يعاني قاتل أختها لمدة أطول منها وأن يفقد أشياء أكثر وأكثر. رغبت في أن يتلقى نظرات أكثر برودة من التي تحملتها وأن يمسك عن دموع أكثر مرارة مما ذاقتها وأن يبكي بحرارة أكبر مما بكت هي. رغبت في أن تصيبه بجروح أعمق وأكبر من تلك التي خطتها على جسدها.

كانت بحاجة إلى طريق للانتقام تلحق به ألقا لا يكفي أن يعانیه طوال حياته. ولكن كلما فكرت فيه، تجده طريقًا معقدًا أو مباشرًا بشكل زائد عن الحد، وإن لم يكن كذلك فيكون غير محكم. وفي يوم ما، خطرت لها فكرة ما كومضة ضوء مفاجئة. ومع مرور الوقت، برزت الملامح التفصيلية الواضحة لفكرتها السخيفة.

كان الهدف هو انتزاع أكثر شيء عزيز وغالي لدى القاتل. المشكلة أنه لم يكن هناك أي شيء لدى هان-جو لتسلبه منه. كل ما يمتلكه هو يأسه من المستقبل وخيبة أمله في الحياة. ولن يكون الموت لشخص فقد الرغبة في الحياة سوى رحمة لا يمكن أن تصبح عقابًا أو انتقامًا لائقًا.

إذا رغبت أن تسلبه شيئًا ما، فهي بحاجة إلى وجود شيء يملكه. يجب أن تسترد كل من النجاح والشهرة اللذين لم يحلم بهما من قبل، الثروة والسلطة، والمنزل الدافئ والزوجة الجميلة والأولاد... في تلك اللحظة التي يشعر فيها بالرضا لحصوله على كل شيء ويثق في أنه سيتمكن من التمتع بإنجازاته كما يحب وأن كل تلك الأشياء لن تنهار.

ما أكثر ما يخاف فقده وما أكثر ما سيؤلمه ضياعه منه؟ بالتأكيد الحب سيشكل ألقا فورًا وقاضيًا، ومن بعده الثروة والشهرة والاسم. بذلك يبدأ الانتقام منه وينتهي من الحب والخيانة. كانت خطة محكمة تحتاج إلى الصبر والتضحية لوقت

طويل، والتلاعب العاطفي الماهر وقوة الخيال الدقيقة.

كانت هيه-ري تحتاج للإجابة على سؤال من شقين: هل بإمكانها أن تحب قاتلاً كما كانت تفعل إلى الآن؟ وإذا كانت كذلك هل بإمكانها أن تحافظ على بغضها له وهي تحبه؟

غادرت هيه-ري مدينة إيسان لتبحث عن الإجابة لهذا السؤال. فلم يكن باستطاعتها أن تشك في هان-جو وهي تحبه. لم يكن باستطاعتها أن تحمل له مشاعر متضاربة بين حبها وكرهها له بالقدر نفسه. صار واضحاً لها أنها عليها أن تتركه أولاً من أجل أن تتمكن من أن تقود به إلى الهاوية.

تمنت أن يفهمها هان-جو بأنه لم يكن أمامها خيار آخر سوى البعد عنه، أن يفهم أنها لم تهجره بل تركته فقط لتبحث عن شيء ما، وما إن تجده سيكون هو أول من ترجع إليه، وأنها تتركه الآن من أجل أن يلتقيا مجدداً في وقت ما، وأنها بالتأكيد ستحبه كالسابق إذا ما التقيا مجدداً، ولكنها ستحبه بطريقة مختلفة.

- لحظة! لا تتحركي! ابقِي كما أنت.

تجمد جسد هيه-ري أمام الأصوات الحادة. انغمس الثمانية طلاب المحيطون بها في دفاتر الرسم وقد علت وجوههم تعابير جادة. علا كذلك صوت احتكاك القلم الرصاص مقاس 4B وقطعة الخشب على فرخ الرسم في الاتجاهات كافة. ضمت قدميها إلى صدرها وهي جاثمة تنظر إلى وجه تمثال أغريبا.

تذكرت الليلة التي غادرت فيها مدينة إيسان دون أي تحضيرات أو مخاوف في طريقها، نحو مستقبل لم تتخيله قط. انهزم المطر كالسهام خارج نافذة القطار المسرع وسط الظلمة في اتجاه سيول. كان شعورًا بأنها تنتقل من زمن بالذاكرة إلى زمن آخر وليس من المدينة التي عاشت بها إلى مدينة أخرى. لطالما سمعت أن سيول مكان قاس ومخيف، ولكن ربما لذلك قررت التوجه إليها. لكنها لم تتمكن من ترك إيسان، بل وجدت الآن طريقها الواضح بالحياة وهدفها المحدد. هناك الكثير من الأمور التي عليها القيام بها لتصبح شخصًا يحتاجه هان-جو.

كان لا بد لها من أن تنظم حياتها بروية وأن تتحكم بها وهي تتجه نحو تحقيق هدفها المتضاد، فلا بد أن تحب هان-جو دون أي كذب من أجل أن تدمره.

تمكنت هيه-ري في العام التالي من الالتحاق بإحدى كليات الفنون الجميلة بعد أن اجتازت الامتحان المعادل لاختبارات القبول في الجامعات. وحلت مشكلة مصاريف الجامعة للفصل الدراسي الأول من دفتر التوفير الذي دخلته كل شهر الأموال التي كان خالها وصيًا عليها. كانت أسفة لخالها ولكنها لم تسرق منه، فقد كان الدفتر باسمها. فرغت الأموال الوفيرة التي كانت بالدفتر بعد أن دفعت مصاريف الجامعة وتأمين غرفة صغيرة بين الطابق الأول والبدروم. فأكثرت من الأعمال الجانبية بالمعارض الصغيرة أو الكبيرة والمراسم والأرشيفات الفنية. كانت تنقل الأمتعة طوال اليوم

بمواقع عمل المعارض، ولم تمنع العمل كبائعة
بمحلات بيع لوازم الرسم.

وعندما عرضت عليها صديقتها عملاً لا يستهلك
الكثير من الوقت وأجره عالٍ، لم تسألها عن أي شيء
آخر. لم تعرف إلا بعد أن ذهبت إلى المكان المتفق
عليه أنه عمل كعارضة عري للتدريب على الرسم
أمام طلاب كليات الفنون الجميلة. وقفت شاردة
خلف الستارة الرقيقة التي حلت محل غرفة تغيير
الملابس.

- أيزال أمامك الكثير من الوقت؟

استعجلتها إحدى الطالبات من خلف الستار العازل.
- حسناً... لقد انتهيت.

نزعت هيه-ري ملابسها عنها وكأنها اتخذت قرارها
في النهاية. أخرجت لفافة القماش من الحقيبة
ولفت بها ذراعيها وفخذيها. كانت تضع مجموعة
لأدوية الطوارئ ولفافة قماش مع مطهر الجروح
في حقيبتها حتى ذلك الوقت تحسباً لقيامها بجرح
نفسها بشكل فجائي، لكن ذلك لم يحدث بالفعل على
الإطلاق.

كانت تعابير أوجه الطلاب الذين يشاهدونها لأول
مرة بغیضة. لا بد أن السبب في ذلك هو لفافات
القماش الضخمة. التفت حول نفسها وجلست أمام
الأعين التي تراقبها. وما إن فعلت ذلك حتى بسط
الطلاب جميعهم دفاتر الرسم. بدا أنهم اعتقدوا أن
لمس لفافة القماش وخطوط أطرافها المهلهلة
ستشكل تغييماً في رسومات العري الكروكية

مرت أقلام الرصاص الناعمة على الورق مصدرة احتكاكًا عاليًا. كانت تغير وضعيتها فتقف وتجلس وترفع يدها أو تريحها على الأرض إذا طلب منها. ظهرت على بشرتها التي فقدت الضوء وسط هواء الغرفة البارد بقع تميل للزرقة في أماكن متفرقة.

في النهاية توجهت إلى خلف الستار وارتدت ملابسها، وعندما خرجت، مررت لها الطالبة التي كانت تستعجلها سابقًا ظرفًا أبيض. كان بالظرف ثلاثة أوراق نقود من فئة العشرة آلاف وون. كان جزءًا ليس بالقليل مقارنة بعدد ساعات العمل. أعجبها كذلك أنها حصلت عليه نقدًا في لحظتها ودون اقتطاع لقيمة الضرائب منه. انتابها في اللحظة نفسها شعور بالدهشة وشعور آخر بانتصار غريب أمام حقيقة أن الجروح الجسدية قد تصبح مألًا. قالت لها الطالبة وهي تضع يدها خلف ظهرها لتفك رابطة مريلة الرسم.

- هل يمكنك القدوم مرة أخرى الأسبوع المقبل؟

وفي يوم الثلاثاء من الأسبوع التالي، توجهت هيه-ري إلى خلف الستار ونزعت عنها ملابسها دون أن يطلب أحد منها ذلك، وجلست على الطاولة البيضاء التي التف حولها اثنا عشر طالبًا ثم قالت:

- حسنًا! ابدأوا.

حرك الطلاب أقلامهم الرصاص بتعابير جادة. صوت تقليب أوراق دفتر الرسم، واحتكاك أقلام الرصاص وهي تلامس الورق وكأنها طرف سكين

يمر على أوراق الشجر. تقلصت عضلات ظهرها المنحني وامتد شد عضلي بذراعها التي خبست بها الدماء. وفقدت الشعور بمؤخرتها المضغوطة بتأثير وزن جسدها.

كانوا يدعونها فقط بـ«المومياء»، أو «فرانكشتاين»، أو «نفرتيتي»، ولم يسألها أحد عن اسمها. فقد كانوا جميعهم ينظرون إليها على أنها موضوع للرسم فقط. لكن هان-جو لم يفعل ذلك، فقد تمكن من رسم حركاتها البسيطة حتى عندما توقفت، ومن رسم جروحها التي لم تلتئم، ومن رسم ذكرياتها التي نسيتها هي نفسها.

ومع اقتراب إجازة الصيف، حصلت على عرض للعمل كعارضة خاصة لفنان في منتصف العمر. قيل لها إنه سمع عنها من الطلاب بالجامعة التي يحاضر بها. عملت بمرسمه لأربعة أيام بالأسبوع طوال فترة الإجازة. وأحدثت لوحته «نيكّه التي لا تقهر» والتي رسمها لها ضجة كبيرة في معرضه الذي أقيم في ربيع العام التالي. فقد أثارت تلك المرأة التي امتلأ جسدها بالجروح في الذاكرة صورة جان دارك التي لا تستسلم، وماريان التي قادت جيوش الثورة.

انتاب الحضور الفضول لمعرفة ما إذا كانت هذه المرأة حقيقية أم من وحي خيال الفنان. تفادت الشركة المنظمة لأعمال الفنان الإجابة وارتأت إثارة الفضول أكثر. في حين شعرت هيه-ري بالغضب لتفكيرها في أنه استغل جسدها بطريقة جنسية وأنه جعلها بضاعة يشتريها ويبيعها بأمواله. ولكن

وللمفارقة، جلب هذا الأمر الكثير من الحظ غير المتوقع لها. فقد شد الانطباع القوي للوحة أنظار مصوري الإعلانات.

تلقت العديد من الاتصالات من شركات الإعلانات والإستوديوهات المختلفة لعروض عمل كعارضة، بدأتها بالعمل كعارضة لكتالوج المنتجات الصيفية لإحدى شركات الرحلات الكبرى. كما أصبحت عارضة في اثنين من كتالوجات الموضة وإعلان لسلسلة مطاعم قبل نهاية ذلك العام.

تمكنت في النهاية من الخلاص من الفقر ولم تعد بحاجة إلى العمل في أعمال جانبية بسيطة كنقل الأشياء وبيع مستلزمات الرسم. ولكنها لم تتوقف عن العمل الجانبي. استمرت في التواصل مع دور النشر والمجلات الفنية دون انقطاع لتبحث عن عمل بها وتحصل منها على الخبرات التي تحتاجها. أدرك بعض الفنانين ومسؤولي المعارض موهبتها في الكتابة وعهدوا لها بكتابة نصوص كتالوجات المعارض.

كانت تنجز بعناد أي أعمال لها علاقة بالفن، وحافظت على علاقات وطيدة بالأشخاص الذين تعرفت عليهم من خلال عملها. قامت كذلك بتحليل وإدراك التكوين الدقيق لعالم الفن والعلاقات التفصيلية المتشابكة بداخله مثل خيوط العنكبوت من خلال علاقاتها المتنوعة وعملها المتواصل مع عدة فنانين.

قراءة الخريف بالعام الثاني من الجامعة، أوشت

هيه-ري على أن تنفجر في البكاء عندما عثرت على اسم هان-جو في آخر صفحات إحدى المجلات الفنية المتخصصة «كونست».

معرض فني خاص، لي هان-جو

حي أوكلين دانفجو جاليري 16 أكتوبر ~ 29 أكتوبر

كانت مقالة قصيرة تعرف بمواعيد معارض أربعة فنانين صاعدين مغا، ولوحته منشورة بالمقال بحجم صغير كحجم بطاقة عمل. تعرفت هيه-ري على المرأة التي باللوحة من نظرة واحدة. كان الضوء مسلطًا على كتفها كالغطاء، وبدا أنه من الممكن رؤية العروق بجسدها الشفاف كأجنحة اليعاسيب.

زارت هيه-ري دانفجو جاليري في آخر يوم له. انتشرت أشعة الضوء الباهتة القادمة من النافذة المتسخة كخط كهرباء بال وسط ظلمة بحر الليل. تبعثرت أوراق شجر الدلب الممزقة بفعل الرياح القوية على أرض الطريق.

كان هان-جو يتحرك ذهابًا وإيابًا بداخل ساحة المعرض في حركة بطيئة مثل صاحب مطعم الشعيرية الرفيعة في انتظار قدوم الزبائن الذين لا يأتون. كان اليأس يحيط بشفتيه المغلقتين بشدة. سحب رجل يبدو عليه أنه صاحب المعرض هان-جو من يده واصطحبه للخارج. بدا أنه يسعى للتخفيف من سوء مزاجه بعشاء يصحبه كوب من السوجو.

نظرت موظفة الاستقبال إلى الساعة المعلقة على

الحائط ما إن فتحت هيه-ري باب المعرض. قالت بصوت غير ودود:

- تبقى ثماني عشرة دقيقة على موعد غلق المعرض.

كانت نبرتها تلمح إلى أن تفعل ما يحلو لها سواء بأن تدخل أو تخرج. دخلت هيه-ري ساحة المعرض الخاوي وكأنها لم تسمع منها شيئاً. كان ماضيها هناك. «أوفيليا: الصيف».

اختفت كل الأصوات والروائح والألوان من حولها في تلك اللحظة، وعادت ذكريات حبهما وأعيبهما إلى الحياة. صوت ورائحة المطر المنهمر طوال اليوم الذي استلقت فيه ممسكة بطرف سيجارتها المشتعلة على صدرها. صوت رخات المطر المتدفق من أنابيب الصرف. كان مطراً قوياً ودافئاً ومرغوباً.

كان الأسلوب والعناصر المستخدمة في لوحة «الصيف» تظهر في سلسلة اللوحات الأخرى. وفي لوحة «الربيع»، دفعت أوفيليا بكتلة الطين بالحديقة جانباً وصعدت إلى أعلى بقعة على الأرض. على وجهها كان هناك حجاب رفيع يبرز ويخفي ما أسفله. وفي لوحة «الخريف»، كانت مستلقية في استقامة بوسط غرفة الجلوس الغارقة في المياه. تساقط الضوء القادم من النافذة المفتوحة على جسدها المليء بالجروح. وظهر من خلفها بيانو عتيق وخزانة كتب.

وفي لوحة «الشتاء»، بدت أسفل طبقة الجليد الشفافة وهي تفتح عينيها ناظرة إلى ما فوق

الماء كأنها تومض بشكل مبهم. كانت أطراف لفافة القماش تتحرك مع الماء كالأعشاب البحرية.

حملت اللوحات صوته الحي الذي رغبت في سماعه. انظري! إنه أنت. أنت التي أبجلها، أنت التي نظرت إلي بعينين محبتين. بالفعل لقد هجرتني. ولكن هذه هي أنت. أنت التي احتبستك داخل الزمن، أنت التي أحبها...

تأملت هيه-ري اللوحة الجريئة والمليئة بالأضواء المرهفة، وخالصة السعادة التي توصل إليها وسط اليأس. كانت براقة لدرجة لم تتمكن من منع نفسها من غلق عينيها. وعلى الرغم من ذلك، اخترقت تلك الألوان والتكوين والشكل جفنيها كما الأشكال المطبوعة على الورق الحساس للضوء. لكم كان من الرائع أن يكون هان-جو إلى جانبها؟ كانت لتقول له كم هذه اللوحات مذهشة، وكم روعة العمل الذي أنجزه، وكم سيحب الناس هذه اللوحات.

وفي أحد الأيام، استرعاها الفضول لتعرف ما إذا كان هان-جو يعرف سبب رحيلها عنه فجأة. على الأغلب يجهله، وكانت هذه الحقيقة تؤلمها. سمعت صوت موظفة الاستقبال من خلفها.

- لا بد وأن تغادري. لقد حان موعد الإغلاق.

قبل ظهيرة اليوم التالي، اتصلت هيه-ري بالمعرض. خلا صوت صاحب المعرض الذي وصلها من سماعة الهاتف من أي حماس. كانت مساوماتها الأفضل على الإطلاق. أخبرته أنها ستبتاع لوحة «الربيع» من ضمن سلسلة لوحات «أوفيليا» الأربعة. استمر صمت

متواصل عبر سماعة الهاتف. وبعد مدة، قال صاحب المعرض متأوفاً بصوت رفيع كمقامر يحمل أسوأ أوراقه:

- من الصعب بيعها بأقل من 150.

فأجابته هيه-ري بروية:

- لنجعلها 100، بشرط أنني سأشتري اللوحات الأربعة، ربيع وصيف وخريف وشتاء مرة واحدة.

جاءها من سماعة الهاتف صوت مختلط بسعال جاف وكأن غصة أصابته من سرعة التنفس.

- حسناً لننه الأمر على 120!

اطمأنت هيه-ري بعدما وصلتها اللوحات الأربعة بعد عدة أيام. فالحقيقة أنها كانت الطرف الأكثر حاجة إلى هذه الصفقة. فهان-جو الذي تعرفه رسام لا يجدر به أن يظل متسكفاً على أطراف عالم الفن بعدما لم يتمكن من بيع ولا لوحة بأولى معارضه ليختفي في النهاية. وقد كان في لوحاته ما يكفي من سحر ليأسر به الناظرين إليها، قيمة بما يكفي ليحتفظ بها. كان كل ما يحتاجه بعض من الحظ ليكتشفه جامع أعمال فنية له نظرة لمامحة أو أن يقابل راعياً ذا قوة تأثير كبيرة.

رغبت هيه-ري من كل قلبها في أن تصبح حظه الجيد.

في الخريف الذي أوشكت أن تتخرج فيه، نشر بالصفحات الأخيرة من «كونست» إعلان للبحث عن محررين مساعدين لنسخة إضافية من المجلة.

كانت هيه-ري ترغب في هذا العمل منذ زمن وظنت أنه يجدر بها القيام به على الرغم من أنها وظيفة بسيطة تقتصر على مهام تحرير جانبية ولفترة مؤقتة. كانت واثقة كذلك في أن «كونست» هي الطريق الذي ستتقرب من خلاله إلى هان-جو وإن لم يكن هناك أساس يدعم تلك الثقة. فقد كانت «كونست» الوسيط الإعلامي الوحيد الذي تحدث عن أول معارض هان-جو وإن كان وسط بواقى المقالات التي لا تلفت الأنظار.

كان مقر مجلة «كونست» الذي ذهبت إليه لإجراء مقابلة العمل يقع وسط تجمع لمنازل سكنية متقاربة من الطوب الأحمر. لم تستطع أن تخمن عمر تشوي إين-يونغ المحررة والناشرة في الوقت نفسه وقد قصت شعرها قصة قصيرة. أضفت عليها عيناها الواسعتان ذات الجفن الضيق وشفثاها المحددتان انطباعًا بالجدية والتصميم.

- لماذا ترغبين في أن تصبحي مساعد محرر؟

- لأنني سأجيد هذا العمل.

لم تكن بالإجابة الدقيقة ولكنها صريحة. فلم تكن هيه-ري في حاجة إلى المال من «كونست» وإنما قوة التأثير. القوة التي تقود إلى التغيير في عالم الفن من خلال الأنشطة الكاملة التي تتيح التعرف على التيارات الجديدة بمراقبة الفنانين عن قرب وتحليل الأعمال من خلال نظرتها ولغتها الخاصة. والفرصة في أن تراقب وتستشعر حركة السير الضخمة والرهيفة في أن واحد لعالم الفن

الذي لا يتوقف للحظة واحدة، والفرصة لأن تقترب للأشخاص المؤثرين بذلك العالم... لم تسألها إين-يونغ أكثر من ذلك.

كان العمود الذي تولت هيه-ري مهامه باسم «الوجوه والرموز»، عبارة عن سلسلة من اللقاءات يقوم بها المصور وكاتب المقالات السيد كيم جون-مان حيث يزور مراسم اثني عشر فنانًا ويلقي الضوء على عوالمهم الفنية. كانت الخطة أن يتم جمع مقالات اللقاءات المنشورة في مجلة «كونست» على مدار عام كامل ونشرها في كتاب واحد. قامت هيه-ري باستقطاب فنانين من مجالات مختلفة بشكل موسع بدءًا من الرسومات التقليدية والنحت والفنون الحرفية وفنون الأعمال المركبة وحتى فنون الأداء وجمع المعلومات اللازمة مسبقًا كما زارت مواقع المراسم.

وبصفته كتاب فني، حقق «الوجوه والرموز» الذي نشر في خريف العام التالي مبيعات فاقت بكثير الهدف بطباعة نسخة ثانية بشكل استثنائي. كانت نتيجة غير متوقعة لأن الموظفين امتزجت لديهم مشاعر التوتر والقلق، وقد اندمج كل منهم في صراعه مع الحياة، مع حياة الفنانين الذي وصلوا إلى مساعيهم من الشهرة والنجاح.

بقيت هيه-ري بالمكتب إلى وقت متأخر بعد انتهاء أعمال النشر وأخذت تجمع أشياءها. لم ترغب في أن تبدي أي تبرم أمام الموظفين الآخرين. كانت تربط شعرها بربطة مطاطية وقد انسال على كتفها

وهي ترتب المكتب وتفرغ الأدرج عندما دخلت
إين-يونغ المكتب.

- أترتبين حاجاتك الآن؟ إلى أين تنوين الذهاب في
هذا الوقت المتأخر؟

لم تكن تعنفها ولكن نبرتها أظهرت عدم ارتياحها.
وعلى الرغم من ذلك، بدت كلمات تلك السيدة
لطيفة على مسامع هيه-ري.

- انتهت مدة العقد ويجب أن أبحث عن عمل آخر
الآن. كان عملاً ممتعاً لكنه انتهى الآن.

خرجاً معاً إلى الشرفة. استندت إين-يونغ إلى
حافة السور ووضعت سيجارة بين شفتيها. كانت
شفتاها ممتلئتين والغشاء الخارجي لهما يلمع بحمرة
داكنة. تصاعد الدخان الرفيع كالشريط أمامهما.
قالت إين-يونغ:

- حتى وإن انتهت مدة العقد، العمل لم ينته بعد،
كما عندما يولد الأطفال، وكما تدور الأرض. ما رأيك
في أن تتولي مهمة تحرير الكتاب التالي لـ«الوجوه
والرموز»؟ سنجمع اثني عشر فنائاً من دول العالم. لا
بد وأن نعد العدة لتحمل مصاريف إعداد ضخمة.

لم تكن تستخدم أي روابط في كلامها. بدا أنها
تعهدت بالألتضع ولا دقيقة ولا ثانية في حديث لا
داعي له لكثرة ما تخاف من فقده. ولذلك كانت دائماً
تبدي قدرة تركيز عالية وغيّرت من طريقة تفكير
الناس المحيطين بها.

فكرت هيه-ري أنها تسعى لتغيير حياتها، بشروط

وظيفية أفضل وبأجر أعلى، وبمستقبل أفضل على حسب استجابتها. لكن هيه-ري لم ترغب في مستقبل يتغير بسبب شخص آخر.

- لست متأكدة. إنها فرصة جيدة ولكن تكفي لمرة واحدة.

- ماذا ترغبين في أن تفعلي إذا؟ أن تتلقي الاتصالات في مدخل الشركة؟ أم أن تتحقي من النسخ المتبقية وتديرين المخزن؟

نظرت هيه-ري إلى الفتاة الضعيفة التي لا ظهر لها تستند عليه والتي تنعكس صورتها على زجاج النافذة المتأرجح. جسد فقد ثلاثة كيلوجرامات، والكثير من الشعر المتساقط، ذو وجه شرق منه عام من الشباب بسبب «الوجوه والرموز». وعلى الرغم من ذلك، اشتعلت عيناها بالطموح الشديد كمنحوتة تحيطها النيران. ها هي إمكانات الحياة التي رغبت فيها بشدة تفتح أمامها. كانت إين-يونغ هي من عرضت عليها اللعب، لكن هيه-ري رغبت في أن تقامر بحياتها. فقالت بثقة مقامر مستعد لقلب أوراقه بأكملها:

- ماذا ستفعلين بـ«كونست»؟ أستتركيها على حالها؟

- «كونست»؟ وماذا بـ«كونست»؟

كانت نبرتها هادئة تستشف بها أفكار الطرف الآخر. شعرت بفارق في العمر كالفرق بين طفلة وأمها بسبب ما ارتدته إين-يونغ من قمصان ملونة في الصيف، وحلة مخططة في المناسبات الرسمية. تلك

كانت قدرتها على التلون بحسب من هو أمامها وفي أي وضع هي، كما تتغير الحرباء.

- «كونست» غير قادرة على التأقلم في بيئة متغيرة كالديناصور. ليس الآن بالضبط ولكنها ستموت وتختفي بعد فترة. فسيصبح هذا العالم تحت سيطرة الثدييات الرشيقة السريعة.

أمسكت إين-يونغ بزمام الحديث وسألتها:

- حسنًا وكيف ستقومين بإحياء «كونست»؟

فأجابت هيه-ري:

- يجب أن تبيع «كونست» كبرياءها. فهي تعطي انطباعًا بأن من يقرأها هو شخص ناجح أو شخص يحب الفن. فبدلاً من نظريات الفن المعقدة وقديمة الطراز، يجدر أن تقدم لغة وصورة تضيء الفخر على قارئها بأنه الشخصية المحورية بهذا المجتمع. فعلى سبيل المثال، نجعل الفنان يبدو كرئيس تنفيذي ناجح لإحدى شركات تكنولوجيا المعلومات بصورة له في ملابس عصرية تبرز هيئته البارزة.

كانت هيه-ري مدركة لنبرة صوتها التي بدت وكأنها تدركها جيدًا ومع ذلك لم تتوقف. فلا يشغلها إذا شعرت إين-يونغ أنها لا تلتزم الأدب في حديثها معها. قالت إين-يونغ وقد علت وجهها تعابير تشبه التاجر الذي يطالب بعقد صفقة.

- حسنًا ما رأيك في أن تختبري حظك معي هنا في «كونست»؟

ذهلت هيه-ري ونظرت بشرود إليها وقد جاء

كلامها على أذنيها كوقع قبلة. شعرت بأن ما يحدث أمامها غير واقعي، كإعصار رملي يهب على كوكب بعيد. قالت إين-يونغ عدة كلمات أخرى لم تفهمها. رئيس التحرير؟ كبير المحررين؟ بدا لها أن ذلك ما قالته. ما الذي تثق به تلك السيدة المخاطرة لتعهد بـ«كونست» لموظفة مؤقتة مبتدئة؟

- ولكنك لا تعرفيني جيدًا؟

- لقد راقبت عن كثب طريقة عملك. لا أرغب في رحيلك. بالتأكيد إنه أمر مفاجئ لك، وأنت بحاجة للاستعداد. خذي وقتك وفكري.

لم تصدق هيه-ري بعد حقيقة أن إين-يونغ أخذت كلامها على محمل الجد. لا بد وأنها كانت فضولية لتعرف أكثر ولكن بدا لهيه-ري أنه كم كان ذوقيًا منها أنها لم تسأل أكثر. لذلك أجابت:

- أنا مستعدة. لا داعي لأخذ المزيد من الوقت. هذا ما رغبت فيه، رغبت فيه بشدة لدرجة أصابتنني بشد عضلي.

كانت عينا إين-يونغ اللتان تطالعان هيه-ري تحملان في داخلهما توقعًا والتزامًا منها بالاستجابة لأي طلب لها. فقد كانت في حاجة إلى شخص جريء يقف أمام الرعد، يخترق طبيعة صناعة الفن بدلًا من المتخصصين المعتمدين على الطرق التقليدية في النجاح. من لديه تصميم لتجاهل القواعد والمفاهيم التقليدية، شخص لديه حدس يقترب به من المطلوب مباشرة دون أن يتفادى الأوضاع أو يلتف حولها. قوة دافعة للحياة تثق بأنها

ستنجو في أي مكان كانت. لم تكن بحاجة إلى عمر أو خبرة.

لم تولد إين-يونغ ابنة لرئيس مجموعة إعلامية غنية. فقد كانت «كونست» واحدة من ست مجلات تعمل على نشرها مجموعة «سيول ماجازين» الإعلامية التي تصدر عنها مجلة «ومينز جاردن». وكان رئيس المجموعة السيد نام جيه-ون قد تمكن من تحقيق نجاح كبير لعدة مجلات فصب رأس مال ضخما من أجل إصدار نسخ يومية منها.

وسط ذلك، انفجرت الأزمة المالية وأصر البنك الذي يتعامل معه على استرداد أصول السندات، ما جعله يشعر بالكرب ويدفن نفسه في العمل إلى أن أصابته أزمة قلبية. وعندما كان على سرير المرض في غرفة الإنعاش، وضع ختمه الشخصي على مذكرة تفاهم بموجبها تعود حقوق إدارة «كونست» كافة، المجلة التي كان يعتز بها، من دون شروط إلى إين-يونغ، رئيسة تحرير المجلة وأكثر موظفيها كفاءة.

كانت خسائر «كونست» الشهرية تصل إلى عشرين مليون وون. كان بإمكانها أن ترفض، وتعين عليها أن ترفض. لكنها أصبحت بين ليلة وضحاها ناشراً مسؤولاً عن مجلة غارقة في الخسائر. فتولت مسؤولية إدارة الإعلانات، ورئاسة التحرير، وكتابة المقالات، بالإضافة إلى عملها كمصورة ومسؤول حسابات وموظف إداري عند الحاجة. وبسبب طول قامتها وقصة شعرها القصيرة، بدت هيئتها كفتاة

معيلة لأسرتها خرجت إلى الشوارع لكسب المال.
تحمل العاملون الأزمة المالية وسط اليأس
والتشاؤم والخوف وكذلك خيط رفيع من الأمل،
كطاقم سفينة سانتا ماريا التي كانت تبحث عن
القارة الجديدة. وكانت القارة التي وصلوا إليها
عالمًا جديدًا تقود فيه التقنيات الحديثة حياة بلا
حدود. فقد فاضت عليهم ثروة غير معهودة من قبل
بفضل موجة صناعة تكنولوجيا المعلومات الحديثة
وأصبح التصميم والفن موضوعي العصر الجديد.

كانت اللوحات هي مجال استثمار الأغنياء
الأخير. فقد كان حال من يكسبون المال بأن
يشتروا الملابس والحقائب الراقية أولاً، ثم
المنازل والعقارات، وفي النهاية يشترون اللوحات.
تمكنت «كونست» من النجاة والبقاء على قيد
الحياة بإرضائها مطامع الرغبة في الظهور لهؤلاء
الذي يتعمدون تغليف أنفسهم في صورة البارزين
المحدثين والمثقفين.

وبعد ستة أشهر من انضمام هيه-ري، وقد تلقت
دعماً ضخماً من إين-يونغ، إلى فريق TF، تحولت
«كونست» لتصبح دليلاً لإدارة الفن وليست مجلة
مختصة بالفن أو التصاميم. كان ذلك نتيجة جمعها
بين الفن والصناعة، ودمجها للنشاط الفني مع
مبادئ علم الإدارة. ووسط اجتماع مشترك لهيئة
التحرير والإعداد مع أقسام الإدارة، قالت هيه-ري:

- لم يعد الفن شيئاً راقياً يخص المثقفين فقط.
يجب أن يمتلك الفن القدرة على تحريك العالم

وتغييره. ورأس المال هو القوة الدافعة لتحريك طاحونة مياه ضخمة. ويجب أن يتدفق رأس المال في عالم الفن.

فسألها في المقابل أحد خبراء هيئة التحرير في النصف الثاني من الأربعينيات من العمر وقد كان يستمع لها في صمت:

- وكيف يمكن للفن أن يكون فناً وهو يحمل على ظهره عبء رأس المال؟

أجابت هيه-ري مجدداً:

- وهل من الضروري أن نطلق على الفن هذا الاسم؟ وإذا تعين ذلك، فبوسعنا إذاً أن نتخلى عن اعتباره فناً؟

كانت هيه-ري تتعمد أن تجتذب الفنانين لجعلهم يصرحوا بأقوال كتلك التي قد يقولها أصحاب الأعمال في خطب لتشجيع موظفيهم، من أمثال «الشغف تجاه العمل الفني لا يقتصر على الفنانين. يمكننا أن نصب شغفنا في المكتب، أو عند عمل العروض التوضيحية، وكأننا نصنع عملاً فنياً. فأنت أيضاً فنان. اعمل كفنان وعش كفنان» وغير ذلك.

حققت «كونست» التي أثمرت إستراتيجيتها في دمج الفن مع إدارة الأعمال نجاحاً كبيراً، اعتماداً على جيش مسالم يدعى رأس المال. بالطبع تبع ذلك الكثير من الانتقادات التي أبدت قلقها حول انحدار الفن، وكذلك قدم بعض الموظفين الذين لم يوافقوا على تعليمات التحرير الجديدة استقالتهم. لم تهتز هيه-ري لذلك. وقامت بتوسيع مجالات «كونست»

واعتبرت كراهيتهم وإهاناتهم عناصر مغذية لعملها مثلما فعل مونييه ودوشامب.

غلقتها الهمسات التي انتشرت من وراءها بشيء من الغموض. قد تكون غير أخلاقية ولكنها قوية وقد تكون مأكرة ولكنها ناجحة. أثار إين-يونغ الفضول لتعرف ما إذا كانت قدرة هيه-ري على قراءة متطلبات العصر وإنتاج الفرص موهبة فطرية أم أنها حصلت عليها مع الزمن.

كانت بداخلها حرارة لا تنطفئ وشعور دائم بأنه لا يجدر بها ترك غرفة المحررين، وكان أمزا ما سيحدث إذا غادرتها. كانت هيه-ري تحرك أصابعها الطويلة في الاجتماعات وكأنها عصا مايسترو. وبسبب ذلك، زادت قدرة كلامها على الإقناع ولم تتمكن إين-يونغ من منع نفسها من هز رأسها موافقة، ليس لطبيعة استبدادية بها أو إجبارية منها ولكن لأنها لم تجد ما تقوله لتعارضها.

كانت مناقشاتهما تستمر أيضًا لما بعد الاجتماعات. استمرتتا في الحديث معًا وهما تأكلان الراميون والكيباب في مطعم الأكلات الكورية الخفيفة في طريق عودتهما إلى المنزل. تبادلتا الأحاديث عن تخيلاتهما الفذة لتغير العالم وعما قد يدهش البشر، في الشارع، وفي المطعم، وفي محل البقالة، وداخل السيارة.

كان ما جعل هيه-ري تعود إلى هان-جو هو حكمها الشخصي بأنها حققت التوازن في القوى بينهما. فلم تعد بطفلة الجيران الساذجة بالنسبة له، كما لم

تعد عشيقته الصغيرة التي تتوسل لحيه. وستصبح قائده إلى حياة جديدة تنتزعه من أراضي البائسة، وستصبح مرشدته التي ستوجهه إلى الطريق المناسب لأعماله. كما أنه لن يتردد في قبول مهام كمديرة أعماله التي ستغلف موهبته بالعبقرية، وكوسيط يبيع أعماله بأسعار خرافية. فمن أجل هذه اللحظة، كانت قد صقلت نفسها لتصبح أداة الانتقام منه.

كتبت عن هان-جو مقالاً للقاء معه أوضحت فيه موهبته وحدوده التي لم يكن يعرفها. وسواء كانت تلك المقالة حقيقية أم لا، فإنها ستصبح حقيقية إذا قرأها وأمن بها وعمل من أجل أن يصبح كما قالت أو ليتجنب أن يصبح على الشاكلة التي وصفتها. وكان ذلك رمزية الفنان التي أرادتها منه.

وفي إحدى الأمسيات الممطرة بفصل الخريف، تخطيا الشوارع المبتلة في حذر ووصلا إلى منزلها. أخرجت المفتاح من حقيبتها وأخذت تحركه محدثة صوتاً صاخباً وهي تضحك. أصدر الباب صوتاً ثم فُتح، قد تسأله وهو هناك إذا كان له الحق في أن يطأ بقدمه هذا المكان كالكاهن الذي يقف على عتبات حرم مقدس، ومن ثم أكد لنفسه أنه كذلك.

لم يكن جهاز التدفئة يعمل، لكن المنزل لم يكن بارداً. لم يكن هناك تليفزيون بالمنزل وكل ما به من أثاث هو أريكة مهترئة وخزانة كتب، وكأنه مخيم لاجئين يجب مغادرته قريباً. كانت السجادة الصوفية بنية اللون التي تغطي الأرضية ملطخة

وقد سكب عليها شيء ما. توجهت إلى المطبخ الذي لا يوجد به طبق واحد لائق وغلت المياه في البراد. قام بتجفيف شعره المبتل ثم تفحص المنزل من حوله. كان ماضيه الممزق معلقًا على الحوائط الفارغة في كل مكان. «أوفيليا» بفصولها الأربعة. ذكرته النساء اللواتي إما أغلقن أعينهن كإشارة غامضة، وإما تجاهلته، وإما حبسن أنفسهن، بالقديسة التي يسيل منها الدماء. كان الضوء السائل كالعسل من اللوحات يفيض بغزارة ولكنه بسبب ذلك شعر بعنف وتعسف صادرًا عنها.

أصدرت فقاعات الماء المغلي أصواتًا متناغمة من وراء ظهره: فسألها بعينين متسعة بين الدهشة والغضب:

- لماذا هذه اللوحات معلقة هنا؟

مررت له هيه-ري بكوب القهوة وابتسمت.

- لأنني اشتريتها.

لم يتمكن هان-جو من فهم كيفية سير الوضع. فقد كانت سلسلة اللوحات الأربعة هي الأولى والأخيرة لما باعه من أعمال وكانت ثروته الوحيدة وإمكاناته التي لن يبلغها مجددًا. الثقة في المشتري المجهول كانت الشيء الوحيد الذي جعله يعود إلى «الكانفس» حتى عندما لم يتمكن من الرسم وزاد اعتماده على زجاجات الخمر. ولكن ذلك الشخص لم يكن سواها. شعر بأن القدر مصر على أن يعصف به ويطأ عليه ويمزقه. صرخ بوجه غامض امتزج به الحزن والغضب:

- لماذا خدعتني؟

فأجابته:

- أنا لم أخبرك فقط.

- لم أكن لأبيعها إذا عرفت أنه أنت.

- كنت وقتها فنانًا مغمورًا يتعين عليه حتى أن يبيع روحه إلى الشيطان. وأنا استثمرت فقط في أعمال لم يدرك الآخرين قيمتها.

- لقد كبر بداخلي أمل واهٍ بسبب تلك الأموال التي قذفتها إلي.

- سار الأمر بشكل جيد إذًا. أمن السيئ أن تتحلى بالأمل؟

- لم يكن هذا أملًا بل تخيلات بلهاء. لقد حلمت بتخيلات فارغة أنني سأبيع في معرضي الثاني أربعين لوحة بعد أن بعث أربعة في المعرض الأول. ولكن ذلك لم يكن سواك...

بكي هان-جو، لراثه على حاله، ومن بؤسه لأن تلك الحقيقة كشفت أمامها. اشتدت الرياح خارج النافذة. كان الجو مائلًا للبرودة وبدأ اليوم يقصر بوضوح. قالت له وهي تنظر للوحة «أوفيليا: الربيع» المعلقة على الحائط وكأنها تتحسس بعينيها.

- وماذا بي؟ هذه اللوحة بورتريه لي وإن كنت أنت من رسمه. ولذلك لي الحق في الحصول عليها. فالمهم في الأمر ليس من اشتراها بل حقيقة أنه تم بيعها.

رفع رأسه التي احتضنها بين يديه السميكتين اللتين لا يمكن أن يصدق أنه رسم بهما لوحة رقيقة التفاصيل كهذه. تفهم أخيرًا أن هذه اللوحات أصبحت ملكها وليس لشخص آخر. وفي تلك اللحظة، شعر بالاطمئنان لحقيقة أن هذه اللوحات بيعت لها وليس لشخص آخر.

كان فقيرًا وبائسًا، ولذلك تمكنت من أن تصبح منقذه، وهو أمر غير ممكن إذا لم تحبه، لكنها أحبته. كانت تلك الحقيقة واضحة لدرجة قد تعمي العيون.

تردد هان-جو عندما أخبرته هيه-ري أنها ترغب في العودة إلى منزل هاورد بعد حفل زفافهما. فالحياة بذلك المنزل وافتقاده أمران مختلفان. كان منزل هاورد مرغوبًا أكثر عند النظر إليه من بعيد. كما جعله الشعور بالذنب من أن والده قد أهلك منزل هاورد يتردد في العودة. لم تتراجع هيه-ري وأخذت ترسم مخططًا بالقلم وتشرح له خطة إصلاح وترميم المنزل.

- سنزيل الحوائط من المنزل المنفصل وندعم العوارض ونجعله مرسقًا لك. وسنزيل جزءًا من أرضية الطابق الأول وندمجها مع البدروم وسيصبح السقف على علو أربعة أمتار وبذلك يمكنك أن تقوم برسم أعمال ضخمة. وسنجهز جزءًا من البدروم الذي سيعلوه السقف المتبقي كغرفة لحفظ الأعمال...

بقيا في الموقع خلال فترة الإصلاحات، وكانا يدرسان حجم وإمكانات الرسم ويقيسان مقدار

ميل الضوء ويتناقشان في حجم النوافذ وأماكنها. لم يستعينا بعمال إضافيين وقاما بطلاء الحوائط وتغيير فرش الأريكة القديمة بأخر جديد بنفسهما. تناثرت حبات الأسمت والطلاء على رموشها وشعرها وخدها كندف الثلج.

ولكن الحياة ليست بألعاب نارية وما إن تنقشع ظلمة الليل ينطفئ لمعان شظايا النار في غمضة عين. كان هان-جو يذهب إلى المرسم كل يوم ويرفع فرشاته ولكنه لم يتمكن من الرسم. اختفت موهبته التي أبرزها بمحاولاته وقوة تركيزه لخلق أسلوب جديد، ولم يقم سوى بطلاء الألوان فوق بعضها ثم إعادة طلائها مرة أخرى. اعتقد أن مرسمه الجديد الذي لا ينقصه شيء قد سرق منه قدرته على التخيل ولم يترك لها أثراً.

كان مرسمه مقلوباً رأساً على عقب عندما ذهبت إليه هيه-ري في وقت متأخر ذات ليلة. تصاعد من فم هان-جو رائحة خمر م馥زة. لا بد وأنه خبأ زجاجات الخمر في مكان ما بالمرسم، كما كانت تفعل والدته وتخبي زجاجات السوجو بداخل خزانة أدوات المائدة بالمطبخ بمنزل هاورد.

- ماذا؟ هل أتيت لتتفقدني إذا قمت بواجبي أم لا؟
افعلي ما شئت. فكل ما قمت به من الواجب خلال الأسبوع الماضي هو هذا... قمت بالطلاء والطلاء والطلاء مجدداً، لكن لم يتحول إلى أي رسمة.

بدا أن هان-جو الذي يشير بأصابعه نحو «الكانفس» الغارق في السواد سينفجر في البكاء.

هناك على «الكانفس» الذي تم طلاؤه عدة مرات طبقة سميكة من الألوان، ولون الطبقة الخارجية أقرب للأسود بعد أن غُطيت بست إلى سبع طبقات من الألوان المبهمة. كانت الألوان التي بدت نتاج هدف مستमित وقوة تركيز مدهشة رديئة كقطع فسيفساء غير متألفة.

- هذا العمل... ليس باليسين. يوجد شيء ما هنا. فأنت يا عزيزي موجود به؛ عزلتك، وماضيك، وسعادتك، والامك.

كان كلامها لطيفًا، لكن هان-جو لم يتمكن من أن يبعد الشعور باليأس عن نفسه. فأخرج زجاجة الويسكي من خزانة أدوات الرسم الموجودة أسفل طاولة العمل وتجرع الخمر من الزجاجة مباشرة. أجابها هان-جو وهو خائر القوى:

- إذا كان هناك شيء مني موجود بهذه اللوحة فهو عجزي، وخجلي، وخزي فقط.

تلك الحقيقة التي لم يعلّ صوته قط ليقولها، ذلك الواقع الذي رهبه ولم يلتفت له مطلقًا. بدا أنه مصمم على هدم نفسه.

لم تقل له هيه-ري تلك الكلمات الرتيبة المكررة بأنه «سيتمكن من الرسم إذا ارتاح» أو «الجميع يمرون بمراحل انهيار» وغير ذلك. لكنها نظرت له بعينين حادتين كمفتش جودة ينتقي 0.1% من البضائع الفاسدة من على خط الإنتاج وقالت:

- الزبائن مثل الأطفال، يلحون علينا من أجل أن نريهم أعمالاً جديدة بين حين وآخر. وما يلبثوا أن

يضجروا إذا أسمعنهم الحديث السالف نفسه. إما عليك أن تطور من خصائص وأسلوب «أوفيليا»، وإما تبتكر أسلوبًا وموضوعًا جديدًا يضاهيها.

نظرت هيه-ري إلى هان-جو كأم شابة تتحايل على ابنها المدلل. لم يكن بوسع هان-جو تحمل فكرة أن تلك المرأة هي الوحيدة التي تتذكر نواقصه وعيوبه جميعها. لم يقد تشجيعها ومواساتها له سوى بإظهار نقاط ضعفه وشعوره بالنقص بوضوح أكثر ليس إلا.

- لا تقولي ما يحلو لك فقط لأن الأمر لا يخصك. لا تتظاهري بأنك تعرفين شيئًا عن لوحاتي وأنت لست سوى بتاجر... ذلك يشعرني بالسأم.

ربما حاول العثور على كلمات أطف وغير جارحة إذا لم يكن يحبها، ولكنه يحبها. هل لا بد لهيه-ري أن تشعر بالإهانة الآن؟ لم تفعل. لكن ذلك لا يعني أن مشاعرها لم تجرح.

نهضت هيه-ري من مكانها وقطعت المرسم في خطوات واسعة. لم يعرف هان-جو ماذا عليه أن يفعل وانتظر يراقب تصرفها التالي. وقفت هيه-ري أمام طاولة العمل وأخذت زجاجة الخمر الممتلئة لنصفها وسكبتها على لوحات «الكانفس». اشتدت قوة تأثير الكحول به.

لم يتمكن من أن يقرر ما إذا كان عليه أن يغضب، أو أن يمنعها من ذلك. رغب في أن يتوسل إليها ألا تفعل لكنه استسلم. فقد كان الاستسلام أسهل عليه من أي خيار آخر. قال لها وهو يضحك وقد طاله سطل السكر:

- حسناً، هذه ليست بلوحة. إنها حفنة من القمامة. ابعديها عني لمكان غير مرئي.

لم تستمع هيه-ري له. على أي حال، ما إن يفيق من سطل الخمر في الصباح، لن يتذكر أي شيء مما قاله.

كان الشك غير المنقطع في موهبته صفة سيئة قديمة فيه. لم تتفق هيه-ري مع تدمراته الساذجة تلك ولو مرة واحدة. كانت لديه موهبة، وذلك واضحاً لدرجة أنها واثقة أن تضييعها يعد جريمة. لا بد لها أن تجعله يسترد الثقة بنفسه. فعجزه لن يكون سوى خيبة أملها، وانهياره لن يكون سوى فشلها.

تجرعت هيه-ري آخر ما تبقى من الكحول بزجاجة الويسكي. عبر الشراب الحار حلقها وأحرقه وانتشرت الحرارة بجسدها. نظرت إلى «الكانفس» أمامها ثم رفعت سكين «الكثر» التي كانت على طاولة العمل. لمع حد السكين الحامي للحظة كالوميض. ماذا تعتزم أن تفعل؟ فكر في ذلك وهو يلقي بجسده على الأريكة ويستلقي هناك. بدا ظهره المنحني صغيراً، وفقرات ظهره هزيلة.

رفعت هيه-ري «الكانفس» وضربت به على طاولة العمل محدثة صوتاً جلاًلاً. بسبب تلك الضربة، انكسر أحد أطراف الإطار. لم تعبأ بذلك وأخذت سكين «الكثر» ومزقت به «الكانفس». تقبلت طبقات الألوان المطلية السميكة ضربات سكين «الكثر» الحادة. وظهر أسفل طبقة الألوان الحمراء التي

جثت بالسكين طبقة خضراء ومن أسفلها طبقة بيضاء.

شعرت بالآلام السكين الحادة التي أدمنتها عندما اعتادت أن تجرح نفسها وهي صغيرة. استمرت في تشويه «الكانفس» الذي كرهه هان-جو بقوة ومزقته إلى قطع صغيرة. اخترق حد السكين بسرعة أكبر طبقات الألوان، شطرها وقطعها وجثها.

لم تدرك هيه-ري أنها بلغا عمق الليل. فقد شردت في طريقها ما بين الظاهر والمخفي، وما بين المرئي والمحجوب، وما بين ما يمكن قوله وما لا يمكن، ووسط كل تلك الأشياء التي لا يمكن البوح بها.

استيقظ هان-جو في اليوم التالي. كانت الساعة قد تخطت العاشرة والنصف صباحا. شعر بأن غابة من الأشواك نمت بداخل رأسه خلال الليل. وبرأسه الأشعث المشوش، تفقد المرسم الذي عمته الفوضى.

كانت أخطاؤه وعجزه وخزيه ملقيين على الأرض كمنحوتة متكسرة، «الكانفس» الممزق والملين بآثار ضربات سكين حادة في كل مكان. بدا أن شخصا ما تعمد أن يخرب لوحته. نظر بعقل فارغ إلى بواقي اللوحة أمامه.

كانت الألوان المختلفة ظاهرة من أسفل الطبقة السطحية الصلبة وعديمة اللون بسبب حركات واتجاه حد السكين. تخبطت الألوان المختلفة وآثار السكين المتشابكة معا وأنتجت شكلا ديناميكيا غير متوقع. أثبتت الألوان المكشوفة في أشكال مسمارية وجودها القوي.

ماذا حدث بالليل؟ تذكر أنه تشاجر بعنف مع زوجته. ولا يتذكر شيئًا بعدها.

تساقطت أشعة شمس الصباح من النافذة. دخلت عليه زوجته وهي ترتدي قميصه الواسع ذا الرقبة المهلهلة وتحمل كوبًا من عصير البرتقال البارد. سألته هيه-ري بعينين مندهشتين وهي تجول بنظراتها بينه وبين اللوحة التي صارت أشلاء.

- ما الذي حدث هنا؟ اللوحة... هل أنت من فعل هذا بها؟

هذا ما يرغب في أن يسألها إياه. فسألها في المقابل بعينين شاردين لم تفقا بعد من سطل الخمر.

- أنا؟

إنه لا يتذكر شيئًا على الإطلاق. سألته هيه-ري مجددًا:

- هل نعود إلى فيلم ذاكرتك مجددًا؟ إلى أي حد تتذكر؟ هل تتذكر شربك الويسكي؟ وشجارك معي؟ صراخك عليّ بأن أرمي اللوحة؟

تذكر هذا الجزء، ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟ سألتها بتعابير متشككة:

- هل ألقيت بالويسكي على اللوحة؟ أم أنا من فعلت؟ ما الذي حدث؟

أجابت هيه-ري:

- ما الذي تعنيه بما حدث؟ اعتقدت أنك سكرت فحاولت أن أجعلك تخذل للنوم ثم أعود إلى المنزل

الرئيسي لكنك أحدثت كل تلك الفوضى.

- فوضى؟ أي فوضى؟

- كنت ممدداً على الأريكة فحاولت أن أفرد الغطاء عليك لكنك نهضت فجأة وأسرعت نحو «الكانفس»، كما لو أنك تعتزم أن تحطمه.

عادت له لقطات من الذاكرة بشكل مبهم. حد سكين «الكثر» الفضي الذي أخذه من على طاولة العمل. سطح «الكانفس» الذي أخذ يحملق به وهو واقف أمامه بلا حركة، كسره لحد السكين الحامي، الشعور بحد السكين يخترق الألوان، الألوان البارقة المنتشرة من بين الفتحات الممزقة.

- ظهر أساس هذه اللوحة بعدما قمت بتقطيعها بالسكين وحاولت تدميرها. كان يمكن لأي شخص أن يدرك ذلك، أنك تخجل منها وتحبها في الوقت نفسه.

نظر إلى بواقي الألوان المشتتة والبراقة في أن واحد المنبسطة أمامه. ذكرته الألوان الأصلية الظاهرة بعد أن اخترقت الطبقة السطحية عديمة اللون بالهواية التي تختفي أسفل الحياة اليومية الرتيبة، بالذكريات التي تهب في الصعود إلى السطح كالبرق المفاجئ وتخرق قشرة الوعي. ومثل الألوان التي لا تظهر إلا بعد التمزيق والكشط والكحت، كذلك كانت الحقائق التي لا يمكن مواجهتها من دون التحلي بالشجاعة والاستعداد للإصابة بالأذى.

استيقظ أمامه عالم جديد. بدا أنه يعرف ماذا

سيرسم وكيف يرسمه. فبدلاً من أن يطلي بالألوان على «الكانفس»، سيستخدم لوحاً خشبياً وسيظهر الألوان بالكحت والكشط والحفر. وسيضفي عليها معانٍ من ذاكرته المشعة وسط طبقات الزمن المتراكمة بداخله.

بوسعه أن يصدق الآن أن بداخله ألواناً زاهية. شعر بذلك لدرجة شعر بالظلم أيضاً عن كل ذلك الوقت الذي قضاه وهو يجهل هذه الحقيقة.

«قررت أن أتركه في اللحظة التي أدركت فيها أنني أحب شخصاً آخر وليس الأمر أنني لا أحبه».

في أول يوم بدأت فيه هيه-ري الكتابة، كتبت جملة واحدة ثم وضعت القلم. لم تكن لديها الثقة بداخلها لكتابة جملة أخرى. لم ترغب في أن تفكر في من هو، ومن هي. و فقط في اللحظة التي توقفت فيها عن التفكير فيه، تمكنت من أن تكتب عنه، وعن الموت، وعن الحب، وعن العنف، وعن الهاوية.

فكرت فجأة أنها تتمنى لو كان لديها طفل، أو ربما طفلان. كانت لديها الطبيعة الدافئة لتصبح أمًا جيدة، رغبت في أن تصبح كذلك. لكن ما جعلها تمتنع عن الإنجاب كان هو. فقد كانت خائفة من أن تحب ذلك الطفل، وأن تصيبها الهموم إذا مرض وتعطيه الكثير من وقتها، خافت من أن يتبعها طفلها ويحبها ويحترمها.

لم يكن ذلك بسبب الصدمة التي تعرضت لها من مأساة والديها. كانت حياة أبيها وأمها مخيبة للآمال،

لكنها لم تخل من الذكريات الجميلة. فقد حصل كلاهما على احترام الآخرين وكانا خيرين ومثقفين. وعلى الرغم من ذلك، رضيت هيه-ري بهان-جو.

لقد اعتنت به كابنها. جعلته يفعل ما يجب أن يفعله وجعلته يحقق ما يرغب فيه. لقد انتشلته من ركوده، وجعلت منه رجلاً غنياً. وذلك كان واضحاً للعيان بفضل جهدها وتضحيتها.

لو كان هناك طفل، بالتأكيد سيؤثر على كل قراراتها. سيغير من عزمها للوصول إلى هدفها وسيحوطه إلى تردد، ولن يكون باستطاعتها أن تحطمه أو تقوده إلى الهاوية.

وماذا عن ذلك الطفل الوحيد الذي فقدته هيه-ري، ذلك الطفل الذي افتقده هان-جو كثيراً؟

لم تفقد هيه-ري أي أطفال، ولم تحمل قط في أي طفل. فقد كانت حريصة في وسائلها لمنع حدوث أي حمل. وعلى الرغم من أنها كانت تشعر بالشفقة عليه وقد غرق في الحزن على طفل لم يوجد في الأصل، كانت تستمتع بشعورها بانتصار خفي بأنها عاقبته دون أن يدرك أحدهم. تذكرت ميديا وهي تقتل ابني جاسون اللذين أنجبتهما. عقابها القاسي لزوجها الماجن بقتل الطفل دليل حبهما. انتقامها التام الذي تحقق بتدميرها لنفسها.

تحسست هيه-ري فخذها بيدها التي تمسك القلم بها. شعرت بلمس الجروح الصغيرة والكبيرة الخشن أسفل يدها. وعاد إلى ذاكرتها الشعور الحي بالألم الحاد، كان يخبرها بوضوح أن ماضيها ليس

بحلم عابر.

أطراف ملابس أختها المدرسية البيضاء المبللة،
عينا أباهما المحققنتان بالدماء، أولئك الأشخاص
الذين كانوا يتوقفون عن الحديث في استهجان
عندما يرونها، الليالي التي نامتها وحدها، اليوم
الذي ظردت فيه من المدرسة، صوت الضحكات من
خلفها وهي تغادر بخطوات متثاقلة ساحة المدرسة
المتسعة، ظهيرة ذلك اليوم الذي أخذت فيه بعضًا
من ملابسها واتجهت إلى سيول، الشوارع غير
المألوفة للمدينة المجهولة بالنسبة إليها، الأضواء
والأصوات...

كتبت هيه-ري قصتها وهي تجذب من داخلها
الحزن والأسى والغضب والعداء لكل جروحها. لم
يكن ذلك بسجل تحن به إلى الماضي وتغلفه بطريقة
مناسبة، بل كان تقريرًا تفتش فيه عن الحقيقة
المدفونة وتعيد به الماضي المفقود، وعريضة
تطالب فيها بمحاكمة المجرم المتخفي.

ستكون قصتها كالقنبلة. ستنفجر تلك القنبلة في
وسط منزل هاورد بلا صوت، من أجل أن تحطم
حياة ذلك الرجل الذي أحبته وتحولها إلى أشلاء.

وفي تلك اللحظة، اشتغل رأسها وعلت بداخله
أصوات صفارات الإنذار، ثم...

بوم!

الفصل الخامس

جلسا جنبًا إلى جنب على كرسي بالحديقة، وقد أقت ظلال أزهار الليلك على جسديهما البقع. كانت هناك طائرة ترسم مسارًا فضيًا عبر السماء. اخترق صدر هان-جو حزن حاد كنصل سكين حام.

- ما... ما كتبته كله أكاذيب. لقد جعلت مني محتالًا يستدرج القُصر. كنت طالبة بالجامعة عندما التقيت بك، كيف يمكن أن تكوني في الثامنة عشرة من العمر فقط وقتها؟

أجابت هيه-ري في برود أمام معارضة هان-جو لها:
- لم أكذب عليك. قلت لك إنني لست طالبة بالثانوية ولم أقل قط إنني طالبة جامعية. أنت من توهم بأن طالبة الثانوية المفصولة من المدرسة ذات الثمانية عشر عامًا طالبة جامعية.

ذكرته هيه-ري وهي ترتدي نظارة شمس داكنة ببطلة أحد الأفلام التي شاهدها مغا في السابق. هز هان-جو رأسه وتلعثم في الحديث قائلاً:

- أنت... أنت التي أعرفها ليست هذا الشخص.

- وأي نوع من الأشخاص أنا؟

فكر هان-جو في الإجابة، أي نوع من الأشخاص هي... لكن لم يتمكن من التفكير في شيء. كان يفكر سابقًا أنه يعرفها أكثر من أي شخص آخر، لكن الآن بدت له شخصًا غريبًا عنه تمامًا.

- لا... لا أعرف. اعتقدت أنني أعرف عنك كل شيء سابقًا، لكنني الآن لا أعرف شيئًا. ببساطة، أعرف أنك

شخص لن يصطنع شيئاً لم يحدث، حتى وإن كان بإمكانك أن تخفي ما حدث كأنه أمر لم يكن.

لم تجبه هيه-ري. بدا أنها مترددة من أين تبدأ حديثها، لا لأن ليس لديها كلام لتقوله. في النهاية قالت:

- لم أصطنع شيئاً. كل ما كتبتة كان أشياء رأيته وسمعتها. أشياء أنت أيضاً رأيته وسمعتها. ولكن يمكن القول إن ما رأيته وسمعتة أنا وما رأيته وسمعتة أنت القصة نفسها؟ لدي قصتي الخاصة كما أنت لديك قصتك.

- حدثيني إذا، ما قصتي وما قصتك؟ وكيف تختلفان؟

- قصتك دائماً مشعة. موهبة مدهشة، نجاح مبهر، شخصية مترفعة ومديح دائم ممن حولك... ليست هذه بقصتنا وليست بقصتي بالتأكيد. قصتي مظلمة ومؤلمة. بدأت وانتهت بصنعي منك فنائاً. ولأفعل ذلك، تعين علي أن أصب كل ما أملك لأحبك.

- وكيف لي أن أنكر ذلك؟ فأنا من دونك لا شيء، أو ربما لأصبحت إنساناً فاشلاً. حسناً، لقد أحسنا صنفاً إلى الآن، وتمكنا من الحصول على ما نرغب... هذا ما رغبتة أنت وليس ما أرغب فيه أنا.

- أياً كان من رغب، أليست النتيجة واحدة؟ حققنا ما رغبنا فيه، ولكن ما بال الوضع الآن بحق السماء؟ أمعنت هيه-ري النظر في هان-جو ثم أجابته في برودة باقتضاب:

- اعتزم أن أحطمك.

لم يفهم هان-جو إجابتها، ولم يسعه سوى أن ينظر لها شاردًا وهو يقول وكأنه يحدث نفسه:

- لا يمكن. أرجوك لا تفعلي ذلك. لا أعرف لماذا تتصرفين هكذا حقًا؟

- أريد أن أحطم موهبتك، وثروتك، وسمعتك، وحبك، وكل شيء يخصك. لكنك لم تملك شيئًا من ذلك. حتى موهبتك كان هناك احتمال كبير من ألا تظهر للعيان. لذلك لم يكن بوسعي سوى أن أجعلك تمتلك كل هذه الأشياء لأسلبها منك.

ارتعدت أسنانها من فكرة أن موهبته الوحيدة تحولت لتصبح سلاحًا قاتلًا يفتك به. أصدر الغضب بداخله صوتًا غليظًا كتلاجة قديمة، والتهب جسده من حرارة الغضب. حرك شفتيه المتصلبتين غصبا وأخرج صوتًا قاتلًا:

- تدميرك لي يعني تدميرك لكل لوحاتي. أهذا حقًا ما ترغبين فيه؟

- وكيف لها أن تكون لوحاتك؟ ألا ترى بعينيك آثار الجروح على اللوحات؟ تلك الجروح المكشوفة بالسكين والمحفوفة بورق السنفرة والمدقوقة بالإزميل هي حياتي التي مزقتها بالسكين بغرفتي الصغيرة المظلمة، بالحمام المطل على ضفة النهر في يوم ممطر. لقد سحبتها ورائي وصولاً لهذه اللحظة، حتى وإن لم تكن جميلة أو عظيمة، حتى إن كانت بانسة ومؤلمة، فهي حياتي. إنها الشيء الوحيد الذي يخصني، وإذا تخلصت منها، لن يصبح

لدي شيء. كيف لها أن تكون ملكك إذا؟

- كلامك كله صواب. كل إنجازاتي هي إبداعاتك أنت. فالعمل الوحيد الذي قمت به هو النظر إليك والاستماتة في رسمك، وبالفعل سرقت جزءًا من موهبتك.

- لكنك قلت إن تلك اللوحات تخصك، لأنك توهمت أنك حصلت علي، وأن حياتي أيضًا ملك لك. بالتأكيد هذا ما اعتقده الآخرون أيضًا. ولكن أتعلم؟ ليس لك الحق في أن تحصل أو ألا تحصل على شخص. ليس هناك في هذا العالم من لديه حق كهذا.

- لكننا زوجان. أنا زوجك وأنت زوجتي... ولا نزال كذلك إلى الآن...

- حسنًا، يمكنك أن تنظر إلي، وأن تستمع إلى ما أقوله، ويمكنك أن تخبرني بقصتك. يمكنك أن تلمسني وأن تحبني وأن ترسمني. لكن لا يمكن الحصول علي. لا يمكنك جعل حياتي ملك لك. أتفهم الآن؟ لماذا تلك اللوحات تخصني ولماذا هي ليست لوحاتك؟

تردد صدى صوت هيه-ري بأذني هان-جو وكأنه داخل مياه عميقة. وقف فشعر بجسده منتصب كالأشواك. سألها هان-جو بعينين متوسلتين:

- أحببتني، أليس كذلك؟ لكن لماذا تفعلين هذا بي؟

- لقد حطمت حياتي وحياة عائلتي.

علا وجهها تعابير فارغة لدرجة أشعرت هان-جو بالذنب وكأنه عذبها أو هجرها. لكنه كان هو من هجر

وليست هي. أسره خوف عظيم من حقيقة أنه غير مسلح وأنه مكشوف أمام تلك المرأة التي ترغب في تدميره وأن لانتقامها سببًا ما. فحاول بأقصى جهده ألا يتلعثم في الكلام أمامها.

- أنت... مخطئة في التفكير حيال موت أختك. لا يخلو الأمر من الشك بالتأكيد ولكن...

أخفضت رأسها للحظات، ثم قالت بعد أن رتبت أفكارها:

- أخبرني خالي وأنا صغيرة إنه لا داعي لأن أعرف إذا سألته عن موت أختي، بل إنه قال إنه من الأفضل ألا أعرف وتفادى أن يجيبني. عرفت فيما بعد أن كل ذلك كان أكاذيب متجمعة افتعلتها الشرطة المتقاعسة والإعلام المتفاخر والرأي العام عديم الصبر. خدع كل منهم الآخر وانخدع كل منهم بكلام الآخر.

أرجعت هيه-ري شعرها إلى الوراء مستخدمة نظارتها الشمسية كرابطة شعر. تصاعدت من جسدها رائحة الغبار الجاف.

- إذا... إذا لم يكن أبي... أتعتقدين أنه أخي؟

تذكر هان-جو وجه أخيه المستقيم المشع بالضوء، واندھش من نفسه لطرحه هذا السؤال. أفاضت الشمس المعلقة في سماء ناحية الغرب بألوان غسق الليل، وقد امتزج بها اللونان البرتقالي والرمادي. سمع صوت ضحكات الطالبات بالملعب وصوت صرخات الطلاب وهم يلعبون كرة القاعدة. أجابته

هيه-ري:

- أخوك أذكى من أن يقتل أحدًا. فهو النقيض التام لوالدك العاطفي البسيط. عرفت كذبتك بعد أن اطلعت على سجلات التحقيق وقابلت الشهود.
- كذب؟ أنا؟

- لم تكن مع أخيك في الوقت الذي ماتت فيه أختي. لقد زورت في أقوالك. وسواء كنت غيبًا أم ماكزًا، الشرطة صدقت الأكاذيب وقتها.

فغر فمه على اتساعه. قال لها وهو يمسك بكتفها وكأنه يتوسل إليها:

- لقد كنت أرتعد خوفًا وقتها. حتى إن كان لأخي مقصد آخر، لم يكن بإمكاننا أن نرفض حجة الغياب تلك. وكان لا بد أن أحمي أخي إذا ما زبط بالقضية بأي شكل. كما فعل أخي معي...

- كانت لتتغير أشياء كثيرة إذا قلت ذلك وقتها، لتغيرت نتيجة التحقيق ولتغيرت حياتنا نحن أيضًا. لكنك قلت ذلك كذبًا.

انتشرت البرودة بجسد هيه-ري. بذل هان-جو قصارى جهده ليخرج الكلام من فمه.

- م... مستحيل أنك تعتقدين أنه أنا؟ أنا، أنا الذي قتلت جي-سو؟

في تلك اللحظة، بدأت كل اللحظات والأحاديث والأفعال التي قاما بها معًا تأخذ معنى مختلفًا تمامًا عن السابق. أجابته هيه-ري:

- لقد وقفت أختي في إجازة الصيف من ذلك العام أمامك كعارضة عري بالمرسم في المبنى المنفصل.

وسواء كان ذلك بإرادتها أم أجبرتها عليه، فعلت في تلك الليلة - أو على الأقل حاولت - شيئًا بغيضًا معها، ذلك الذي فعلته معي في منزل هاورد.

أمعنت النظر إليه بعينين هادئتين، كما لو أنها تحملق بالقاتل المختبئ بداخله. شعر وكأن تيارًا قويًا ضربه ومر.

- إنه سوء فهم. لم تنزع جي-سو ملابسها أمامي قط، ولم يحدث ذلك الأمر الذي تظنينه مطلقًا.

صرخت به، فاستيقظ روسكو الذي قبع أسفل أقدامهما وقد غلبه النوم وأخذ ينظر حوله:

- كذب مرة أخرى. لقد رأيت بعيني بوضوح رسومات لجسد أختي العاري في دفتر الرسم الخاص بك!

قال هان-جو:

- حسنًا، لقد رسمت لوحات عارية لجي-سو. ولكن هذه الرسومات كلها من خيالي، لا أفتخر بهذا. لكن حبي لجي-سو كان حبًا من طرف واحد لا غير، ولم أستطع أن أظهر اشتياقي لها سوى بتلك الطريقة.

انتشرت الرعشة التي بدأت بأصابع هيه-ري في كامل جسدها. لم يعرف ما إذا كانت قد اقتنعت أم أنها ترفض ما يقوله. قالت وهي تبذل قصارى جهدها لتحافظ على هدونها:

- لقد رأيتك تتبع أختي التي كانت تبكي وهي تهرب إلى ما وراء التل. وبعدها عدت إلى منزل هاورد، اعتديت عليّ دون إرادتي واستخدمت

العنف ضدي ولم تشعر بأي ذنب. ومهما كنت أحبك، كراهيتك بداخل رأسي ملتصقة لا تزول.

لم يصدق هان-جو أنها تحبه. كل ذلك الوقت الذي قضياه معًا يحبان بعضهما ويساعدان بعضهما، تلك النظرات التي كانا ينظران بها لبعضهما، الكلام المعسول الذي همس به في أذنها، ملمس يدها التي تتحسس وجهه، كل تلك الأوقات التي ضحكا فيها معًا واستمتعا بقضائهما معًا.

لم يكن هذا القدر. لقد كان ذلك حصاد ما زرعه وعقابًا له. تصلب جسد هان-جو أمام شعوره بالذنب لأنه لم يتمكن من إدراك أو تخيل أخطائه وحقيقة أنه كان يزرع الكره بداخل تلك المرأة التي أحبها طوال حياته وأنها كلما أحبته، كان ذلك يزيد من آلامه لتلك الكراهية التي زرعتها بداخلها. اعتقد أنه يفهم الآن لماذا تزوجته هيه-ري.

نهض عن كرسي الحديقة فجأة. لم يفكر في الذهاب إلى مكان معين، لكنه رغب فقط في الخلاص من هذا المكان. أسرع يقطع الحديقة جريًا. ابتعد عنها شيئًا فشيئًا ظهره العريض المتأرجح كطائر هزيل، ورقبته وشعره المموج، وذراعاها الطويلتان وكتفه المائلة قليلًا إلى جهة اليمين. كل ما تشاركته معه من أحاديث، وأصوات الحب الخفية التي تقاسماها معًا، وضحكاتهما في الصباح الباكر وهما يخبران بعضهما بالحلم نفسه الذي حلما به في اندهاش... راقب روسكو المكان الذي اختفى فيه شاردًا بعينين نصف نائمتين.

جثم بالمرسم كالجندي الذي لجأ إلى خندق ليتفادى منطقة إطلاق النيران. تسارعت أنفاسه واستمر يسمع صوت صفارة متواصل بأذنيه. وبعد لحظات، سمع صوت محرك سيارتها، بعدها صوت تهشم الحصى أسفل عجلات السيارة، وصوت انزلاق عجلات السيارة الحاد على الأرض، بعدها أخذت الأصوات تبتعد عنه شيئًا فشيئًا.

ذهب هان-جو ليرى يون سان في مستشفى للنقاهاة بالضواحي تقع على بعد ثلاثين دقيقة من وسط المدينة. كان يون سان يعمل حارس أمن في ذلك المستشفى الكبير ذي المائة وستين سريرًا. لم يخبره بالتفاصيل لكنه قال له إنه ترك عمله في الشرطة منذ تسعة أعوام. وبعدها عمل مسؤولًا إداريًا بشركة أمن ثم عمل بتجارة الجملة للخضار والفاكهة ثم حارس أمن لمجمع سكني. وكان قد خسر كل أمواله التي جمعها بسبب فشله المتكرر في استثماره.

ومنذ ثلاث سنوات تقريبًا، طرد من عمله بشركة أمن وأصبح يقضي الوقت في شرب الخمر إلى أن أصابه نزيف في المخ. تمكن من النجاة من على شفا حفرة الموت، لكنه أصيب بشلل تام في ذراعه اليمنى، فأتى إلى هذا المستشفى للعلاج التأهيلي واستمر به لمدة عامين. وعندما استطاع بالكاد أن يتحكم بجسده، عرض عليه رئيس المستشفى العمل فيها كحارس أمن لما راه فيه من عزيمة وإصرار. قال له يون سان:

- لكم كان الأمر رائعا لو أن والدك لا يزال حيا. كان سيسعد جدًا برؤيتك وقد أصبحت فنانًا عظيمًا.

مد له يديه وهو جالس على الكرسي وقد ارتدى قميصًا أبيض بياقة مهترنة وسترة مهلهلة. أعطاه ذلك انطباعًا بأنه صاحب مطعم بحي طيب المعشر وليس المحقق المثابر الذي عرفه هان-جو سابقًا. كان شعره القصير في قصته الجديدة أبيض وكأنه مغطى بالضباب، وبدأت آثار العمليات السابقة بفروة رأسه متخللة شعره. كما كانت التجاعيد المحيطة بفمه عميقة. جانبا بطنه بارزان، لكن جسده بدأ أصغر مما كان عليه سابقًا.

- كان والدي فخورًا بأخي أكثر مني.

- كان كذلك، لهذا سيسر كثيرًا لما وصلت إليه.

اصطحب يون سان هان-جو إلى غرفة الزيارة بالطابق الأول من المستشفى والذي يدار كمقر. انحنى ظهر يون سان السميكة في استدارة عميقة وقد جلس على الكرسي أمامه. استفاض في الحديث عن سقوطه كمحقق بعد تركه موقع العمل والحياة المريحة لما بعد التقاعد والتي تعين عليه أن يتخلى عنها وعن الموت الذي مر من أمام عينيه. ثم أخذ يحرك شفثيه المغلقتين بإحكام وسأله:

- أتيت لتسأل عن تلك الحادثة، أليس كذلك؟ ليس هناك سبب يجعلك تأتي إلي سوى ذلك الأمر.

وأضاف أنه توقع أن يأتي يوم كهذا عندما كان يرى هان-جو على شاشة التلفزيون. بدا أنه يعرف بوضوح ودقة ما الذي يرغب هان-جو في سماعه

أكثر من هان-جو نفسه.

- أتذكر ذلك الأمر؟

- أشعر بالضيق لمجرد التفكير في ذلك الأمر الآن أيضًا. كان التحقيق في مازق لم نتمكن من الخروج منه وهناك ضغوط كبيرة من الأعلى... لم تكن هناك أي نتائج على الرغم من توسيع نطاق البحث واستجواب المحيطين. ولم يكن هناك أي شيء يذكر كذلك من استجواب المجرمين ممن لهم سوابق مشابهة أو من المجرمين المحتملين. عدنا خالي الوفاض بعد التحقق من أي علاقات مشحونة بالكراهية وكذلك بعد التحقيق مع المرشحين المحتملين بالانتخابات.

تمكن يون سان من استرجاع أوضاع التحقيق في ذلك الوقت بشكل حي وكأنها منعكسة أمامه على شاشة كبيرة.

في الاجتماع السابع لتفقد مسار التحقيق، وضع رئيس التحقيق كانغ إيل-هو فرضية بأن المجرم شخص تعرفه الضحية نظرًا لأنه لم تكن هناك أي آثار للعنف الجسدي على جسد جي-سو.

- لم يكن هناك أي عنف أو مشاحنة ولا أي جروح ناتجة عن الضرب. ولم تكن هناك كذلك أي آثار لنقل الجثة بعد قتلها إلى مكان آخر. لقد ذهبت القتيلة إلى موقع الجريمة بإرادتها. يجب علينا أن نجد ذلك الوغد المقرب من الضحية لدرجة تجعلها تذهب لمقابلته دون أي ذرة شك. أيخطر ببالكم شخص معين من ضمن المقربين من الضحية أو ممن

كان تشوي تيه-غون أول من تحدث بعد أن أنهى رئيس التحقيق حديثه.

- كان رجال منزل مالكوم مقربين من الضحية، وهم أيضًا الأكثر قربًا من ناحية المسافة. هناك شهادة بأن الابن الأكبر لذلك المنزل كان يتنزه كثيرًا بالقرب من الخزان.

هز أعضاء فريق التحقيق رؤوسهم، ثم رد عليه يون سان الذي كان يستمع لحديثه:

- كان أولاد ذلك المنزل معًا في مرسوم المبنى المنفصل مساء يوم الحادث. ولا يبدو أنهما يكذبان نظرًا لتطابق أقوالهما التفصيلية.

صوب تشوي تيه-غون نظرات حادة ليون سان ثم قال:

- لقد تحققت من المدعو لي جين-مان واكتشفت أن له سابقة عنف. وإذا أمعنا أكثر في أمره، سنجد أن حجة غيابه بها فجوات زمنية. ليس فجوات زمنية فقط بل هي بالأحرى غير دقيقة.

استكمل تشوي تيه-غون حديثه وقد علت وجهه ابتسامة مأكرة:

- أنهى لي جين-مان أعمال تغيير الأنابيب قرابة الساعة السادسة من مساء يوم الحادث ثم سار باتجاه متجر بيع مستلزمات البناء الذي يبعد عن المدرسة بحوالي عشر دقائق تقريبًا. إلى هنا كل الأمور جيدة، ولكن المشكلة هي الفترة ما بين

الساعة السادسة وأربعين دقيقة من بعد ما ترك متجر بيع مستلزمات البناء إلى الساعة العاشرة ليلاً. فليس هناك ما يمكن أن يثبت أقواله بأنه عاد سيزًا على الأقدام إلى المنزل. وقالت زوجته إنها أنهت عملها بمنزل هاورد وعادت إلى منزلها قرابة الساعة العاشرة وإنها رأت وقتها زوجها وهو يخرج من الحمام. أيعقل ألا يغتسل شخص غارق في العرق والتراب وقد عاد إلى منزله مبكرًا إلا في أول المساء في العاشرة ليلاً؟ في فصل الصيف الحارق هذا؟ وحتى إن صدقنا أقواله، ألا يعني هذا أنه كان بمفرده طوال تلك الفترة إلى حين عودة زوجته؟

قلب يون سان في أوراق مفكرته وتأكد من حجة غياب لي جين-مان.

- كان يتذكر ما ورد في أخبار الساعة التاسعة مساءً. وقد ذكر إعادة الهيكلة الضخمة لبنك بيونغهوا واللقاءات مع أفراد عائلات المفصولين عن العمل بالتفصيل.

رد عليه تشوي تيه-غون:

- الأزمة المالية، إعادة الهيكلة، فصل الموظفين بأعداد ضخمة، كل هذه أخبار مكررة. البنك الذي فصل موظفيه، انتحار المجندين، الانتحار الجماعي لعائلات يعانون الفقر المدقع...

فعلا صوت يون سان:

- لا تنظر إلى حجة الغياب بل انظر إلى الشخص نفسه. انظر إلى القمر لا اليد التي تشير إليه. فوجود فجوات زمنية في حجة غيابه لا يعني أنه قاتل. إنه

شخص ضعيف جدًا، ولا يمتلك الجرأة ليقتل أحدًا.

- ليس هناك ما يقرر قطعًا من يكون قاتلاً.

فصل رئيس التحقيق في المشادة بينهما بطرقه على الطاولة ثم واصل الكلام:

- على أي حال، هناك ثغرة ما بالأمر حتى بالتحقق الكامل من مصداقية أقواله ومن مصداقية الشخص نفسه. وفي ذلك الوقت، قُتلت فتاة صغيرة. تلك الفترة التي نتحدث عنها هي توقيت مقتل الضحية التي نبحت عن مرتكبها.

مشط يون سان الذي أنهى حديثه شعره الرمادي إلى الوراء بكف يده. بدا عليه الكبر في العمر بسبب التجاعيد المحيطة بعينه ولكن كان به نوع من الرقة التي تميز كبار السن. ذلك الوجه يزرع وهماً في النفس بأن كل البشر طيبون وصادقون ويمكن الثقة بهم. استكمل حديثه وقال:

- استجوب فريق التحقيق بعناد لي جين-مان عن مكان تواجده في الفترة ما بين السادسة والأربعين دقيقة إلى العاشرة ليلاً. كان يكرر في كل مرة أنه كان في المنزل... وفي ذلك الوقت، تم التأكد من دليل قاطع. كان ذلك نتيجة تحليل السائل الذي أستخرج من جسد جي-سو. كان من الصعب التوصل إلى تحليل دقيق نظرًا لأن الكمية كانت صغيرة جدًا ولمرور وقت كبير عليها، لكن نتائج علامة فصيلة الدم تطابقت مع فصيلة دم لي جين-مان. لم نتمكن من الحصول على نتائج ذات معنى بتقنيات الطب الشرعي وقتها ليتم تبنيها من

قبل المحكمة كدليل، لكنه اعترف بالجريمة.

- ألم تشك ولو مرة واحدة في مصداقية اعترافه؟

- لم يكن هناك أي دليل على كذب اعترافه. ولم يكن هناك أي شيء قد يقلب أقواله بأنه كان وحده بالمنزل، وتم إثبات نقطة أنه مجرم تعرفه الضحية من خلال الصور التي التقطها لي جين-مان لجي-سو بالسد. كانت الأدلة وشهادة الشهود التي جمعها فريق التحقيق كافية لدعم اعترافه.

- أتصدق إلى الآن أن والدي قتل جي-سو؟

تذكر يون سان رئيس التحقيق كانغ المقيم في مستشفى للنقاهة بعد إصابته بالزهايمر وتشوي تيه-غون الذي توفي جراء إصابته بالسرطان قبل ستة أعوام. تمنى أن يتقدم أي منهما ليحيب عن هذا السؤال بدلاً منه.

- النقطة الرئيسية كانت متمركزة حول إذا ما كنا سنصدق حجة غيابه أم لا وليس حجة الغياب نفسها. بدا اعترافه صادقاً إلى حد كبير، والأدلة الظرفية التي تدعم الشك في أنه القاتل كافية. ولكن بقي هناك شيء ما غير مريح في الأمر.

- هل كانت هناك احتمالات أخرى بأنه شخص غير أبي؟

- يمكنك قول ذلك. لم يكن بالشخص الدقيق أو الحريص أو المخطط. بكلمة واحدة، لم يكن الشخص الذي قد يقتل أحداً.

- من هو إذاً من الذي قتل جي-سو؟

- لست متأكدًا... وهل هناك أي معنى إذا عرفنا ذلك الآن؟

- يا لها من انعدام مسؤولية من جهتك. يجب أن أعرف حتى ولو الآن.

ضغط هان-جو عليه للحديث. قطب يون سان حاجبيه محاولاً تذكر أكبر كمية من التفاصيل الخاصة بالتحقيق وقتها واستكمل حديثه. أطلع هان-جو على ما تذكره من الأدلة وشهادة الشهود التي تم جمعها خلال عملية التحقيق حتى وإن لم يكن هناك متهم معين يحققون في أمره. وقال له أيضًا إنه كانت هناك شهادة لأحد الشهود بأنه رأى سو-إين في محيط السد قرب وقت الحادث.

- ما دافعك الآن في أن تذكر اسم أخي؟

غضب هان-جو فجأة، فهز يون سان رأسه وكأنه يطلب منه السماح.

- لا تسئ فهمي. أنا أقول ذلك فقط لأنني شعرت أنه من الضروري أن تعرف الوضع في ذلك الوقت. في الحقيقة، أنا لم أتمكن من استبعاد الشكوك حول إمكانية أن يكون موت جي-سو حادث انتحار. ولكن احتمالات الانتحار تم تجاهلها ولم يأخذ بها الرأي الفاصل. فقد كان هناك ضغط آخر غير التحقيقات الصحفية والضغط من الأعلى بضرورة سرعة إنهاء التحقيق.

- ومن كان هذا؟

- عائلة القتيلة... وعلى وجه التحديد والدها. لم

يتمكن السيد جانغ هي-جيه من تقبل فكرة انتحار ابنته بل إنه قال بوضوح لفريق التحقيق إنه ليس انتحارًا. أنا لا أنكر على أهل الضحية رفضهم لمقتل ابنتهم المأساوي ولكن لم يكن الأمر مقتصرًا على هذا فقط. فهو لم يكن فقط والد الضحية بل أيضًا مرشح قوي محتمل للفوز في الانتخابات المحلية للعام التالي. وإذا تم الفصل في قضية ابنته على أنها حادث انتحار، فلا سبيل لآلا يؤثر ذلك الأمر بالسلب عليه. أنت تعرف كيف هم الناس، كيف يضبط شخص يسعى لتقلد المناصب في البلاد أمور منزله؟ لم يتمكن من حماية ابنته فما باله بالسياسة؟ وغير ذلك... اعترف والدك عندما بدأ مسار التحقيق في الاختلال.

- كانت كذبة يوافق عليها الجميع إذا.

- ليس هذا مغزى حديثي.

- ماذا هو إذا؟

- بعد مرور عشرة أعوام تقريبًا على الحادث... سمعت ما حدث للابنة الصغرى من ذلك المنزل من نام بو-را. قالت إنها زارتها بقسم الشرطة لتسأل عن الحادث، فشرحت لها لتفهم ومن ثم أرسلتها للمنزل، لكن هناك أمرًا ظل يورقها، ليس لأنها قالت شيئًا أو سمعت منها شيئًا بل لأنها لم تقل لها أمرًا بعينه. فهي لم تستطع أن تقول لتلك الطفلة إنه من المحتمل أن يكون موت أختها انتحارًا.

- بالتأكيد لأنها كرهت أن تزيد من تشوشها ورغبت في أن تزيل العبء من عليها.

- على الأحرى لم تتمكن على الإطلاق من أن تخبرها أن السيد جانغ الذي توفي رفض احتمال انتحار ابنته. فكيف يمكن أن تخبرها بأن والدها أخفى الحقيقة وراء موت أختها وأنه دفع بشخص لا علاقة له بالأمر لأن يصبح قاتلاً؟

ارتعش صوت يون سان.

تقدمت الظلمة زاحفة من وراء السحب الحمراء في هدوء. امتد الخط الرفيع والأسود للسور المكون من الأشجار القصيرة من خلف نافذة المرسم. أشعل سو-إين الذي دخل المرسم المظلم المصباح وصرخ به:

- لنطلب بيتزا على الأقل، فأنا جائع.

كان شكل هان-جو الممدد على الأريكة وكأنه دفن بها كالسكير الذي يعاني آثار الإفاقة من شرب الخمر. شعره الذي لم يغسله لعدة أيام أشعث، وشفته شديداً الجفاف. ترنح في مشيته إلى أن وصل إلى الثلاجة، طلب البيتزا من المحل الذي كان إعلانه ملصقاً عليها بمغناطيس. ثم أخرج ست علب بييرة ومررها إلى سو-إين. قال له سو-إين:

- اعتقد أنك ثملت بالفعل.

- شربت كأساً واحدة فقط بينما أنتظر قدومك.

تجرع سو-إين البييرة ومسح فمه بكم قميصه. كانت الدماء محتقنة في عيني هان-جو. هل كان يبكي وحده قبل أن يأتي؟ أخوه الذي لم يبكي وقد ضاع في الشوارع وحده لأكثر من ساعة، هان-جو

الذي انتظره في الشارع لأكثر من ساعة. هب نسيم خفيف من النافذة المفتوحة محملاً برائحة الورد العطرة. سأل هان-جو:

- ما الذي سيحل بنا الآن؟

لم يتمكن سو-إين من أن يجيبه حتى بعد أن نضج وصار بهذا العمر. تجرع هان-جو المتبقي من البيرة وجعد علبة الصفيح الفارغة بيديه ثم قذف بها في اتجاه سلة القمامة. سقطت العلبة الفارغة على الأرض بعد أن اصطدمت بالحائط.

- لنشرب الخمر أفضل.

سكب سو-إين لهان-جو غصبا كأسا من السوجو في الليلة التي تم فيها إلقاء القبض على والدهما، لأنه رغب في طمأنة أخيه الصغير، لأنه لم يكن بوسعه القيام بشيء آخر. هجم عليه شعور بالذنب وهو ينظر إلى أخيه الفارق في السكر وشعر بأنه السبب في ذلك بعد أن أجبره على الشرب في تلك الليلة. هل كان سيعيش أخوه دون أن يعرف الخمر إذا لم يجبره وقتها على شربه؟

لم يبتعد عن ذاكرته للحظة واحدة وجه أخيه الجاثم على الكرسي الجامد. نظر إلى غرز ياقة القميص البالي المهترئة وفقرات ظهره الصغير البارزة. كان جسده في ذلك الوقت أيضا أكبر منه، لكنه شعر بأن أخاه لن يتمكن من أن ينضج أبداً.

- ألم تقل لي في يوم ما يا أخي بأنني سادمر حياتي بإدمان الكحول؟ حسناً، لقد أصبحت مثل أمي. ولكن حتى لو لم تكن الخمر هي السبب، فقد

دمرت حياتي، أليس كذلك يا أخي؟

بدا أن هان-جو يثرثر بالترهات بفعل سطل الخمر.
- عد لوعيك. فأنت لم تدمر حياتك بعد.

- يا أخي. هل سبق وفكرت في هذا؟ أعني لماذا اعترف أبي بجريمة القتل تلك. كنت أفكر وأنا صغير في هذا الأمر بشكل مبهم بأن ذلك كان من أجلنا، ولكن ازداد فضولي عندما كبرت، إن كان ذلك من أجلي أم من أجلك. لكنني لم أرغب في أن أعرف الإجابة، فقد خفت من أتيقن من أنني كنت الطفل غير المحبوب.

أجابه سو-إين وهو ينظر بعينين ملأتهما الشفقة إلى أخيه الذي لاءم جسده الضخم القميص الصيفي المهلهل الذي يرتديه:

- حكى لي أبي سابقًا عما قالته هيه-ري. قال إن هيه-ري رأت شيئًا بالقرب من المرسم بالمبنى المنفصل، بأن جي-سو خرجت مسرعة وهي تبكي من المرسم وأن أحدًا ما لحقها لما وراء التل. ولكنها قالت إنها لم تتمكن من رؤية وجهه.

فهم هان-جو مقصد كلام سو-إين. كان تفكيرًا لم يسبق أن خطر له قط.

- أتعتقد أنه أنا؟

- لا أعرف، ولا أرغب في أن أعرف. فقط ينتابني الفضول لمعرفة السبب الذي جعل جي-سو تخرج مسرعة من المرسم وهي تبكي في ذلك اليوم. أعني ماذا فعلت بجي-سو؟

لم يكن تصرف سو-إين المراوغ ليغطي على الأمر
يلانم ما اعتاده منه في الأوقات العادية. فقال له
هان-جو وهو ينظر إلى كأس الخمر بيده:

- لقد قلت شيئًا لجي-سو.

- ماذا قلت؟

- اعترفت لها بحبي. فقد ظننت أن جي-سو تحبني
أيضًا عندما قبلت أن تصبح عارضة لرسوماتي. لكنني
أدركت بعدها مباشرة أن جي-سو لم تفكر في سوى
كعتبة وئب على النهر لتصل بها إليك. لم يهمني
ذلك، لأنني كنت سعيدًا فقط بتأمل جي-سو كل يوم
ورسمها.

- وما السبب الذي جعلك تخبرها بأنك تحبها إذا
كانت الأمور بينكما على ما يرام؟

- أتذكر؟ لقد ذهبنا معا في نزهة، أنا وأنت
وجي-سو وهيه-ري... أعتقد أن سلوك جي-سو تغير
بعدها بعض الشيء. فقد فقدت جي-سو الاهتمام
بالعمل كعارضة لرسوماتي مع اقتراب انتهاء إجازة
الصيف. لم تعد هناك حاجة لعتبة الوئب وقد عبرت
النهر إليك.

- حدثني عن ذلك اليوم. ما الذي حدث يومها؟

- أخبرتني جي-سو يومها أنها لن تأتي مجددًا إلى
المرسم. وقالت لي إن الشخص الذي تحبه هو أنت
وليس أنا وإنما تظن أنك أيضًا تحبها... غضبت بشدة
وقتها ولم أعرف ماذا أفعل. فتفوهت بكلمات لم
يكن يجب أن أقولها لجي-سو لرغبتني في التشبث

بها. رغبت في أن أرحها كما جرحتنني. رغبت في أن أخبرها بأنها مخطئة في تفكيرها...

- وماذا قلت لها؟

- قلت لها إنك تحب شخصاً آخر، وإنك تتألم بسبب تلك الفتاة، وإنها بديل تلك الفتاة ليس إلا... وظننت أنها بذلك ستتخلى عنك. لكن جي-سو لم تتمكن من أن تصدقني، بل لم تفعل. فقلت لها أن تذهب على الفور إلى منزل قضاء العطلات، وإنك ستكون هناك مع تلك الفتاة.

صرخ سو-إين به وقد فتح عينيه على اتساعهما من دهشته:

- أجننت؟ مَنْ أنت لتقول هذا لجي-سو؟

في حين استكمل هان-جو حديثه في هدوء:

- بالفعل، لقد تصرفت كالأحمق. استرددت وعيي فجأة بعدما رأيت جي-سو تخرج من المرسم مسرعة وهي تبكي. تبعتها لأجد أنها أخذت الدراجة وصعدت إلى ما وراء التل. ذهبت وراء جي-سو حتى ممشى التنزه على ضفة النهر. كان المكان مطلقاً ولم أتمكن من رؤية أحد. لم أعرف ماذا أفعل. جلست على ضفة النهر أتندم على الترهات التي قلتها وانتظرت جي-سو. رغبت في أن أعتذر لها ما إن أراها وأقول لها إن كل ذلك كذب ثم أصطحبها ونعود معاً إلى البيت، لكن جي-سو لم تأت في النهاية. عدت إلى المنزل وحدي بعد أن تأخر الليل.

أدرك سو-إين أن حديث أخيه لم ينته بعد، وأنه لا

يمكنه العودة للبداية كما لو أنه لم يسمعه. فكر فجأة أنه ربما دمر حياة أخيه الصغير. فألقى عليه سؤالاً بدا أنه عتاب وحجة له في الوقت نفسه.

- لماذا ظننت أنني أحب فتاة أخرى؟

كان سؤال سو-إين يحوي الحقيقة المخيفة. كان عليه أن يسأله: «لماذا افتعلت هذه الكذبة؟» وليس شيئاً آخر. تحسس هان-جو الطرف المستدير لزجاجة الويسكي بأطراف أصابعه، أجاب ببطء كأسير يتم استجوابه:

- لقد رأيت مذكراتك صدفة. لم تكن صدفة على الأحرى، فقد قرأتها تلصصاً عدة مرات في السابق. أعرف جيداً أنه تصرف أحمق، وأنه تصرف سيئ كذلك... لكنني أحمق في الأساس. فقط... رغبت في أن أعرفك، أن أعرف إذا كان لديك نقاط ضعف أو جانب مخزٍ. لا، ليس الأمر كذلك. رغبت في أن أعرف عن جي-سو وليس عنك.

- أياً ما كان، هل وجدت ما تبحث عنه؟

- كانت مذكراتك في ذلك الوقت مليئة بالمناجاة والرغبة نحو فتاة ما لا تتقبل حبك، ولم تكن جي-سو.

- هل هذا كل شيء؟

- تحسن مزاجك مع اقتراب انتهاء إجازة الصيف. وكانت مذكرات تفيض بالترقب وقد كتب بها بأنك ستقابلها بعد يومين. لم يذكر بها الموعد والمكان المعنيين ولكن بالنظر إلى ما سبق وأن كتبته،

تمكنت من التخمين. منزل قضاء العطلات بالقرب من الخزان في وقت الغروب. وحتى إلى تلك اللحظة، لم أكن واثقًا تمامًا.

- ولكن كيف تأكدت من ذلك وأطلعت جي-سو عليه؟

- تحققت من الخزانة بغرفة الجلوس. كان هناك درج يضع فيه والدنا المفاتيح الاحتياطية وقد كان مسؤولاً عن صيانة منزل هاورد والمبنى الملحق ومنزل قضاء العطلات. لكن مفتاح منزل قضاء العطلات كان مفقودًا، ووالدنا كان مشغولاً في أعمال تغيير أنابيب الصرف بالمدرسة طوال النهار. اعتصر قلب هان-جو وقد أدرك أن حبه كان نقطة انطلاق حادث موت جي-سو. سأل أخاه دون نبذة محددة بصوته:

- هل... هل قتلت جي-سو يا أخي؟

- أنت أيضًا تعرف أنني لم أفعل ذلك.

- هذه ليست الإجابة. هل قتلت جي-سو يا أخي؟

كانت عينا سو-إين الجالس باستقامة على الكرسي تلاحقان الماضي البعيد. انتظره هان-جو بإصرار كما تنتظر العروس الجديدة اعترافًا بالحب. كان خائفًا من مواجهة الحقيقة التي رغب بشدة في معرفتها. جعد سو-إين علبة الجعة بيده وقد بدا أنه اتخذ قراره.

- لم أكن بمنزل قضاء العطلات وقتها. ولم أكن مع جي-سو كذلك... فقد غادرت ذلك المكان قبل

قدومها.

ازدهرت زهور الليلك بالحديقة أسفل الأنوار
المضائة. ألقى هان-جو على سو-إين سؤالاً أصبح
من الصعب تأخيره.

- أين كنت إذا يا أخي؟

- كنت بالسيارة.

- أي سيارة؟

- سيارة عائلة جي-سو.

- وأين كانت السيارة؟

- عند مصب النهر حيث يمكن رؤية الحظيرة
القديمة والمنزل الخاص من بعيد. قمنا بصف
السيارة وأخذنا نراقب مياه النهر الجاري. لم نقل أي
شيء، فقط نظرنا للنهر أمامنا.

- أقلت نحن؟ ألم تقل إنك لم تكن مع جي-سو؟

- بالفعل، لم تكن جي-سو.

- مع من كنت إذا؟

- مع والدة جي-سو.

بدا أن سو-إين سينفجر في البكاء، كطفل تلقى
صفعة على وجهه. لم يكن ذلك بسبب الندم
والشعور بالذنب، بل بسبب الحب والاشتياق.

سو-اين

كان سو-اين هناك، معها، ينظر إلى النهر اللامع كالمعدن والجاري في ثبات وقوة، دون أن يقول شيئاً. تبعا النهر المنحني وقد لامستهما المياه وابتعدت عنهما في هدوء.

كانت ترتدي فستاناً مطبوعاً عليه أوراق سراخس خضراء كبيرة. ظهرت الأضواء مختلفة الألوان والمنعكسة على مياه النهر بشكل غامض على وجهها. كانت هناك علامة باهتة لحقنة تطعيم على ذراعها اليمنى مائلة إلى السمرة. فكر سو-اين فيها وهي في ذلك العمر عندما تلقت التطعيم، في تلك المرأة وهي طفلة ذات شعر قصير وقد فقدت أسنانها الأمامية. هل كان ليحبها إذا قابلها في ذلك الوقت؟

كان سو-اين قد علم من والدته منذ أسبوع بوجود تغيير أرضية المطبخ بمنزل هاورد. كانت الأرضية الخشبية قد فسدت من المياه المتساقطة عن غسيل الصحون من أنابيب الصرف البلاستيكية القديمة المثقوبة. ولكن لم يكن هناك شخص موجود ليقوم بهذه المهمة. فقد كان والده مشغولاً بإنهاء عملية تغيير الأنابيب بالمدرسة قبل بدء الفصل الدراسي الجديد، ولم يتمكنوا من رؤية وجه هان-جو المعتكف بالمرسم طوال الوقت.

وفي اليوم التالي، لم يسعه سوى أن حمل لوح الخشب الذي سيبدله بالقديم مع صندوق العدة. فتحت له والدة جي-سو باب المنزل. اندهش كثيراً

وقد كان متيقنًا من أن والدته هي من ستفتح الباب. قالت له وهي تمسح عن يديها قطرات الماء المتساقطة:

- ذهبت والدتك إلى السوق. قمنا بدعوة بعض الضيوف على العشاء.

كان المنزل هادئًا وعبق برائحة عطرة. صدر صوت اصطدام حشرة كبيرة بالزجاج، قد تكون يعسوبًا أو زيرًا.

تفقد سو-إين بحرص لوح الخشب المتشقق من تكرار عملية ابتلاله بالماء بفعل الماء المتساقط من غسيل الصحون ومن ثم تجفيفه. كان قد راقب والده عن كثب وهو يغير لوح الأرضية سابقًا، لذا يعرف كيف يقوم بذلك. راقبت والدة جي-سو سو-إين باهتمام وهو يقوم بجذب لوح الأرضية الخشبي المتشقق وبعدها يحف مكانه بالسنفرة ويقدر حجم اللوح الذي سيضعه مكانه بدقة ويدفع به إلى المكان الصحيح ثم يقوم بطلانه باللمع. مررت له وهو منهمك في العمل كوبًا من الكولا وطهرت له إبهامه الذي رشق به الشوك في أثناء سنفرته للوح ثم وضعت له ضمادة.

جلس سو-إن إلى المائدة وهو ينتظر اللمع ليحفظ وأخرج نسخة جيب لرواية «ولا تزال الشمس تشرق» وقرأها. قالت له إنها قرأتها أيضًا عندما كانت طالبة لكنها لا تتذكر بوضوح محتواها.

- لا أتذكر الاسم بالضبط ولكن مشهد مهرجان مصارعة الثيران كان يفوق الروعة. ما زلت أشعر به

حيًا أمام عيني وكأنني رأيتني بنفسي.

قال لها سو-إين وهو يمرر لها الكتاب:

- إنه مهرجان سان فيرمين. اقرئي مجلدًا. سأقرأه في وقت لاحق.

أخذت منه الكتاب حتى وهي تقول له إنه لا داعي لذلك. كان قد ثني الكثير من الصفحات ما جعل الكتاب منتفخًا. وكان ما أعطاه سو-إين ليس فقط بكتاب واحد، فقد مرر خطاب حب مليئًا برغباته وألامه الذي هو سبيله ليعبر عنها، بالجمل التي وضع تحتها خطًا، والصفحات التي ثناها وهو متأثر بشدة بما فيها، والملاحظات التي كتبها في هامش الرواية بعدما لم يتمكن من التحكم بمشاعره الفياضة.

كان لديها عينان تدركان الآلام، ولديها حواس خفية تقرأ الحب. وكان لديها البصيرة كذلك لتعرف الصمت غير المحتمل، ولتفهم نظراته الحائرة الخائفة من أن يكتشف أمره. كان سو-إين واثقًا من أنها ستتعرف على رغبته الجميلة والسيئة في آن واحد.

ولكن ما الذي سيتغير حتى وإن أدركت اعترافه الذي لا معنى له؟ فستظل زوجة رجل آخر وأما لطفلتين وما هو إلا ابن الخادمة التي تعمل لديها. ربما قد تشعر بالشفقة عليه، وربما قد تأخذ الأمر على محمل المزاح. ولكن ماذا لو قبلت حبه...

لم يسمع منها أي أخبار بعد ذلك. خاف سو-إين من الذهاب إلى منزل هاورد. لم تكن لديه الثقة الكافية لينظر إلى عينيها مجددًا ويتبادل الحديث معها. ربما

قد أخبرت زوجها المتعالي والمحب للسيطرة بكل شيء. لام سو-إين نفسه كثيرًا لأنه لم يتمكن من أن يتحكم في لحظة تهوره التي مرر فيها بالكتاب لها. حاوطته مشاعر الإحباط واليأس من أنه قد يفقد تلك المرأة بسبب حماقته.

قام سو-إين بتدريس الرياضيات لهان-جو وجي-سو بغرفة الجلوس بمنزل هاورد طوال الفصل الدراسي الأول. تم نقل مكان الدرس إلى المرسم بالمبنى المنفصل بدءًا من العطلة الصيفية، ذلك بسبب طلب هي-جيه منه والذي وعده بأن يتكفل بمصاريف دراسته الجامعية إذا زادت درجات جي-سو خلال فترة الصيف. انهمك هان-جو حينها بالرسم بدلاً من الدراسة. أصرت جي-سو على أن ينقلا مكان الدرس إلى منزل العطلات لكي لا يزعجا هان-جو وهو يرسم. واقترحت على هان-جو الذي لم يعجبه الأمر أن تعمل عارضة له خلال فترة العطلة.

- ولكن بشرط أن يكون ذلك سرًا بيننا. فإذا عرف أبي وأمي، سيقومان بحبسنا في غرفة الجلوس ومراقبتنا ولن نتمكن من الحركة. وسيضيع كل شيء من أيدينا سواء الدراسة أو الرسم.

فتح كل من سو-إين وجي-سو كتبهما على الطاولة بمنزل العطلات وظلا صامتين وكأنهما حبيبان منذ زمن طويل. ولما لم يتمكنوا من تحمل الصمت بينهما أكثر، اقتربا من بعضهما، وكان كل منهما يواسي قلقه بأنفاس الآخر.

- طلبت مني أمي أن أعيد لك هذا الكتاب. قالت إنك تركته في ذلك اليوم الذي أتيت فيه لإصلاح المطبخ...

أخرجت جي-سو وهي على وشك العودة إلى المنزل من حقيبتها الكتاب الذي بحجم كف اليد تقريبًا ومررته له، «ولا تزال الشمس تشرق».

بدأت أجواء المساء بشهر أغسطس وهو يعود إلى المنزل قرابة الساعة الثامنة وكأنها مكسية بقطيفة زرقاء. داس سو-إين برفق على دواسات عجلته وكأنه يتزلج على السحب. ذهب إلى مصب النهر وركن دراجته وجلس على كرسي الحديقة وفتح الكتاب.

كان طرف الصفحة 116 مثنياً من أسفل على شكل مثلث. لم يكن هو من ثناه هكذا. فقد اعتاد أن يطوي أعلى الصفحة عندما كان يرغب في الإشارة إلى الصفحات التي يقرأها، فمن الصعب قلب الصفحات إذا طواها من أسفل.

كان هناك خط أسفل جمل معينة بالصفحة التي بسطها أمامه، باللون الوردي وليس بالأسود الذي كان يستخدمه. كان المشهد الذي يذهب فيه البطل مع صديقه الذي عاد من رحلته إلى جزيرة سانت لويس بنهر السين.

«إلى أين نذهب؟»

«ما رأيك أن نذهب إلى الجزيرة؟»

«فكرة رائعة».

وكانت صفحة 182 من الصفحات الأخرى المطوية أطرافها من الأسفل. ظهرت أمامه الخطوط المرسومة باللون الوردي.

«كان هناك بيت أبيض اللون أسفل بضع أشجار نمت ملتفة حول سفح الجبل».

المنزل الأبيض الموجود على الجزيرة بالنهر. هذا هو منزل العطلات بلا شك. فالغابة بالقرب من منزل العطلات تنغمر بالمياه وقت وصول السد لأعلى منسوب له لتصبح جزيرة. قلب سو-إين على عجل الصفحة مجددًا. وفي الصفحة 195، كان هناك خط أزرق.

سأل هاريس: «في أي يوم نحن؟».

«أعتقد أنه الأربعاء. نعم، بالفعل. إنه يوم الأربعاء».

استمرت الخطوط الزرقاء في صفحة 198 المطوية.

«لنذهب لصيد السمك مرة أخرى. لا تنس هذا الموعد يا هاريس».

وكانت آخر صفحة مطوية من الأسفل هي صفحة 355. لم يكن هناك داعٍ حتى للبحث عن الخطوط الزرقاء. فقد قفزت الكلمات في سطور أمام عينيه واخترقتهما.

«لم أغادر الميناء حتى بدأت السماء تظلم، وتبعث ممشى التنزه وسرت مبتعدًا وعدت في النهاية إلى الفندق لأتناول العشاء».

بدا له أن معنى الخطوط الزرقاء كان كالتالي:

منزل العطلات على ضفة النهر، يوم الأربعاء، قرب الغروب، لا تنس الموعد.

شعر بأنه سيختنق من الخوف على الرغم من أنه الأمر الذي رسمه في أحلامه. انتابه فضول ليعرف سبب عزمها على مقابله. كان هناك احتمالان، احتمال بأنها تقبلت حبه واحتمال بأنها ستوبخه على تصرفه الطفولي الفارغ. ونسبة أن يكون الأمر هو الاحتمال الأخير 99%.

بالتأكيد لن ترهبه أو تعنفه. ولكنها ستحاول أن تمنعه بهدوء وحذر عن أوهامه تلك وعن رغبتة الفارغة. لن يعرف أحد أن أمرا كهذا حدث بينهما، ولكنه من بعد ذلك اليوم لن يتمكن من أن يواجهها مجدداً إلى الأبد. كان يعرف هذا، ولكنه انتظر ذلك اليوم.

فكر سو-إين في أي يوم هم الآن. لقد كان يوم الإثنين، عليه أن ينتظر أن يمر يوم الثلاثاء ليحين موعد يوم الأربعاء.

ماذا لو أن اليوم هو الثلاثاء... لو أن الآن هو يوم الأربعاء الساعة الخامسة... ألن يكون ذلك أمرا رائعا؟

لا، بل ماذا لو أن اليوم هو الخميس...

ضغط سو-إين على دواسات عجلته وانطلق على الجهة اليمنى من ممشى التنزه بعد أن غادر المنزل في الثالثة عصرا. انحرف عن طريق الغابة وكانت الساعة قد اقتربت من الرابعة عندما وصل إلى منزل العطلات. كان قد أحضر معه مفتاح الباب وقد أخذه

من الدرج الذي يضعه والده به، لكنه قرر أن يجلس بالشرفة وينتظر. وبما أن جي-سو في المرسم بالمبنى المنفصل تعمل مع هان-جو، فلن يأتي أحد إلى هنا.

راقب طوال فترة ما بعد الظهر أشعة الشمس المتساقطة على الغابة وكأنها خيوط ذهبية إلى أن حل الغروب متسللاً كالقطط. دفع ترقبه الذي وصل إلى أقصاه كل شيء آخر من رأسه. وفكر بتمعن في الشيء الذي رغب فيه بشدة طوال ذلك الوقت. لم يتمكن من معرفته، وفكر أنه ربما يرغب فيه بشدة لأنه لا يعرفه بالضبط.

وعندما ضبغت السحب بألوان الغسق، اقترب صوت سيارة ناعم قادم من الغابة. انحرفت السيارة المربعة عن طريق الغابة وولجت إلى مدخل منزل العطلات. نهض سو-إين ببطء ونزل الدرج وانتظر هناك. توقفت السيارة بعد أن طحنت عجلاتها الحصى أسفلها بالحديقة الأمامية. انخفضت نافذة السيارة في هدوء ولوحت له أصابع بيضاء من داخل السيارة المظلمة وقد بدت كمنديل يد.

- أندخل ونتحدث؟

أخرجت من حقيبتها المفتاح وقد علت وجهها ابتسامة خفيفة ظاهرة ومخفية في الوقت نفسه ثم فتحت الباب. انتاب جسد سو-إين في تلك اللحظة خوف عظيم ونشوة حادة مما قد يحدث بدءاً من الآن.

جلسا متقابلين على الأريكة الموضوعة بمنتصف

صالة منزل العطلات. كان المنزل العابق برائحة الأثاث القديم هادئاً كسفينة فضاء تطوف وسط الظلام. كان مشهداً لطالما تردد على تخيلات سو-إين، راحة وعزلة تغلفهما وحدهما في مكان مغلق لا ماء ولا هواء به.

كانت تخيلات سو-إين عن تلك المرأة مجازية إلى أقصى درجة ومليئة بالصور البريئة. وقد أسرته صور حية له وهي روحه التي أصبحت كالدخان تتسلل إلى داخل جسدها، أو حلمه بأن شجرة ألقّت بجذورها على قدمها البيضاء وقد أخذ هو يتسلق فروعها، أو أن يصبح ابنها ويستلقي على ذراعها أو أن يحتضنها ويصبحان صخرة صلبة.

نظرت تلك المرأة إلى خارج النافذة وغرقت في تفكير عميق. بدا أنها تفكر في أي كلام تقوله وكيف. لكن سو-إين لم يرغب في سماع أي مما ستقوله. كانت الحقيقة الوحيدة المهمة بالنسبة له أن يصبح كياناً قوياً بحياة تلك المرأة. ثم قالت له:

- عندما كنت صغيرة، لم أفكر في أي نوع من الأشخاص سأصبح عندما أكبر. فقط وبشكل مبهم فكرت في أنني أرغب في أن أصبح معلمة ثم رغبت في أن أصبح شاعرة ثم رغبت في أن أصبح رسامة. ولكن في النهاية، لم أتمكن من أصبح شيئاً. لم يصبني اليأس أو الندم لأنني لم أصبح الشخص الذي حلمت به قط. لكنني فكرت أنه كان لا بد لي أن أحلم ولو مرة واحدة بمستقبل مفصل وواضح، لأن المستقبل المبهم وغير الواضح ليس بمستقبل.

انفجرت الفقاعات على سطح الكولا الباردة
الموضوعة على الطاولة أمامهما. إنها تعمد إلى أن
تستعين بالمستقبل لتدمر الحاضر. لم يرغب سو-إين
في أن يتم إقناعه.

- لماذا تتحدثين عن المستقبل؟ أرغب في أن
أحدث عن هذه اللحظة. أعني كيف أفكر فيك يا
سيدتي وكيف تفكرين في. فهذا أمر ليس بالمبهم أو
غير المؤكد وهو كذلك أمر مفصل وواضح.

سقطت قطرة ماء من أنبوب صرف الحوض
المهترئ. اعتدلت في جلستها فتسلت إلى أنفه
رائحة عطرها الخافتة.

- أتعرف كم من إمكانيات لديك؟ لم أتمكن من أن
يكون لدي مثلها. لم أكن ذكية ولم أكن أحسن عمل
شيء معين، ولكن فقط كنت حسنة الحظ. لكنك
طفل نابغ، يمكنك أن تصبح كما تحلم ويجب عليك
ذلك. لذلك لا تفكر في الآن وفكر في المستقبل.

فكر سو-إين في أن كلامها غير صادق. فهي لم
تستدعه إلى هنا لتقول له هذا الكلام فقط. لم يرغب
أن يفكر في زوجة من هي أو في أم من هي. لم
يرغب أن يعرف كذلك لماذا هو هنا الآن في هذا
المكان. اعتصرت قلبه الرغبة في أن يتوقف الوقت
عند هذه اللحظة.

- لا أرغب في أن أصبح رئيسًا للبلاد أو أن أصبح
قاضيًا. لا أرغب في أن أصبح أي شيء. إذا كان هناك
مستقبل لي فهو أنت يا سيدتي.

أخذت نفسًا عميقًا. أصبح الهدف من قدومها إلى

هنا واضحا. لقد أتت لتجعل سو-إين يتخلى عنها، أن تحايل فضول صبي بصفتها شخصا راشداً عاقلاً.

كان من المستحيل أن يتمكن سو-إين من إقناع تلك المرأة خلال هذا اللقاء القصير. وأفضل وضع يمكن أن يتوقعه هو أن يعودا إلى العلاقة الطيبة التي كانت بينهما، فلم هناك داعٍ لأن يضع خطأ أسفل الكلمات، ويلقاها بهذا المنزل المنعزل.

على الرغم من أنها لم تتقبل حبه، لم تقض نهائياً على العلاقة بينهما. كان ذلك فرصته الأخيرة التي لم تهدر بعد. إذا تمكن من أن يتمسك بهذه الفرصة، فسوف يستمر في حب هذه المرأة بطريقته الخاصة. سيسترق النظر من مكان بعيد إلى قدمها البيضاء وهو يخفي رغبته فيها ويحسد زوجها عليها أو أن يكرهه وينتظر موته في حادث مؤسف. وسوف يترك الباقي ليفكر فيه مع الزمن.

غرق سو-إين في عجلة في تفكيره بأنه عليه القيام بالكثير. أكمل حديثه وكان شيئاً ما يطارده، حول ما إذا كان من الممكن أن يستردا علاقتهما كما كانت بالماضي. كان حديثاً قد يتبادله صبي مع السيدة التي تقطن بجوارهم، حديث يومي وعادي، كالنكات السخيفة...

في حين أسرها قلق من أن تكون قد أفسدت مستقبل الصبي. وكان لا بد لها من أن تعيد الصبي الذكي المأسور بشغفه الطائش إلى ما كان عليه. كان لا بد لها أن تحمي أمل ومستقبل الصبي الموعود وأن تعود به إلى مسار الحياة اليومية السابق كأن

أمرًا لم يكن. كانا أشبه بمجرمين اشتركا في جريمة قتل ويبدلان قصارى جهدهما ليحفرا حفرة يدفنا بها الجثة.

اقتربت الظلمة منهما، وكأنها حيوان مفترس غريب، وحلت مقيمة بداخل المنزل. هبت الرياح المحملة برائحة أوراق الصنوبر والطحالب من النافذة المفتوحة. مدت يدها وربتت على خد سو-إين بخفة. كانت يدها باردة لدرجة تثير الدهشة. - أنت لا تعرف كم أنت شخص عزيز وغالي، فالضوء يشع منك. وستحصل على حب الجميع وستكون ضوء الجميع.

حملك في شفتيها لدرجة أوشك أن يخرقهما بعينييه. ألمه خده الذي لمستته بيدها وكأنه أحرق بالنار.

- أعتقد أنني سمعت صوتًا ما حينها.

تجرع سو-إين علبة البيرة التي فقدت حرارتها دفعة واحدة. سأله هان-جو في المقابل بنظرات مرعبة شعر معها بالبعد بينهما.

- أي صوت؟

قال سو-إين وهو يفتح غطاء علبة بيرة أخرى:

- صوت حفيف خارج النافذة... لم يكن هناك أحد خارج النافذة، ولكن خطر بيالي أن هناك شخصًا ما يراقبنا من وسط الظلمة. كنت خائفًا لأننا كنا في منزل العطلات المنعزل بالليل وكذلك كنت قلقًا من أن يكتشفنا أحد ونحن معا بمفردنا. وربما قد أكون

قد استرددت وعيي إثر إقناعها الهادئ...

تردد سو-إين فيما إذا كان يجدر به أن يكمل حديثه، وصمت فترة طويلة. ربما لم يجدر أن يتحدث من البداية. تمنى أن يستمر هذا الصمت إلى الأبد. وفي تلك اللحظة، صرخ فيه هان-جو بكلمة واحدة:

- يا أخي!

كانت كلمة يستجوبه بها ويتوسل إليه وكذلك ينتقده. فتح سو-إين فمه أخيرًا:

- ركبنا سيارتها ونزلنا الطريق متبعين النهر. كان يجب أن نأخذ الطريق إلى جهة اليسار ونعبر الجسر إذا رغبتنا بالذهاب إلى المنزل، لكنني قلت لها إنني أرغب في أن نأخذ جولة أطول بالسيارة. لم تجب، وتركت السيارة محيط المدينة ووصلت إلى مصب النهر. أوقفت السيارة لدى ضفة النهر حيث تظهر الحظيرة القديمة والمنزل الخاص. لم نقل أي شيء قط وأخذنا نراقب ماء النهر الأسود من وراء نافذة السيارة. وبعد نصف ساعة تقريبًا، أشعلت محرك السيارة وعدنا أدراجنا متبعين النهر ثم أنزلتني عن مدخل الجسر. تسكعت هناك لبعض الوقت ثم صعدت التل ووصلت إلى المنزل ورن جرس الهاتف بعدها بقليل. قال لي والدنا من سماعة الهاتف إنه يجب أن أذهب إلى منزل هاورد، وإن جي-سو لم تعد إلى المنزل...

لم يتمكن هان-جو من أن يصدقه. كان لديه الحجة في ألا يصدقه. فمن يكذب مرة يمكنه أن يكذب

مرتين.

- في النهاية لا أحد يمكن أن يشهد على صدق كلامك. فجميعهم ليسوا من سكان هذا العالم.

- الحقيقة لا تختفي إذا لم يكن هناك من يشهد عليها.

استمر شعور هان-جو بالندم بأنه لم يكن يجدر به أن يسمع حديث أخيه. خرج إلى الشرفة وأسند رأسه إلى عمود السور. نمت الأعشاب الضالة وسط عشب الحديقة التي استمتع فيها مع زوجته بحفل عيد ميلاده منذ عدة أيام سابقة. شعر فجأة أن المنزل واسع بشكل زائد عن الحد. هذا الفناء الجميل وتلك الحديقة جيدة التقليم، وكل ما رسمه إلى الآن، بدا له وكأنه سراب.

- تتردد على رأسي فكرة ما يا أخي. أفكر فيما إذا كنا قد قلنا الحقيقة وقتها وقد أحاطت بنا الأكاذيب.

- لم يكن ليتغير شيء مهما قلنا.

- هل أنت متأكد حقًا بأنه لم يكن هناك أحد خارج النافذة وقتها؟

بدا صوت هان-جو باردًا كقطعة جليد. لم يجبه سو-إين، فسأله هان-جو مجددًا:

- ربما قد تكون جي-سو هي من رأيتها وسط الظلام وقتها؟ إذا كانت قد توجهت مباشرة إلى هناك بعدما غادرت المرسم مسرعة وركبت الدراجة.

لم يدرك سو-إين لماذا لم يقل أي كلمة من هذا إلى الآن، فقد سبق وفكر في الأمر. جالت هذه الفكرة

برأسه في كل لحظات الحياة. وفي كل مرة كان يحاول بأقصى جهده ليتجاهلها وأن يبعدها عن رأسه. وقد كان السبب الذي التزم فيه كل منهما الصمت طوال ذلك الوقت لأنهما لم يرغباً في إيذاء بعضهما. لكن الأكاذيب التي نمت وسط الصمت عن الأحاديث التي دفناها لزمن طويل تحاول أن تدمرها الآن.

- إذا أنا من قتلت جي-سو يا أخي. هل هذا حقاً صحيح؟

احتقنت عينا هان-جو بدماء ذات حمرة داكنة. تلالأت عواميد الإنارة القليلة المضائة أسفل التل وأضواء لوحات الإعلانات الملونة بلطف وسط هواء الليل كالماء على سطح البحر.

- لا تلم نفسك.

- إذا لم أقل ذلك الكلام وأنا غاضب لما كانت جي-سو ذهبت إلى هناك ولم تكن لتراك أنت مع سيدة منزل هاورد. ولم يكن أي منا قد أصبح قاتلاً، ولم يكن والدا جي-سو أيضاً قد توفيا.

كان هناك صوت صاخب انفجر بداخل هان-جو واستمر في العويل. طُت أذنه بشكل مشوش كدائرة كهربائية حدثت بها مشكلة. ومهما بذل قصارى جهده ليهرب من قدره المروع، كان لا يزال صبيًا في الثامنة عشرة من عمره، وحيذاً وضعيفاً وبحاجة إلى الحب والحماية... قال له سو-إين:

- كان يمكن أن يحدث هذا. إذا لم تقل ذلك الكلام لجي-سو، إذا لم أكن هناك في ذلك الوقت، إذا لم

تقرأ والدة جي-سو الجمل التي وضعت أسفلها خطًا،
إذا لم نفعل كل ما فعلناه، وإذا فعلنا ما لم نفعله...
فذلك الحادث لم يكن ليقع.

- لكننا فعلنا كل هذا. لقد قلت ذلك الكلام لجي-سو
وأنت يا أخي كنت هناك في ذلك الوقت وقرأت
تلك السيدة الجمل التي وضعت تحتها خطًا، لذلك
حدثت كل تلك الأمور.

تذكر سو-إين إحدى الليالي التي تلت اليوم الذي
تم فيه القبض على والده. كان يجلس في مقابل
هان-جو إلى الطاولة الخشبية بالمطبخ المظلم
وخطر برأسه الفارق في السكر ذلك السؤال. «هل
كان يعرف أبي أنني كنت في منزل العطلات؟ هل
لذلك قام بذلك الاعتراف ليبدو أنه الفاعل؟».

وفي تلك اللحظة، بدأت صفارات الإنذار تقرع
برأسه ليتوقف. وفي تلك اللحظة خبست ذاكرة
سو-إين خلف باب لم يفتحه مرة أخرى. فقد آمن
بأنه يمكنه أن يعيش وكان أمرًا لم يكن إذا لم يفكر
فيما حدث مجددًا. أخذ هان-جو المتمدد على
الأريكة نفسًا عميقًا أشبه بالتأوه.

- هل أنت نائم؟

لم يجبه هان-جو وهو مغلق العينين. تذكر سو-إين
الليلة التي وقع فيها أخوه الصغير عن الأريكة وهو
في سن التاسعة.

استيقظ من نومه على صوت حشرجة خفيف من
أرض الغرفة المظلمة فنزل عن سريره واستلقى إلى
جانب هان-جو. أسمعته حكايات إلى أن غرق أخوه

الصغير في النوم. جفل هان-جو بعد أن غط في النوم وقطب حاجبيه. بدا له أنه يحلم بحلم سيئ.

سأله أخوه في صباح اليوم التالي عن حلمه، لكن هان-جو لم يتمكن من تذكر الحلم. وتمنى وقتها أن يحلم أخوه الصغير أحلامًا سعيدة.

- لن أنام، لذلك لا تذهب يا أخي. لا تذهب إلى أي مكان وابق هنا.

تمتم هان-جو وهو يفتح عينيه الغائمتين قليلًا، لكن سو-إين لم يتمكن من البقاء. فلدیه عائلة في انتظاره. ساعد سو-إين أخاه الصغير في التمدد على الأريكة وفرد عليه غطاء.

- حسنًا، نم قليلًا. سيتحسن مزاجك في الصباح بعد أن تنام وترتاح.

كان وجه جي-سو ذات الثامنة عشرة عامًا يتخلل الماء المظلم. لم يتغير شكلها مع الزمن منذ ذلك اليوم. كان بإمكانه أن يشعر بالرائحة التي يعبق بها شعرها ورائحة العشب المنعشة في زيها المدرسي الأبيض. كان بوسعه أن يتذكر بشكل حي منظرها من الخلف وهي تضغط على دواسات الدراجة صاعدة التل في تمايل. إذا كان فقط قد أمسك برسغها عندما أسرع تخرج من المرسم في ذلك الوقت...

كانت تقود الدراجة وتضغط على الدواسات وتحركها كما لو أنها تجدف بمجدافين. تقدمت الدراجة مع الرياح وهي تتبع طريق التنزه الجبلي المظلم. خفق قلبها المنفطر من الألم كالرايات

البالية. تصبب ظهرها عرقاً وكان العرق الملتصق بأسفل ذراعيها لزقاً. علت وجهها حرارة وكان النيران قد اشتعلت به. من هي؟ من هي تلك الفتاة التي يحبها سو-اين؟

عبرت الدراجة طريق السد ودخلت إلى طريق الغابة الضيق. كانت الغابة هادئة كأنها في سبات ودافئة كالحلم. وقد شكلت فروع الأشجار المخروطية الممتدة على جانبي الطريق نفقاً مطلقاً. وعندما كانت الرياح تعبر وسط الأشجار، اهتزت وصدر عنها صوت حفيف. أصبحت الظلمة أكثر عتمة وأصبح جو الغابة أكثر برودة.

وفي لحظات، جف عرقها واقشعر ظهرها البارد. لم تعرف ما إذا كان هذا بسبب البرد أم الخوف. هجمت عليها فجأة رغبة مندفعة للعودة إلى المنزل. لم يفت الوقت على ذلك. ستعود إلى البيت وتقرأ الكتب لهيه-ري.

وفي تلك اللحظة، ظهر لها من وسط فروع الأشجار الإفريز الأبيض لمنزل العطلات المحاط بالظلام. نزلت عن الدراجة وأخفت جسدها وسط غابة الشجيرات الصغيرة على جانب الطريق. كان المصباح الكهربائي المعلق على طرف الشرفة قد صنع أسفله دائرة من الضوء، في حين تسلسل خيط آخر من الضوء من نافذة غرفة الجلوس. كان الضوء أصفر ودافئاً وكأنه يتجاذب معها أطراف الحديث.

ألقت بالدراجة هناك واخترقت الظلام. كان ضوء القمر باهتاً والغابة مظلمة. ضربت فروع الشجر

النامية إلى مستوى كتفها وجهها وكأنها عصا. شكّت أوراق الشجر المخروطي المدببة ساقها، وخذشت ورود الويتشوريانا ذراعها. شعرت بحرقة شديدة في رقبتها التي شكنتها فروع شجر الورد متعدد الأزهار.

اقتربت خطوة أخرى باتجاه الضوء. صوت تمايل فروع الشجر وصوت حفيف ملابسها، وصوت تكسر فروع الشجر الجافة أسفل أقدامها... جعلها تجفل بين الحين والآخر. شعرت أنها كالعثة التي تخفق بجناحيها لتطير بسرعة وتلقي بنفسها بالنار.

كانت نافذة منزل العطلات مفتوحة لنصفها. رأتهما هناك في الضوء...

انعكست ظلال الماء على وجهها. إذا دقت النظر، لم تكن هي من تنظر إلى سطح الماء، بل كان سطح الماء أعلاها. كطفل صغير ملأه الفضول، فتحت عينيها على اتساعهما وغضت شفتيها. رسم القمر المنعطف كالمنجل خطوطًا متمائلة على سطح الماء.

غرقت ببطء. ابتعد عنها ضوء القمر ومحت الظلمة جسدها. لامس ظهرها الهزيل الأرض الموحلة الناعمة. كان ذلك الصوت الناعم كدوي انهيار العالم. فتح هان-جو عينيه فجأة. لم يتمكن من معرفة الوقت، فهو لم يضع ساعة حائط بغرفة العمل، لأنها تشغله عن التركيز. نظر حوله، فربما تكون زوجته إلى جانبه. لم يجدها، ولم يتمكن من فهم لماذا زوجته ليست بهذا المكان.

كانت زجاجة الويسكي وزجاجات السوجو وعلب البيرة المجددة مبعثرة بالمكان. رغب في البكاء كمن فقد والديه لتوه. رغب في أن ينتف شعره بيديه الاثنتين ويبكي. شعر بأن كل هذه الأمور كان مخططًا لها منذ زمن.

هل تغط زوجته في النوم الآن؟ كانت زوجته تطلق صوت تنفس خفيف وهي نائمة. وأحيانًا تنشج وهي تحلم وحدها بالليل. لم تظهر أي دموع على الإطلاق في النهار، لكنها كانت تبكي في الحلم بواقعية أكثر من اليقظة. ثم تعود لتغط في النوم. بدا له وهو يراقبها أن الأحلام تلكز حاجبيها برفق، كضربات ساقي الجنين في بطن أمه.

مسح حول فمه الجاف بيده. صدر صوت خفيف من لحيته النامية وهو نصف نائم. صب المتبقي من الويسكي في كأس. كان الويسكي لزقًا وثقيلًا كالعسل. شعر بحرقه شديدة بداخله وكأن الخمر الذي نزل إلى ما خلف حلقة أشعل به النيران. فكر فيما إذا كان اكتنابه وعادات الشرب لديه قد ورثها من والدته، أم أنها بسبب ليلة الصيف تلك.

هناك العديد من الطرق لنسيان الألم. يمكنه سماع مقطوعة «الكلافير المعدل» لباخ عدة مرات أو الجري على ضفة النهر إلى أن يرهقه التعب. ويمكن أن يأكل الطعام الحلو إلى أن يسأم، أو أن يحاول أن يعثر على حب جديد. ولكن والدته استبدلت الموسيقى والجري والطعام الحلو والحب بالخمر والمنومات.

كانت السماء مظلمة خارج النافذة. تجرع هان-جو ما تبقى من الويسكي كما لو أنه يبتلع سقا. انتظر في توق شديد أن يسمع صوت الباب يفتح ويقترب أحد منه في خفة من ورائه. افتقد الشفاه الرطبة والباردة وافتقد حركة اللسان اللزجة والسريعة، لكن زوجته لن تعود. كان منهازا أمام الخوف من أن كل شيء قد تحطم. فعندما يتحطم شيء تلو الآخر لا يصبح ذلك تحطفا، وإنما يحدث السقوط في لحظة واحدة.

كان بإمكانه أن يخبرها الحقيقة الآن، أن أخاه لم يقتل جي-سو كما لم يفعل والده، وكذلك لم يفعل هو. ما قتل جي-سو هي أكاذيب ساذجة وحمقاء. هذه هي الحقيقة. ولكن ماذا قد تعني تلك الحقيقة التي ستتسبب في ألم الجميع؟

فكر هان-جو في نتيجة إفشاء الحقيقة الذي تعمد به إيذاء مشاعر جي-سو. تذكر وجه هيه-ري قبل جي-سو. ومر برأسه كلوحة مرسومة حياة تلك الفتاة التي تعين عليها تحمل الألم الذي نجم عن حديثه ذلك بكل جسدها. وقد صبت تلك المرأة حياتها بأكملها من أجل أن تدمر حياته.

من الواضح أن زوجته أساءت اختيار من الذي تنتقم منه. ولكن لم يكن من حقه أن يتفادى ذلك الانتقام. فقد كان إفشاؤه المتعمد هو ما أطلق الزناد لموت جي-سو، وكذبتة هي ما شوهدت حقيقة موتها. حطم ذلك حياة العديد من الناس، وأكثرهم كان حياة هيه-ري. لذلك، هيه-ري لديها أسباب وافية

وأكثر لتعاقبه.

فهم هان-جو وقتها حب وانتقام هيه-ري. وعلى ما يبدو، فقد تمكنت من تحقيق انتقامها. فقد أسرته تلك المرأة التي حطمت حياته حتى في لحظة سقوطه. شعر بأسى شديد يجتاح قلبه من الشفقة المتأخرة على زوجته عندما فكر في رحلتها المهلكة للانتقام.

سيتلقى عقابه دون أي تبرير أو حجج، وسيمحو آثاره الملتصقة بكل مكان بمنزل هاورد وسيعيده إلى حالته الأولى قبل أن يلوث، ويغسل أخطاه بتنفيذ عقاب زوجته بنفسه وسيكمل حبهما.

لقد بدأ حبهما وانتقامها بالأوهام وسوء الظن. وعلى الرغم من أن هذه الحقيقة، لم يكن لها مكان بينهما منذ البداية، كان هناك شغف بالحياة وثقة كل منهما بالآخر. فإذا لم تكن تحبه بصدق لما فكرت في أن تنتقم منه. ولذلك، حتى لو كان كل شيء آخر بلا معنى، كانت السعادة التي ملأت تلك اللحظة حقيقية.

اقترب هان-جو من اللوحات المتراكمة فوق بعضها في طبقات، كأنه أسير حرب مربوط بحبل يتم سحبه منه. تسللت إلى أنفه رائحة الألوان الجافة. «أوفيليا»... لقد كانت زوجته وقتها هزيلة أكثر. عظام الترقوة، عظام الكتف، وعظام الكاحل التي بدا وكأنها ستحترق بشرتها. الجروح الطويلة والقصيرة المنتشرة على جسدها بأكمله كمواقع الكواكب.

لمعت اثار الألوان بشكل مظلم في ضوء القمر المنعكس من فجوة بين الستائر. مسح هان-جو بيده سطح «الكانفس» الخشن. شعر بلمس الجروح الخشنة الملتفة كالحبل المعقود على أصابعه. لم يكن بوسعه أن يواجه مباشرة جروح زوجته ولكنه لم يدر رأسه. ولذلك شعر بأن ذلك ليس بالأمر الصائب.

لم يكن هناك أي ضوء تقريبًا بالغرفة. شعر بالنساء اللواتي بالصور وكأنهن غريبات عنه. لم يستطع أن يعرف من رسم. اقترب من إدراك شيء ما ببطء كالفجر المشرق ولكن لا يمكن صده، وتذكر وجهها كان نسيه منذ زمن.

اخترق جسده إدراك حاد فقط في تلك اللحظة. لا بد وأن زوجته عرفت منذ اللحظة التي رأت فيها لوحته حقيقة أن أوفيليا التي رسمها هي جي-سو. جذب هان-جو «أوفيليا»، زوجته، جي-سو واحتضنها. تراجع به الوقت إلى الوراء وفرغت الغرفة من كل شيء.

شد جميع لوحات «الكانفس» من الإطارات وراكمها على الأرض. الألوان تغلي أسفل السطح الخارجي عديم اللون الشبيه بالحقول الشتوية. الذكريات التي تدور في دوامات خلف الوقت الهادئ. الطبقات الداخلية الذهبية والخمر اللامع أسفل السطح المظلم كما لو أنها مغطاة بالرماد.

بدت لوحات «الكانفس» المتراكمة فوق بعضها كقبر ضخم. كانت مستلقية في هدوء كالجثة

الهامة. أخرج ولاعة من جيبه وأشعل النار في الأطراف. علا «الكانفس» الذي طالته النيران فجوات مستديرة وانتشر اللون الأحمر الداكن على الأطراف. أشعل النار في الزوايا المقابلة أيضًا، وأخذ اللهب الأحمر يتمايل بظلاله على الجدران والسقف. أسرع روسكو وسط ظلمة الحديقة ما إن شم رائحة النار وأخذ يحك الزجاج بأظفاره وهو يئن.

استند هان-جو إلى درابزين الدرج وأخذ يراقب النيران المشتعلة. أضاءت حياته، وحبه، وذكرياته الظلمة. الحديقة التي تفيض باللون الأخضر وقد ابتلت بمطر الربيع، ملمس العشب الخشن الذي يلامس قدميه، الوحل ورائحة العشب لوقت بعد الظهر في الأيام الحارقة، روسكو وهو يركض بخطوات واسعة. وجه زوجته الذي تعلوه حمرة كخمرة الورود، رطوبة شفثيها التي تلامس خده. كل الألفة والمشاعر المحببة الصغيرة والهادئة والتي استمرت لفترة طويلة وقد كونت حياتهما...

رمقته عينا جي-سو السوداء وان بلوحاته. تجمعت الأصوات في صوت واحد صاخب؛ صوت النيران المشتعلة، صوت طقطقة الخشب، وصوت غليان الألوان، وصوت همسات خيش «الكانفس».

أكلت النيران خد جي-سو، ورقبتها، وكتفها. ارتعشت النيران الحمراء المشتعلة كالرايات المتمزقة. غطى الدخان السقف وملأت الحرارة جو الغرفة. طئت أذناه بشدة. شعر بالدوار والغثيان الشديد. ستخدم النيران الآن وستصبح اللوحات

رمادا وستختفي ذكرياته.

أغلق عينيه، وارتسمت الخيالات الحمراء للنيران
أسفل جفنيه. تذكر منظرا مر عليه الكثير من الوقت.
السيارة البيضاء وهي تقطع التل كالخنفساء. أفراد
العائلة الذين يشبهون سربا من الطيور البيضاء،
النهر المظلم بالليل، ضوء القمر اللامع والمنتكسر
على سطح الماء...

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook